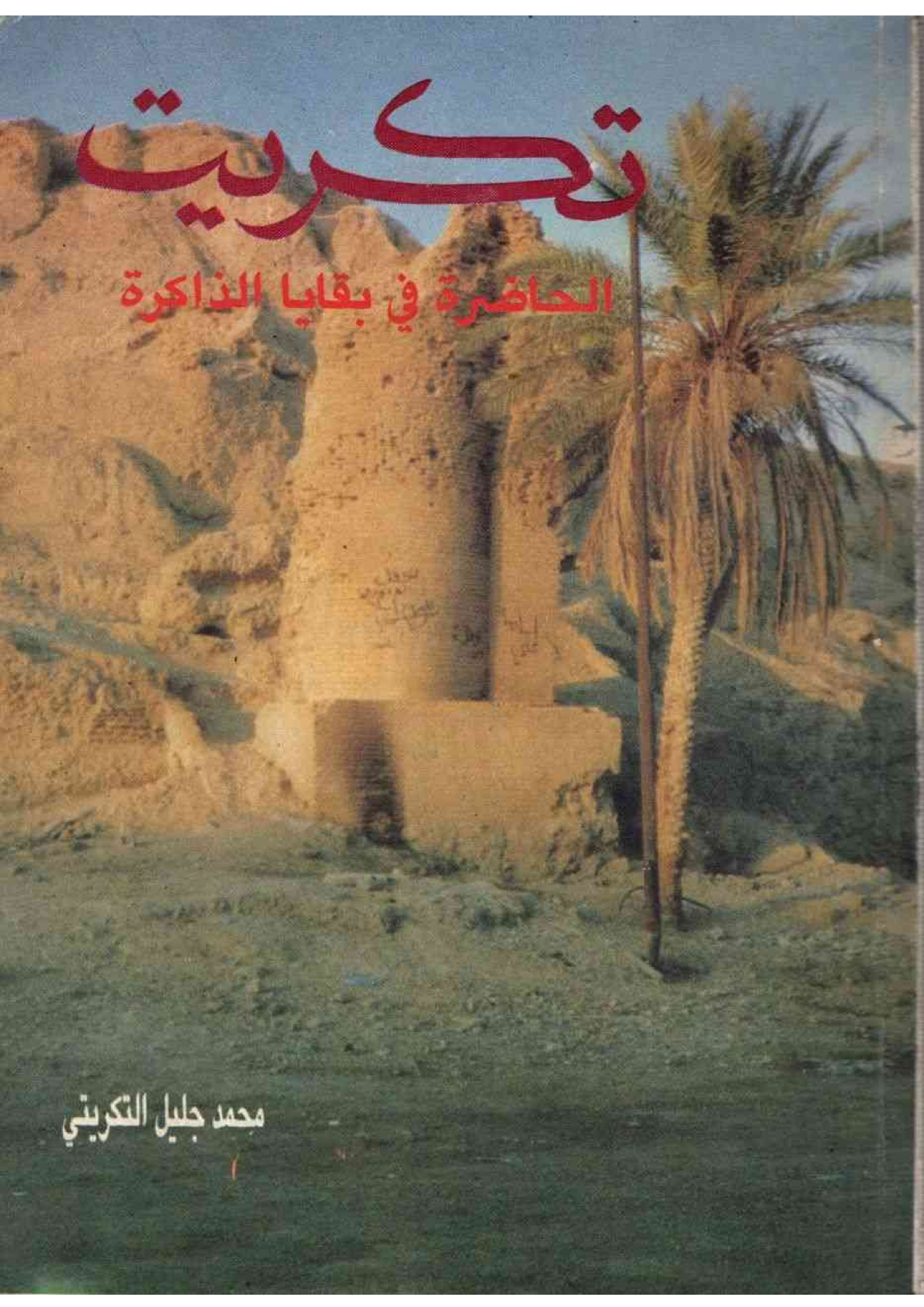


تكريت

الحاضرة في بقايا الذاكرة

محمد جليل التكريتي



تكريــت
الحاضرة في بقايا الذاكرة

محمد جليل التكريتي

شكــر وتقديــر

أتقدم بالشكر الجزيل الى كل الأخوة الذين أسهموا بهذا القدر أو ذاك في رفـدي بالمعلومـات والمـلاحظات التي لولاها لبقيت هذه السطور تفتقر الى الكثيـر من الكمـال، وأخص بالـذكـر الأخوين العزيزين عبدالرزاق الكميت ومزاحم فريد النقيب.

المؤلـف

الاهـــداء

الى روح والدي الذي علمني الكثير

الى شبل تكريت سليل الارومة العربية الطيبة القائد ـ

محتويـات الكـتاب

المقدمـــة

أن أنتمـاء الفـرد للعـائلة والقبيلة أمـر طبيعي لاخيار له فيه ، وأن أنتماؤه للأمة حقيقـة ضربت جذورهـا في عمق التـاريـخ فلا يقـوى أحد على أدراكها او التحكم فيهـا ، وكـل ما يصيبهـا من ضعف أو هزال أنمـا يعـود الى الظروف الموضوعية التي تحيط بها وقدرتها الذاتية على التحمل والمقاومة حفاظاً على صفاءها وأصالتها وفي مجرى الحياة وقوانينها وأحكامها القاسية في كثير من الاحيان يبتعد الانسان بحسن نيـة أو بغيـرهـا عن تتبـع مسألة الانتماء هذه فيدرج وراء شروط الحياة المعاصرة وما تتطلبـه من استجـابـات سريعـة وملحـة ، كل ذلك على حساب تعزيز رابطة القرابة والـدم غيـر انـه لا يبتعد عنها كثيراً . وقد يكون في بعض هذا الحديث اليوم غموض ولكنـه لـم يكن كذلـك قبـل مائة عام ، فالكل يعرف أهله وعشيرته وقوميته ، ولـم تكن تلك القـرابـة لتؤثـر أو تعيق رابطـة المـواطنـة التي كانت وما زالت تصب في مجرى الحياة الواحدة الموظفة في خدمة الوطن والدفاع عنه .

أن الحديث عن الرابطة الوطنية وانشداد المواطن العراقي لارضه ووطنه وتتبع تاريخـه ومـراحـل تطـوره وازدهـاره هو الحـزام الامني له والذي فرضته الحاجة الى الانتمـاء والى الحيـاة نفسهـا ، فقد يكون انتماؤك عربياً جذراً ونسغاً تعتز به وتفخر، ولكن تعـرضـك لأي خطـر خارجي تجد أخاك في المواطنة وهو الذي يحيا بجانبك والذي يفرح لفرحك ويشقى لشقائك يكون اكثر استجابة وأسرع لتلبية داعي النداء من عربي في موقع أو قطر أبعد ، وهذه الرابطة هي الاكثر واقعية وهي لا تتعارض مع أي انتماء قومي آخر، فالوطنية والمواطن اذاً كحبات المسبحة التي لا وجود لها بغير الخيـط الـذي يوحـدهـا وينسقهـا ويتحكم في حركتها ، وكل حبة فيها تصغي لرنين أختهـا وتهفـو لمـوسيقـاهـا ، وهذا الخيط هو الأحساس الاصيل بالاقتراب والانتماء الـذي يسمـو فوق كل انتمـاء ، أنها علاقة المصير الواحد في كل الأحوال وليس في بعضهـا ، فليس للوطن غيـر ابنـائـه وليس للابناء غير وطن واحد صغر أم كبر يؤويهم ويحتضنهم جيـلاً بعـد جيـل . من هنـا كنا نرى السيد الرئيس صدام حسين «حفظه الله» في سني حرب القادسية الثانية يسأل المقاتلين وهو يقلدهم الاوسمة والانواط ،

يسألهم عن عوائلهم وعشائرهم، أنه في الواقع يثيرهم للأستفسار عن أمتداد عوائلهم التاريخي وقبائلهم ليمتازوا في القتال كما كان يفعل القائد العربي الكبير خالد بن الوليد، وليزدادوا اندفاعاً واستبسالاً وليجلبوالأهلهم وعشيرتهم الفخر والاعتزاز. ولم يكن السيد الرئيس يعقب بشيء خلف السؤال اشارة الى أن الجميع أبناء وطن واحد هو العراق، وأن الانتماء العائلي والقبلي لا يتعارض مع الانتماء الوطني وانما يعززه ويقويه. كما ان السيد الرئيس وهو يسأل عن العائلة يسأل المقاتل ايضاً عن عمل ووظيفة رب الاسرة وهو الآخر سؤال طبقي مشروع ليعرف كل منا ماذا اخذ من الوطن وماذا اعطى، أنها مدرسة ورؤيا جديدة ودماً متدفقاً في عروق خوت أو كادت لتبعث الحياة السعيدة من جديد وصولاً الى مستقبل أسعد وأشرف.

أن الأعتزاز بالمدن أنما هو جزء من الاعتزاز بالوطن، لأن الأشياء الكبير غالباً ما تنبع من مصادر صغيرة، فكما يعتز العربي والمسلم بمكة والمدينة يعتز أيضاً بالنجف والكوفة والبصرة وبغداد والموصل ودمشق والقاهرة والقيروان، وكل مدينة وقرية عربية تكتسب صحة وعافية انما تكون جزءاً من صحة الأمة والعكس صحيح، والدفاع عن أي قرية أنما هو دفاع عن جزء حي في جسم الأمة.

أن الحديث عن مدينة تكريت لا يأتي بعيدا عن هذا التصور، أنه اعتزاز بكل حبة رمل في العراق العظيم، مدنه وقراه، لحمته وسداه، ولكن (وليعذرني القاريء الكريم) انني أبن مدينة تكريت، ولستُ الوحيد منها، ولدت فيها في مطلع الثلاثينات، ودرجت في حاراتها وسبحت في شطئانها وتعلمت في دواوينها ومدارسها، اهتبلت فرصة من عمري للحديث عنها بالحجم الذي استطعته وبالقدر الذي أعتقد أنها تستحقه، فهي مدينة قديمة قدم التاريخ، وبسيط بساطة العراقيين، كانت ومازالت تعطي اكثر مما تأخذ، عانت الكثير من الأوجاع، وصمدت بوجه العديد من الأطماع وتعرضت للكثير من التشويه، فكافحت دفاعاً عن شرفها ووجودها بصلابة مشهودة وأريقت في سوحها الكثير من الدماء، أطعمت بسخاء القوافل القادمة والرائحة لوقوعها على الطريق التجاري الذي يربط المدائن والكوفة والبصرة وبغداد والموصل، لتصل الينا أخيراً مضمخة بالطيب، متجملة

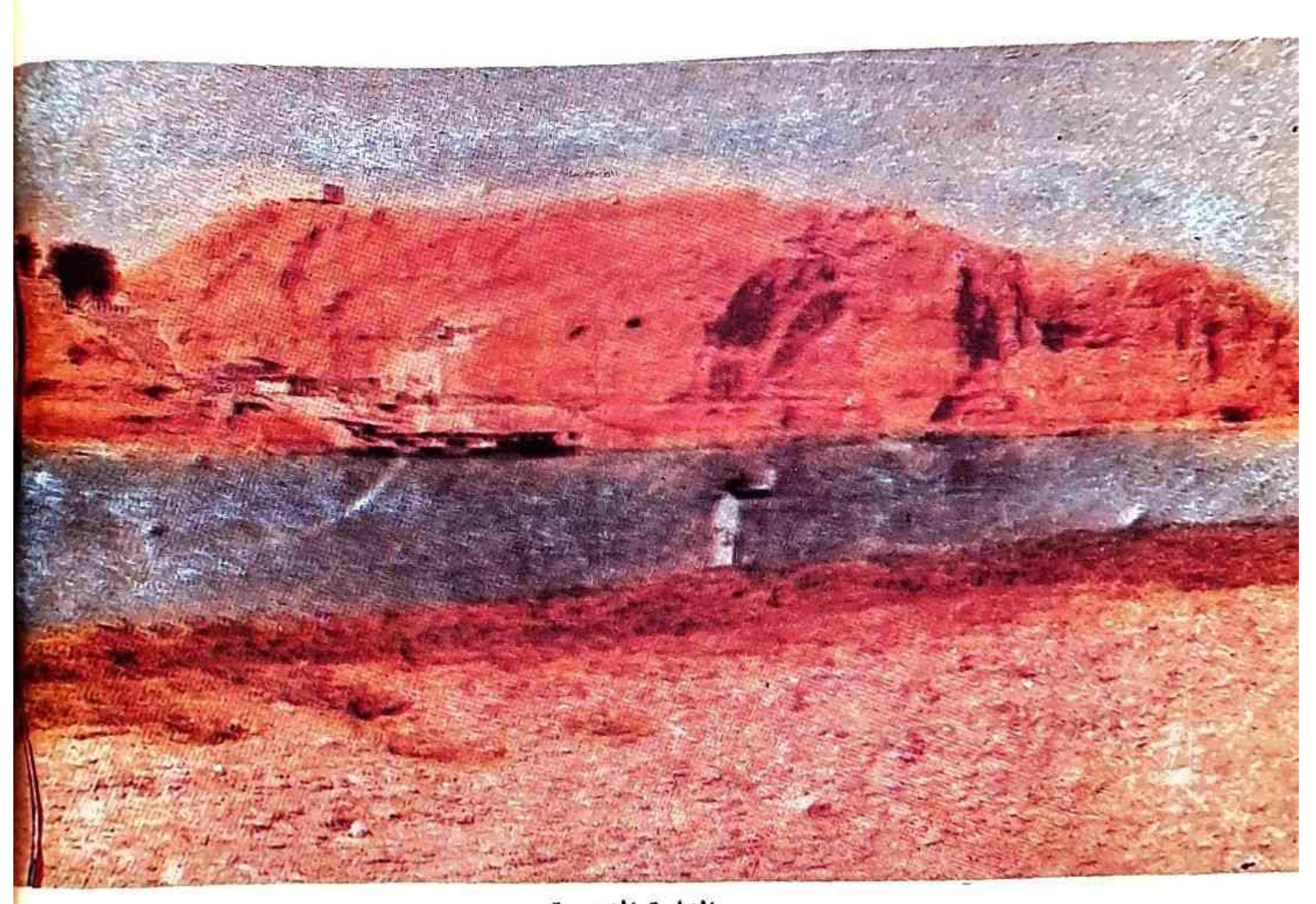
بالصبر والتواضع والكبرياء، أنجبت ولازالت تنجب الأبناء العظام وترفد الوطن والامة بالقادة والمفكرين على مر العصور.

لقد كنت حريصاً في باديء الأمر على الكتابة عن تاريخ المدينة منذ بدء التاريخ، حينما ذكرت رموزاً وسطوراً على الواح الطين زمن الآشوريين مروراً بالرحالة والمؤرخين حتى وقتنا الحاضر، ولكني وجدت ان البعض من المتتبعين قد سبقوني الى هذا بين معمم ومفصل، وبين مختلف ومتوافق فآثرت الانصراف الى ذكر فولكلور المدينة والعلاقات الاجتماعية والحياة الاقتصادية الخاصة بابناء المدينة وضمن الفترة الزمنية المحصورة بين مطلع هذا القرن وبين ثورة ١٩٥٨ حصراً وهي الفترة التي عشتها وعاشها الكبار ممن سبقوني يرحمهم الله، تلك الحياة التي كانت مستقرة نسبياً، ولقد توخيت من ورائها الاحاطة بها لأعتقادي انها جديرة بالذكرى لرقتها وجمالها وبساطتها وصفائها حفاظاً عليها من الضياع والنسيان، على أمل ان يتولى الجيل الجديد من الشباب تغطية الفترة اللاحقة. ولكي أحظى برضى القاريء الكريم أرجو أن يعذرني لهفوة او سقطة صدرت مني عن غير قصد لأنني في جميع الاحوال واحداً من أبناء المدينة ولست كلهم.

والله الموفق

المؤلف

١٩٩٠/١٢/٢٠



القلعة القديمة

لمحة تاريخية وأصل التسمية

في ركن متواضع من وسط العراق وعلى الضفة الغربية من نهر دجلة الخالد، وعلى خط عرض ٥ر٣٤° وطول ٥ر٤٣° تربض مدينة متواضعة متجملة بالصبر ومتحلية بالهدوءوالكبرياء اسمها تكريت، ولقد تعددت وتنوعت المصادر التاريخية التي تناولت موضوع تكريت وأصل التسمية تبعاً لتعدد الحقب الزمنية التي مرت بها المدينة، وطبيعة الاحداث الداخلية والخارجية التي تفاعلت معها وآثرت فيها، فالمدينة قديمة جداً، ولم تشر كل المصادر التاريخية الى البداية الاولى لها، غير أن ذكرها ورد على لسان الآشوريين والبابليين من خلال المدونات والرقم الطينية القديمة[١].

ومن بين هذه التسميات التسمية البابلية (تكريتان) أو (تكريتاين) ثم تسمية العالم الجغرافي بطليموس (برتا) والعالم ايمانوس (فرتا) ثم التسمية الآرامية (تكاروت) ليطورها السريان الى (تجريت) وتعني المتجر او المحل التجاري[٢].
وهذه أقرب التسميات كلها الى الواقع المستقر خلال فترة ما قبل الفتح الاسلامي، وتكاد هذه التسميات كلها تنحصر في مسميين (القلعة الحصينة) و(المتجر) وهما صفتان تنطبقان معاً على مدينة تكريت لأنها مركز تجاري وموقع حربي حصين في وقت واحد. ولاتزال قلعتها تطل على نهر دجلة من ارتفاع خمسين ذراعاً، وبوسع المرء الذي يمر فوق جسر تكريت الحديث رؤيتها وملاحظة كتل الصخر المرصوفة الواحدة بجانب الاخرى بحجم متر مكعب والتي كانت تستخدم لرمي المهاجمين على طريقة المنجنيق كلما دعت الحاجة لذلك، يحيط هذه القلعة من جوانبها الشمالية والغربية والجنوبية خندق كبير وعميق يغمر بالماء من نهر دجلة بواسطة بابين كبيرين في شمالها وجنوبها لا تزال بقاياهما موجودة حتى اليوم.

لقد شهدت هذه القلعة أحداثا مثيرة جداً تركنا أمر تفصيلها للمؤرخين والمتتبعين، ومما يؤسف له أن هذه القلعة العظيمة رغم قدمها لم يجر أي تنقيب جدي فيها بحجة ان العراق كله منطقة أثرية وأن الكادر المتخصص لايسعه تغطية كل المناطق وأن الأمر يحتاج الى مزيد من الوقت والانتظار، والتنقيب الوحيد الذي

جرى في تكريت كان عام ١٩٣٦ فقط ولم يشمل القلعة. وهكذا بقي هذا (الشيخ الجليل) يطل من ربا التاريخ بصبر لا ينفذ ينظر الى الاجيال المتعاقبة تمر من بين يديه على أمل أن تمتد اليه يد جادة وحنون لتفك الرموز عن كنوزه الدفينة.

ومما يؤكد قولنا هذا ما التقطته ولا زالت تلتقطه بعض الاصابع التي تتجول فوق سطح القلعة للنزهة في اعقاب مطر غزير من حلي ومصوغات ذهبية وقطع أثرية صغيرة واخرى رخامية كبيرة بعضهم أهداها الى مديرية الآثار العامة وبعضهم اشتراها مستشرق بسعر زهيد، والبعض الآخر استخدمها الأهالي لأغراض منزلية أصابها التلف مع الأيام.



محلة القلعة

ووما تجدر الاشارة اليه أن القلعة الشمالية هذه ليست وحدها التي تستأثر بالأهتمام فهناك قلعة أخرى الى الجنوب منها يفصلها عن الأولى منخفض بسيط، تعتليها هي الأخرى أبنية قديمة وأثرية على رأسها الكنيسة الشرقية التي لا تزال بعض آثارها ماثلة حتى اليوم، يزورها بين فترة واخرى المحققون الآثاريون وأقطاب رجال الكنيسة الشرقية الذين دونوا في كثير من رسائلهم اخباراً عنها وعن الدور الديني البارز الذي لعبته في السنين الخوالي عندما كانت مقراً رئيساً للمفريانية[٣]، تتبعها اثنى عشر ابرشية موزعة بين دجلة والفرات والموصل والمدائن.

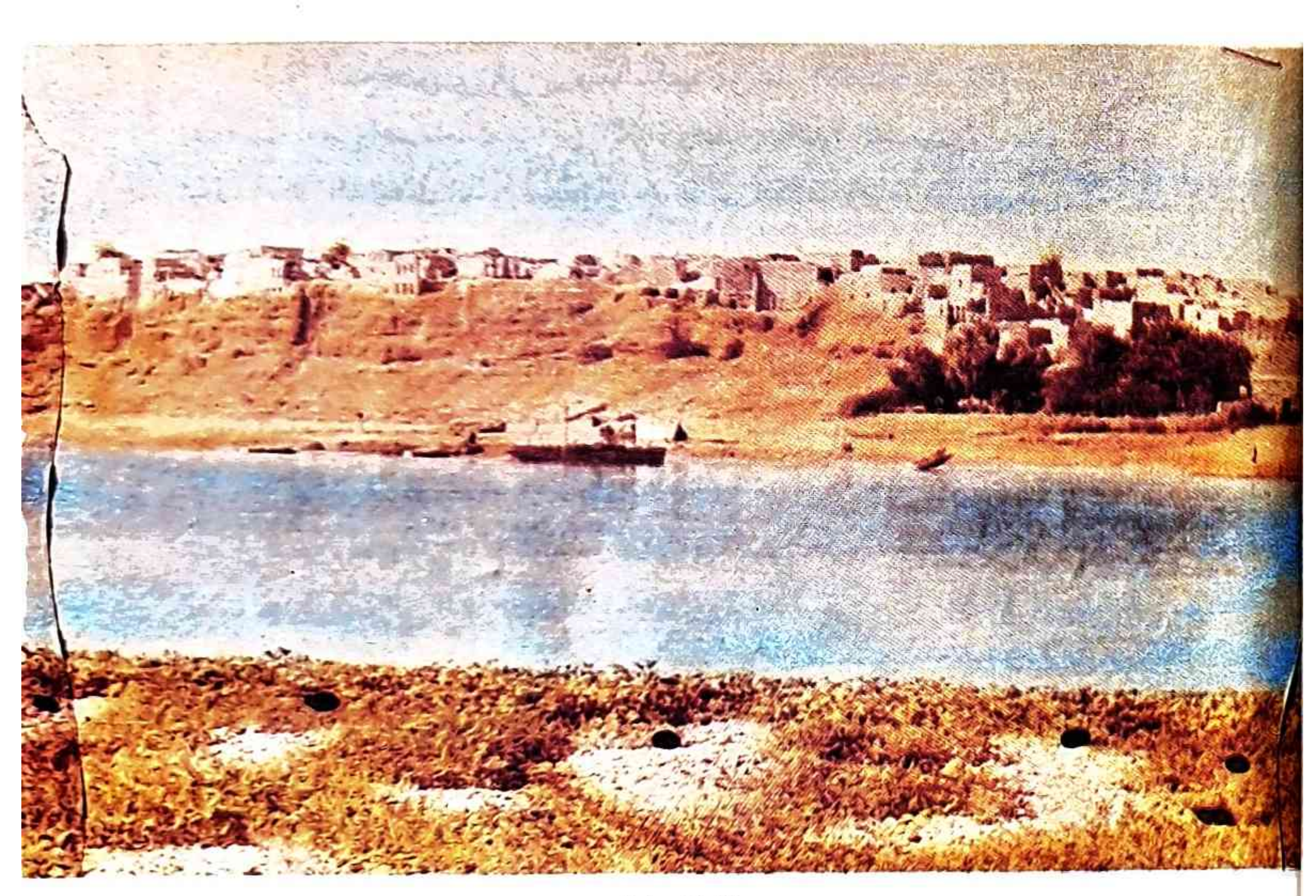
حول هاتين القلعتين أبتنيت الدور السكنية المختلفة الاشكال والاحجام من الحصى وجص (المحراق)[٤] المحلي الصنع لتتسع المدينة غرباً وشمالاً وجنوباً يحيط بها سور منيع يحتضن المدينة وأهلها بذراعين حانيتين لاتزال بعض معالمه باقية حتى الآن.

وهكذا أصبحنا نتلمس الموقع المتميز للمدينة وقلعتها وسورها من الناحية العسكرية البالغة التأثير في العصور السابقة، فهي اذاً جزء من أرض (الجزيرة)[٤] غرباً وتمتد شرقاً حتى تشرف على نهر دجلة وتطل عليه من جرف حاد يصل ارتفاعه الى أربعين أو خمسين ذراعاً مما أكسب المدينة وأهلها ثقة بالنفس وقدرة على تحدي المواجهات أياً كانت وفي كل الظروف والاحوال، ومن هنا كانت محط أنظار وتطلعات الشرق والغرب من حكام وقادة جيوش لاتخاذها مركزاً عسكرياً متقدماً، كما اثارت فضول التجار الوافدين من كل اتجاه للاستفادة من أهمية موقعها التجاري على طريق القوافل. كما أن أهالي تكريت بدورهم تعرفوا على طبائع الشعوب، أخلاقهم وقدراتهم فتعاملوا معهم بحيوية ومرونة أكسبتهم القدرة على التفاعل مع الحياة المتجددة. ومادمنا نتحدث عن التاريخ في هذه المدينة فأن مزار الاربعين الواقع غرب المدينة يعتبر واحداً من المواقع الاثرية الملفت للنظر سواء من حيث قدمه أو من حيث طراز بنائه، ولقد قيل فيه الكثير خصوصاً من قبل المؤرخين والمتتبعين والباحثين، ولكني لا أجد أي ضير في استخلاص تلك الآراء التي تنحصر في أن هذا البناء كان موجوداً قبل الفتح الاسلامي ويرجح أنه استخدم كمركز ديني للمسيحيين ثم تغيّر الى مركز ديني للمسلمين واستغل بعد ذلك ليصبح

مقراً عسكرياً متقدماً من غير أن يفقد طابعه الديني ،وحمل هذا البناء معه عبرالحقب بصمات الحكام الذين تعاقبوا في تحسين أبنيته وريازته ورعايته .

لقد وصلنا هذا الأثر اخيراً يضم بين جوانحه جثمان المجاهد الكبير عمر بن جنادة الغفاري مولى عمر بن الخطاب (رض) ومقريء الجيش الذي استشهد يوم الفتح في ١٦هـ ويقال أن اربعين شهيداً آخرين دفنوا معه ومن هنا اكتسب اسم الاربعين .

اما (الثبوت) وهي منطقة أومقبرة صغيرة تقع الآن في وسط المدينة قريباً من اعدادية تكريت للبنين فقد كانت تضم رفات الكثير من اهالي تكريت ممن كانوا يدفنون بجوار الرجال (الثبوت) الذين ثبتوا في القتال اثناء الفتح حتى استشهدوا الواحد بعد الآخر. لقد أصبحت هذه المقبرة مجهولة الآن ولايمكن العثور عليها الا بصعوبة .



محلة الحارة

قصة عبد السطيح

لم أجدفي كل المصادر التاريخية التي تعرضت لها على ما يشير الى وجود مثل هذا الاسم اومثل القصة التي تتردد على اكثر من لسان، سوى في البداية والنهاية لابن كثير (المجلد الثاني) الذي ورد فيه اسم سطيح الذي تنبأ قبل النبوة بميلاد الرسول الكريم محمد (ص) واشراقة فجر الاسلام الجديد.

أنني استخلص من كل مارواه السلف عن هذه القصة أن تكريت لكثرة ما تعرضت له من اعتداءات من قبل الغزاة واصرارها على الصمود ولدت هذه القصة تخليداً لكل الشجعان الذين استبسلوا دفاعاً عن الشرف والوطن والذين آثروا الموت الشريف على حياة الذل والهزيمة، وملخصها:

أن شخصاً اسمه عبد السطيح من أهالي تكريت يوم كانت الديانة النصرانية تشكل مركز الثقل في المدينة قبل الفتح، كان هذا الرجل الباسل يقاتل الغزاة الذين دخلوا القلعة خلسة وفي غفلة من حراسها فامتشق حسامه على عجل وامتطى حصانه واشتبك في قتال ضاري مع العدوحتى نبابه سيفه (اي كسر) وأيقن من انتصار العدو، فبادر الى نزع كوفيته وعصب بها عيني حصانه واطلقه تحته نحوجرف القلعة فهوى معه الى النهر من ارتفاع خمسين ذراعاً ليلقى حتفه مفضلاً الموت على رؤية آثار الهزيمة.

هذه هي كل الحكاية، وهي قصة تثير الاعجاب سواء دونتها الكتب ام تجاهلتها.

(١) D.J. Wiseman, Chronicles of chaldaean kings (626 - 556 B.C) London 1956) P54-65.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ـ جـ٥ ـ ٤٣٤ .

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) بولص بهناك ـ المشرق ـ١ (١٩٤٦) ٣٦ ـ ٣٧ .

د. جابر خليل . تنقيبات الموسم الاول في تل محيسن في تكريت ـ سومر م٣٦ .

عبدالرزاق الحسني ـ العراق قديماً وحديثاً ـ ط٣ (صيدا ١٩٥٨) ص١١٥ .

عبدالرزاق الحسني ـ موجز تاريخ البلدان العراقية ـ ط٢ (صيدا ١٩٣٣) ص٤٦ .

E.EBELING, in Peallexikon der Assyrioloyie.

(٤) كتاب (البادية) للراوي



القايم الصغير

مناخ المدينة

يتسم مناخ تكريت بحكم موقعها الجغرافي وسط العراق بشتاء بارد ممطر وصيف حار جاف، غير أن بردها في الشتاء اكثر قسوة وحرها في الصيف اكثر جفافاً، ويعود السبب في هذا الى أن أرضها جزء من أرض الجزيرة التي هي امتداد للبادية الغربية، وثانيها ندرة المزروعات والاشجار الكثيفة حولها وداخلها.

وحين نبدأ الحديث عن الفصول فأننا نجد من الأفضل الأستهلال بفصل الصيف المثير.

الصيف في تكريت

(معاش الفقير) هكذا يسميه أهل تكريت منذ زمن بعيد، ويبدولي أن سبب هذه التسمية يعود الى أن مستلزمات الحياة تكون في هذا الفصل اكثر يسراً ووفرة، فالخضروات على تنوعها كثيرة ورخيصة يستطيع اي انسان الحصول عليها بسهولة، فهي تشكل وحدها وجبة غذاء غنية مع رغيف الخبز المدور كالقمر ليلة بدره، وللرقي والبطيخ والخيار حصة الاسد فيها، مضافاً الى هذا الكثير من اصناف الطعام الاخرى المطبوخ منها وغير المطبوخ. كما ان الفقير في الصيف يكفيه ارتداء الدشداشة لوحدها ليستلقي في ليل أونهار على قفاه في اي موضع يشاء، يلتحف السماء ويفترش الارض وينعم بنوم هادىء ومطمئن، وهذا الأمر ينسحب على كل ابناء المدينة تقريباً لأنهم أميل الى البساطة منهم الى التعقيد.

تبدأ اطلالة الصيف عادة في اعقاب فصل الربيع حيث يودع الناس أياماً قصيرة عامرة بالحب والسعادة فتدهمهم نسمة حارة مفاجئة بعد أن تكون الغدران قد جفت وغادر العشب اخضراره، هنا يدخل الصيف الى المدينة من غير استئذان، فيتحول الناس كلهم الى النهر. . نهر دجلة العزيز الذي يكتسب اهمية بالغة بالنسبة للكبار وللصغار، ذكوراً واناثاً.

يذكر الصيف الفلاح بالزراعة الصيفية والأهالي بزراعة الشطاطي والتلميذ بامتحانات نهاية السنة الدراسية وبالعطلة الصيفية، ويذكر الوالدين بالملابس الصيفية والبيت والحاجة الى ترميمه أوبناء مرفق جديد، وبالزواج وبالختان. ولما كان النهر هو مصدر كل شيء حي، ومصدر الحياة الرئيسي لاهل المدينة وقراها

حتى الخمسينات وهو الاكثر عطاءاً وبركة فهو الى جانب كونه يسقي أي زرع وضرع فعلى كتفيه يحمل المغرّب والمشرّق، بين (كلك)[1] قادم من الموصل أو (طوف)[2] من الخشب و(عبرة)[3] تحمل البيض والدجاج و(طبقة شقلة)[4] لأحد الدوريين و(طرادة)[5] أو زورق حديدي كبير يحمل الحب والتمر أو (قعادية)[6] للحطب والحشيش اما الزوارق الصغيرة المصنوعة من الواح الصفيح فهي اكثر من أن تعد وتحصى تروح وتغدو كالسهام تحمل هذا الصبي أو تلك الصبية لهدف معين أو من غير هدف.

وبين أحضانه يسبح الصغار والكبار، ويندفع الصيادون الهواة والمحترفون للحصول على السمكة والطائر، ويلعب النهر دوراً اساسياً لربط المدينة بالقرى القريبة الواقعة على الجانب الشرقي منها ليغذي كل طرف الطرف الثاني بما يحتاجه من أسباب المعيشة.

في كل صيف يتجدد فرح الاطفال والشبان، فمتعتهم بالنهر لا تقل عن متعة النهر بهم فلا يوجد في مدينة تكريت في حينها من لا يجيد السباحة، نساءاً ورجالاً، صغاراً وكباراً، بينهما ألفة ومحبة لا حدود لها، فالنهر يحتضنهم صغاراً، يلقون باجسادهم الغضة بين احضانه بلا تحفظ العارف منهم بالسباحة وغير العارف، وقد تعودوا هذه الطريقة الفطرية جيلا بعد جيل، فهم لا يدرجون اليه بهدوء الحذر وانما يعتلون أي جرف أو نتوء ويقتحمونه هادئاً أو هائجاً غير عابئين بالغرق أو بالمخاطر الاخرى وصخبهم يصك السمع، تطير فوقهم في كثير من الاحيان اللقالق في طريقها بين الضفتين وسرعان ما يعلو صراخهم وگع.. وگع حتى يصل سمع اللقلق فيرتبك ويسقط بين اذرعهم ليحملونه برفق الى عشه القريب وتوجد مناطق محددة في بعض الجروف المرتفعة المطلة على النهر يصل ارتفاع بعضها الى عشرين متراً غير منتظمة يعتليها الفتيان وحتى الصغار ويلقون بانفسهم منها الى النهر للمتعة وغالباً ما يتنافس البعض منهم لاختبار الشجاعة وسلامة النزول ودقته، وكثيراً ما ذهب ضحية هذا التصرف الصبياني بعض المتهورين ومع ذلك لم يؤثر هذا على استمرارهم على هذا النوع من اللعب.

البعض منهم يشكل مجموعة يتنافسون فيها للعبور الى الضفة الثانية من النهر ذهـابـاً وأيـابـاً وتتكـرر هذه الصورة يومياً تقريباً ولا يفطنون الى انفسهم حتى يختلط الظلام أو يقرصهم الجوع أو ينهكهم التعب أو يفتقدهم الاهل.

ولقـد انفـرد الفـلاح التكريتي وحده وأقصد بهذا الفلاح في الضفة الشرقية، أعتاد في أيام الصيف أن يجلب انتاجه من الرقي بشباك خاصة يملأها بالرقي الذي يطفـو لوحـده على سطـح المـاء، يجلبـه من مسـافـة خمسة عشركيلومتر تقريباً الى تكـريت لبيعـه في (شـريعة)[٧] المدينة، وعندما يقترب من المدينة يعترضه الصغار من كل جانب للحصـول على رقيـة او اكثـر فيضطـر في كثيـر من الاحيان الى افتداء الشبكـة التي تضم اكثـر من خمسمائة سندية بخمس سنديات والا تعرضت الشبكة للتمـزيق وضيـاع كل ما تحتويه. وفي فصل الصيف تزدهر ايضاً السفرات والنزهات النهـريـة حيث تنعقـد زمر الشباب حافلة بالبرامج الترفيهية التي تتخللها فرص صيد الأسمـاك والطيـور. يذهبـون صبـاحـاً ويعودون مساءاً او يمضون اليوم واليومين في احدى الجزر الحصوية التي يزخر بها النهر بين بيجي وسامراء. أن هذا الأقبال على النهـر في فصـل الصيف أمـر ليس غريباً عن ذهن القارىء الكريم فهوبالاضافة الى متعة التنزه فيه وعلى جانبيه فهو الوسيلة الوحيدة لكسر حدة الصيف وجفافه، يوم لم يكن هناك اي نوع من انواع المكيفات اللهم الا (المهاف)[٨] البدائية لتحريك الهواء.

لقد كان البعض من اهالي تكريت ممن ابتنى غرفة او اكثر يعمد الى صناعة شبكـة من القصب والعـاقـول يضعهـا خلف احـد الشبابيك ويرشها بالماء بين فترة واخرى لتبرد بواسطتها النسيمات الحارة ويحضى بقيلولة هادئة ومريحة نسبياً.

كمـا كان الأهـالي كلهم ومـع باكورة الصيف يسرعون للنوم ليلاً على اسطح الـدور، فقبـل غروب الشمس بدقـائق كانت الـزوجـة او الفتاة تقوم بأخراج الفراش الـلازم لذلـك وتـرصفـه الـواحـد فوق الاخر وبجانبه، وغير بعيد عنه (تنگه) واجزاء متعـددة من رقيـات فاقعـة اللون لتبـرد قليـلاً ويستساغ اكلها. وهكذا تجد من يقف على أي سطح ويقلب ناظرين هنا وهناك يشاهد صورة زيتية لا مثيل لها تموج بشتى الألوان والانواع.

أمـا أذا حل شهـر رمضـان المبارك في أيام الصيف يوم لم تكن هناك مكبرات صوت أو مدفع افطار، فترى الجميع وقبل موعد الافطار بدقائق وقد تعلقت أنظارهم بسطح رجل الدين المعول عليه بتحديد وضبط ساعة الافطار، كان الاطفال اكثر من غيـرهم رغبـة في متـابعـة الـرؤيـة، وحـالما يلوح السيد حسني (رحمه الله) بمنديله الابيض تنطلق الاصوات كلها ضاجة من كل مكان بكلمة (ادّ آ آآآآآ آن) أي أذّن.

لقـد اختص فصـل الصيف دون غيـره بمـوعـد ختـان الاطفال وذلك لحلول العطلة الصيفية فلا يكاد يمر يوم أو اسبوع دون ان تسمع (هلاهل) في هذه الدار أو تلك تنبيء عن أعلان موعد ختان حيث تنعقد الدبكات التقليدية.

أن الحيـاة الاقتصـاديـة والمعيشيـة كمـا أشـرنـا اليهـا قبل قليل ميسورة لكل السـاكنين في المـدينة وريفها، ومما يزيد من فرص العمل في الصيف أعمال البناء التي تكاد تقتصر على فصل الصيف حيث يسهم عدد كبير من طلاب المدارس في اعمال البناء وبأجور بدأت بعشرين فلساً في الاربعينات حتى وصلت الربع دينار في نهاية الخمسينات.

وكماهي العادة في معظم انحاء القطر العراقي ينتهي فصل الصيف في شهر آب حينمـا تطـل العشـرة أيـام الاولى منه (بحرق بسمار الباب) وتليها العشرة الثانية التي (تقلل الاعنـاب وتكثّـر الارطـاب) ثم تختمهـا بالعشرة الاخيرة التي (تفتح من الشتاباب). ولكنه يغادر تكريت مودعاً بالكثير من حلو الذكريات الجميلة رغم وقدة حره التي لاتطاق.

الخريــف

مرور هذا الفصل في تكريت لا يترك اثراً مميزاً على الناس شكلاً وموضوعاً، فمقدمه لا يقترن بسقوط اوراق الاشجار كما تعارف الناس في غير تكريت على ذلك، لقلة الاشجار وضيق مساحة الاشجار النفضية كما يطلق عليها الزراعيون، وأغلب أدوار واثار الخريف سلبية أو تمهيدية، فمثلاً بالنسبة للفلاح يقوم بتصفية الزراعة الصيفية تمهيداً لتهيئة الارض والبذور للزراعة الشتوية، وزارع الشطية يسرع في تصفيتها نباتاً وثمراً وسيباطاً والرحيل الى البيت، والطالب يكف عن اللعب والتردد الى النهر لاستقبال العام الدراسي الجديد، والوالدان يفكران بتهيئة (المونة)[٩] من الحبوب والسمن والحطب قبل دخول الشتاء، ويتفقدان الدار واصلاحها قبل ان يداهمهم المطر. وتهيئة الملابس الشتوية وعلى رأسها الفراوي.

اما النزول عن السطح وترك النوم عليه فيجري تمشياً مع المثل الذي يقول: (أصعد باللحاف وانزل بالمهاف) وفي الوقت نفسه التحذير من السباحة في النهر وذلك لان برودته تؤذي المفاصل ويسمونه (الصفري) وأذاه يلحق ضرراً مستديماً في جسم الانسان عضلاته ومفاصله، وكلمة صفري مأخوذة من أصفرار الاشجار وأوراقها. في فصل الخريف يبدأ الرجل الذي تعود على احتضان بعض الرؤوس القليلة من الغنم والماعز يبدأ بتفقدها تمهيداً لجلبها كلاً او جزءاً قبل حلول الشتاء.

الظاهرة الجميلة والمؤثرة في نفوس الناس خلال هذا الفصل هي الامطار المبكرة التي ان ازداد هطولها اعتبرت السنة سنة (وسم) أي انها بشير خير للشتاء والربيع القادمين ففيهما تنحل الارض وتصبح مستعدة للنبات وللاستنبات يستوي في ذلك العشب الطبيعي أم (الديم)[١٠] أم المروي بالواسطة.

فصل الشتاء

بارد ممطر، وهو أمر معلوم ولكن الشتاء في تكريت يعتبر فصل الراحة والجمود النسبي، فكل شيء فيه يعبر عن القسوة، فالريح باردة، والماء بارد، والعمل محدود سواء في النهر أوخارجه، ومورده لا يوازي التعب والعذاب الذي يرافقه، من هنا يكثر تحلق العائلة حول النار وتكثر الامسيات التي تجمع عائلتين او اكثر في بيت واحد لقضاء شطر يسير من الليل (تعليلة)[١١]، أما مواعيد الكبار فتنعقد عادة في دواوين المدينة وتكاياها ومقاهيها، ويجري تبادل الاحاديث والذكريات والقصص القديمة منها والحديثة، الدنيوية والاخروية ومن الظواهر التي كانت شائعة في بعض المقاهي سرد القصص القديمة المشوقة مثل قصص الف ليلة وليلة وقصة أبوزيد الهلالي وقصة سيف بن ذي يزن وقصة عنتر بن شداد وكان من أبرز القصاصين المؤثرين جهاد الطه الذي كان يستحوذ على عقول واذهان المستمعين فيشدهم اليه الى درجة ان سكائرهم تفعل فعلها في فراويهم وعباءاتهم والحصران التي يجلسون عليها من غير ان يلتفتوا اليها.

وفي النهار نجد غالبية الرجال المتقدمين في السن يتجمعون منذ الصباح وبعد صلاة الفجر في المقاهي ملتفين بفراويهم وأرديتهم الثقيلة وكل منهم يطقطق بنار جيلته أو يحشو غليونه بالتبغ من كيس صغير أو علبة معدنية يصنع من تبغها لفافة سيكاره، وتدور فوق رؤوسهم اقداح الشاي او فناجين القهوة المرة، والبعض الآخر تجده منهمكا مع صاحبه في لعبة الدومنة أو لعبة (الداما)[١٢] التي انقرضت أو لعبة النرد، ليشيع في النهاية جو المقهى (الچايخانة) بكل صور الشتاء والبرد من غير وصف أو شرح. ومع كل ماتقدم فأن نشاط اهل المدينة لا يتوقف تماماً كماهو متصور، فللحياة متطلباتها وشروطها التي لا تنقطع، فلا الكلك يتوقف، ولا الحرف اليدوية ولا التجارة ولا الزراعة، لكنها بوجه عام لا تتسم بالسعة والانتشار المعهودين في باقي الفصول. وهذا الجمود ينسحب ايضاً على كل الحيوانات والزواحف والكائنات الاخرى. اما بالنسبة للاطفال والنهر فأن فرقتهما وتباعدهما يثيران الأسى والألم، فشطئان النهر خالية منهم ويتحول منظره اشبه بسارق يتسلل خلسة هارباً من

انظار الناس. ويبقى الشتاء وامطاره ومياهه مصدر كل كائن حي في تكريت وفي كل انحاء العالم، فحين تسقط الامطار بغزارة في مطلع الفصل أو في أشهر الخريف المتأخرة فأن الناس تستبشر بحلول سنة الوسم التي يكثر فيها العشب والكمأ، كما أن الفلاح وهو اكثر الناس فرحاً بالشتاء والأمطار يضمن موسماً شتوياً زاهراً وخصباً حتى في مواليد الاغنام والمواشيء ويزداد فرحه اكثر حتى اذا سقطت الدار بسبب الامطار البرية في تكريت وهي جزء من أرض الجزيرة هي الاكثر استجابة للمطر والاكثر تشوقاً لها وسرعان ما تكتسي بحلة خضراء تموج بالغدران من كل جانب مما ينبيء بفصل ربيعي جميل.

من الظواهر التي كانت منتشرة في تكريت وانقرضت الآن هي ان معظم العوائل كانت تقتني ثلاثة او أربعة رؤوس من الغنم والماعز (تتمنحها)[١٣] خلال ايام الشتاء والربيع لاستغلال حليبها، فيخرج بها الاطفال صباح كل يوم وقبل طلوع الشمس بقليل الى موضع قريب تتجمع فيه اغنام المحلة، ينتظرهم راعي غنم خاص يخرج بها الى البرية في المناطق المعشبة التي يعرفها اكثر من غيره ويعود بها مساءاً الى اطراف المدينة حيث يسبقه الاطفال الى المنطقة التي تعودوا رؤيته فيها فيأخذ كل واحد غنيماته ويفرزونها الى جانب قريب منهم ويتركونها بعض الوقت ليمارسوا بعض الالعاب المسلية وخصوصاً كرة القدم التي لم تكن متوفرة في تلك الايام فيعمدون الى صنع كرة من القماش بحجم الكف الامر الذي كانت خلالها تتجرح اقدامهم لصغرها فيضربون الحصاة المسننة النابتة في الارض بدلاً منها. وعند مغيب الشمس يسوقون الغنيمات امامهم، ولكنها حالما تدخل بعض حارات المدينة حتى تسرع قافزة وراكضة الى الدار التي تعود لها قبل وصول الاطفال فتستقبلها ربة البيت او احدى بناتها لتحلبها الحلبة المسائية اضافة الى حلبة الصباح.

لقد كان هؤلاء الاطفال على علاقة ودية مع راعي الغنم فبينهما تمتد جسور نفسية بالغة النقاء والصفاء، سيد مهدي (رحمه الله) مثلاً كان يحب الاطفال.. يلاطفهم ويتحمل بعض قساواتهم بصدر رحب وكأنهم اطفاله، وكان لفرط تعلقه

بالبرية وابتعاده عن المدينة وصخبها سبباً في عشقه للحرية يتمتع بنقاء قلب وصفاء نية لا مثيل لها، ولهذا لم يكن يعرف غير النكتة البريئة والتعليق الطريف، ولازالت كثير من ملحه وطرفه نتناقلها حتى اليوم.

تبقى هذه الحيوانات بين البيت والراعي طيلة ايام الشتاء والربيع وتنتهي هذه الصورة الجميلة مع جفاف الغدران والعشب ومع هبوب النسيمات الحارة المتطفلة، عندها يقوم رب العائلة باعادتها بعد ذلك الى أحد معارفه من الفلاحين الاصدقاء. ليضمها الى غنمه أيام الصيف والخريف فأما أن تتكاثر أو تقل تبعاً للظروف والاحوال وتتكرر هذه العملية كل عام وكل شتاء.

حين يبدأ موسم الامطار نجد (البرية) وهي الارض المحيطة بالمدينة، تبتل اولاً ثم ترتوي ثانياً، وأذا توالت الامطار تتشكل (الغدران)[١٤] وأذا ازدادت تكون سيولاً صغيرة تلتقي مع بعضها فتكبر وتنحدر باتجاه المدينة أو خارجها لتصير سيلاً يخترق المدينة من غربها الى شرقها باتجاه النهر، جارفاً امامه اغلب النفايات المتخلفة في الطرقات والازقات، ويسقط احياناً جداراً متهالكاً يعترض طريقه، وفي كثير من الاحيان كانت ربة البيت تنتهز هذه الفرصة فتعمد الى كنس (حوش) الدار لتدفع مياهه الى الشارع فيلتقي مع السيل المتدفق نحو النهر، ولتصبح المدينة كلها نظيفة طرقاً ومساكن. أن انحدار الارض في مدينة تكريت من الغرب الى الشرق سهل لها عملية انسياب المياه الامر الذي لم تعد فيه بحاجة ماسة لشبكة المجاري، كما أن طبيعة الارض من الناحية الهيدرولوجية الغنية بالكلس والحصى جعلها غير قابلة لتغدق المياه لانها تشربه قبل أن ترتوي فلا سبيل لتجمع المياه الاسنة أو ركودها. في السنة التي يشح فيها المطر فأن الفلاح يعمد الى بيع بعض اغنامه ومواشيه حرصاً على الفتية منها والقوية، وكان لزراعة الديم أثرها البالغ على هذا الامر. فكلما كانت الامطار غزيرة كلما زاد العشب الذي هو خير غذاء لكل الحيوانات والعكس صحيح. والمنطقة المحيطة بتكريت هي منطقة رعي بالدرجة الاولى.

فصل الربيع او فصل الحب

ربما لقصره أو مجيئه بعد الشتاء القاسي سميت أيامه ايام الحب، والربيع في كل انحاء العالم هو فصل الجمال والسعادة، يفرح بمقدمه كل كائن حي، ولكن بهجته في تكريت في النصف الاول من هذا القرن تكتسب لوناً اكثر جمالا، فأيامه معدودة تبدأ بعد انصراف الشتاء مباشرة وهي لا تتجاوز الشهرين آذار ونيسان فقط لان الحر يأتي في الغالب مزاحماً للربيع في شهره الخامس. ويحلو فصل الربيع اكثر حينما تكون السنة سنة (وسم) حيث بكرت الامطار وتوالى سقوطها بغزارة، فالارض معشبة والزهور المتنوعة الاشكال والالوان تطرز البراري الشاسعة والوديان الصغيرة والغدران المتناثرة هنا وهناك تملأ اي منخفض أو خضرة تتراقص صفحة المياه فيها عاكسة أشعة الشمس ليراها المتجول من مسافة بعيدة، وفوقها تحلق شتى أنواع الطيور، أما الكمأ فـ (مساميره)[١٥] لا تكاد تنتهي، ولقد كان العشب في تلك الايام يدخل حتى في الطرقات والازقة بل وفوق سطوح الدور. نعم فوق اسطح الدور لان ترابها جزء من تراب (البرية) يوم لم تكن هناك طرق معبدة كما هي عليه الآن.

هذه الصورة الربيعية الجميلة تزينها الطفولة البريئة قبل اي شيء آخر، فهم اكثر الناس استجابة لنداء الربيع لأنهم منذ الصباح يسبحون في التلال والوديان والبادية يقفزون ويتراكضون ويلعبون ويجمعون شتى أنواع الزهور وغالباً ما كانوا يأكلون بعض انواع النباتات البرية كالبابونج و(الحميض)[١٦] وهي التي لا تظهر الا في فصل الربيع، كما يجمعون باقات (القيسوم) وهو نوع من النبات يقتل الذباب أو يطرده من البيت.

أما الشباب فتراهم يخرجون عصر كل يوم الى اطراف المدينة للتمتع بمنظر الطبيعة الخلاب وغالباً ما يدندن أحدهم ببيت من السويحلي أو الميمر والزعيلان، ويعود الجميع بعد غروب الشمس مباشرة.

الفتيات والشابات حصتهن من الربيع هي الخروج من البيت بعد الاستئذان من الام للالتقاء بصديقة أو جارة وفي منطقة محدودة لا تتجاوز اطراف المحلة

المعشبة يتجمعون هناك بعباءاتهن ليلعبن (الطمّة)[١٧] أو (الشقصة)[١٨] وهي لعبات شرحناها في فصل الفولكلور.

نادراً ماكان الرجال الكبار والنساء يتمتعون بالربيع خارج المدينة، اذ يكفيهم الجو المعتدل والنسيمات العليلة ترويحاً عن النفس. وأن كان البعض منهم يخرج للتفتيش عن (فگع)[١٩] أو اكثر من الكمأ، ليتعشى به (مطجّن)[٢٠] أوسلقاً أو تضيفه ربة البيت فوق (البرغل)[٢١].

في المدارس وعلى مختلف المستويات التعليمية تشكل السفرة المدرسية عنصراً هاماً في فصل الربيع، أذ تشترك فيها الاسرة التعليمية كلها، مدرسين وطلاباً وفراشين، والكل سواسية في التصرفات وفي التمتع بحرية القول والعمل، دون الاخلال بالموازنة الاخلاقية التقليدية.

كنا قد تعودنا ونحن طلاباً عندما نزمع الخروج غداً في سفرة مدرسية أن نشكل وبأشراف احد المدرسين لجنة خاصة تتولى اعداد وتهيئة مستلزماتها، وهي بوجه عام كمية مناسبة من الخبز المتميز بجودة حنطته واستدارة الرغيف وبياضه، ومن الدهن الحيواني الطازج الذي تملأ الانف رائحته من بعيد، والشاي والسكر والبصل والحمص، وكذلك القدور والجفنات و(الخاوليات)[٢٢] أو المناشف وبعض البسط كل هذا يجمع من البيوت (بيوت الطلبة) كل حسب امكانياته وتوفر الشيء في حينه عدا اللحم الذي يتم شراؤه أما خروفاً أو اكثر ويجمع ثمنه ممن لدية الامكانية من مدرسين وطلبة.

تخرج صباح يوم السفرة وفي تمام الساعة الثامنة بعد أن نتجمع في المدرسة بينما يقف اعضاء اللجنة خارجها مع دوابهم والأواني والحطب حتى يخرج المدرسون المشاركون فيصدرون الامر بالتحرك. يسير الركب مجتمعاً أومنفرداً، هذا بالثياب الرسمية وذاك بالدشداشة والسترة والآخر بفروة وبسعدونية وجداعية والبعض يرتدي البشت والبعض غترة وعقال وهذه كلها تحدثنا عنها تفصيلا ضمن فولكلور المدينة القادم. بعد مسيرة ساعة يحط الركب رحاله قرب غدير مناسب فيتوجه كل الى عمله، هذا متخصص بالطبخ وذاك بتنظيف القدور والجفنات وآخر بمد البسط اوبتهيئة الاحجار او الحصاة الكبيرة التي تصلح قاعدة للقدر. الخ. أما

باقي الطلاب فأما أن ينقسموا الى فرق لكرة القدم أو لكرة الطائرة والكثيرون ينتشرون في المنطقة القريبة حول المخيم للتفتيش عن فكّع كمأ أو اكثر او يجمع شدة من الورد الذي تزخر به البرّية. وفي حوالي الثانية عشرة او الواحدة ظهراً تعلن صافرة المدرس بوجوب التجمع لتناول الطعام الذي نضج، وماهي الا دقائق حتى يلتف كل اربعة أوخمسة طلاب حول جفنة مكللة بالثريد واللحم المعزز بالبصل والحمص ومرق اليخني يستوي في التجمع المدرس والطالب، وبين تعليقاتهم وضحكاتهم تتبخر محتويات الجفنة وتغيب كلمح البصر لتبدأ عمليات التنظيف في الغدير الزاخر بالماء الصافي الجميل.

هنا يقوم الطلاب الذين تخصصوا بصنع الشاي باعداده وتقديمه لأساتذتهم واخوانهم من الطلاب هذا بكوب معدني وآخر زجاجي وآخر لا يشربه الا باستكان.. يوم لم تعرف الفاكهة طريقها الى تكريت عدا التمر والدبس. وقبل غروب الشمس بقليل يكون الجمع قد عاد الى المدينة وانصرف كل الى داره لينعم بنوم هادىء وسعيد وليحلم باطياف أروع للربيع الفصل الاكبر في ميلادها وازدهارها.

وحين نتحدث عن علاقة الانسان بالربيع فيجب أن لا يفوتنا الحديث عن علاقته بالفلاح والاغنام والماعز. وكما هو معلوم فأن أي فلاح لا يعدم عدداً لا بأس به من المواشيء والاغنام والماعز، وهذه الحيوانات لا يكفيها ما يقدم لها من طعام جاهز من التبن والشعير، لهذا فعندما يشح المطر في شتاء أي سنة تصبح مثل هذه الحيوانات عبئاً على الفلاح مما يحمله على تقديم بعضها للبيع حفاظاً على البقية، لهذا يرخص سعر اللحم في السوق، أما أذا امطرت بغزارة فأن الارض كلها تكتسي حلة خضراء فيزداد خصب الحيوانات وتتحسن صحتها لوفرة الطعام من غير أن تثقل كاهل الفلاح، كما يزداد انتاجها من الحليب والصوف والشعر بالاضافة الى الولادات الكثيرة.

ولقد اشرنا في الصفحات السابقة الى (المنايح) التي كان قد اعتاد عليها بعض ابناء المدينة خصوصاً في ايام الربيع المزهر والمعشب.

يبقى فصل الربيع عزيزاً على نفوس الجميع وضيفاً أثيراً لديهم، لا يكادون يحسون بأيامه الجميلة وهي تهرب من بين أخيلتهم وابتساماتهم حتى تدهمهم نسمة حارة مفاجئة فيتلفتون حولهم ليجدوا ان العشب بدأ يصفر والغدران تجف، عند ذلك فقط تتحول الابتسامات الى وجوم يكسو الوجوه كلها وكأن صديقاً عزيزاً غادرهم الى غير رجعة، ولا تبقى منه غير الذكريات والقصص الجميلة والطريقة.

أنها الحياة وقوانينها الطبيعية التي تفرض صيغها الثابتة والمستقرة حتى يومنا هذا، رغم ما افرزته الحضارة والصناعات المختلفة من وسائل حديثة للتخفيف من قسوة تلك القوانين التي كثيراً ما اثقلت كاهل ذلك الجيل.

(١) الكلك واسطة نقل نهرية قديمة لنقل البضائع بين الموصل وبغداد.
(٢) الطوف واسطة نقل قديمة لنقل الخشب فقط بين الموصل وبغداد.
(٣)العبرة واسطة نقل نهرية لنقل البيض والدجاج في منطقة تكريت والقرى القريبة.
(٤) الطبقة مجموعة من الاعمدة الخشبية يرزمها الرجل مع بعضها يضع تحتها بعض الجربان.
(٥) الطرادة زورق حديدي كبير نسبياً، بطول عشرة امتار وعرض مترين وارتفاع متر للنقل النهري.
(٦) القعادية مجموعة اعمدة خشبية تحتها بعض الجربان لايصال هذه الاخشاب عن طريق النهر الى المدينة.
(٧) الشريعة المكان الذي يقع على شاطيء النهر لعبور الناس والدواب الى الجهة الثانية.
(٨) المهاف اداة صغيرة مصنوعة من سعف النخيل لتحريك الهواء امام الوجه صيفاً.
(٩) المونة مجموع مواد المعيشة التي يدخرها التكريتي في بيته كالحنطة والشعير والسمن والحطب والدبس.
(١٠) الديم طريقة لزراعة الحبوب في منطقة الحويجة والجزيرة تعتمد على المطر في سقيها.
(١١) التعلولة الفترة الزمنية التي تقضيها العوائل مجتمعة في امسيات الشتاء خاصة.
(١٢) الداما لعبة رجالية تتكون من قطع خشبية صغيرة ورقعة تشبه رقعة الشطرنج.
(١٣) المنيحة النعجة او الماعز التي يقتنيها التكريتي ويربيها في بيته ايام الشتاء والربيع.
(١٤) الغدير الماء المتجمع من مياه الامطار في منخفض صغير من الارض ايام الشتاء والربيع.
(١٥) مسمار منطقة محددة من الارض تكثر فيها بذرات الكمأ الواحدة قريبة من الاخرى.
(١٦) الحميض والغيسوم نباتات برية تكثر ايام الربيع فقط الاولى تؤكل وطعمها فيه بعض الحموضة والثاني لطرد الذباب.
(١٧) الطمّة لعبة بسيطة تمارسها الفتيات الصبيات ايام الاعياد والربيع وهي كومة من التراب والنقود.
(١٨) الشقصة لعبة بسيطة تمارسها البنات وهي بعض الحصيات الصغيرات تلقى في الهواء لتستقر على ظهر الكف.
(١٩) الفكَع بواسطته يستدل على موضع الكمأ، ارتفَاع وتشقق الارض بحجم الفنجان.
(٢٠) المطجن طريقة لطبخ الكمأ وحده مع السمن والفلفل والبصل.
(٢١) البرغل بعض مشتقات الحنطة بعد تنظيفها وسلقتها وتهبيشها وغربلتها. يؤكل بدل الرز.
(٢٢) الخاولي منشفة صغيرة لمسح الوجه واليدين لا تزال مستخدمة.
(٢٣) الشربة كلمة تكريتية تعني «قلة الشرب الفخارية»



الحياة الاقتصادية والمعيشية

أن الحياة المعيشية لأي مدينة في العالم تختلف وتتنوع باختلاف الازمنة والعصور وباختلاف المناخ والبيئة، وبتنوع الموقع وظروفه، فهذه المدينة تقع على ساحل البحر فيحترف سكانها مهنة الصيد، وتلك تقع على مفترق الطرق التجارية فيحترف اهلها التجارة، وهذه تقع في سهل رسوبي فتحترف الزراعة. . الخ. ولا تستقر حالة اي مدينة على ظرف اقتصادي ومعاشي واحد وأنما تتطور وتتنوع وفقاً لتطور الظروف والاحوال فبعض المدن الساحلية أنحسر اقتصادها الذي يعتمد على الصيد ليتحول الى الاقتصاد السياحي ومدينة اخرى وبسبب انتاج زراعي معين في منطقتها تعتمد عليه صناعة مهمة للبلد تحول قسم كبير من ابنائها للعمل في مصنع بني قريباً منهم لهذا الغرض وهكذا. أن مدينة تكريت التي اشتق اسمها من كلمة (تجريت) السريانية وتعني المتجر أو المحل التجاري ينطبق عليها هذا الوصف تماماً ولكن في العصور الماضية، فقد كانت محطة مثالية للقوافل التجارية المارة بها بين المدائن والموصل لتستريح فيها من عناء التعب لمدة يوم أويومين، ويصلح التاجر ما أتلف من مواده ويستبدلها بغيره، كما يجري تبادل الاحاديث المختلفة بين المشرّقين والمغرّبين عن الاوضاع المناخية وعن أمّان الطرق، وأسعار السلع والمنتجات وعن كل غريب وطريف. وكانت تكريت واهلها يقدمون الخدمات والخبرات المختلفة لهذه القوافل بروح طيبة وضيافة أطيب، ومن بين ما يقدمه الاهالي ايضاً الصناعات اليدوية المحلية من جلدية ونسيجية ومن منتوجات زراعية وحيوانية متنوعة سنتطرق اليها لاحقاً، كما أن أهالي المدينة بدورهم زادت خبراتهم وتطورت قدراتهم في التعامل مع اصحاب القوافل فتعرفوا على طبائع الشعوب وصفاتهم والمنتجات الاخرى ومصادرها وأقيامها. فأصبح التكريتي في تلك الأيام مستودعاً للمعلومات البشرية والسلعية.

غير أن توالي الاحداث وتعاقب السنين والركود الاقتصادي الذي أناخ بكلكلة على العراق كله جعل من مدينة تكريت ومجتمعها المتوثب تعيش فترة طويلة من الزمن يغلب عليها طابع الركود النسبي دون أن تفقد احساسها العميق

بقدرتها على الاسهام في أي دور حضاري وأنساني قادم، ولكن النشاط التجاري له مرتكـزاتـه ومقـومـاتـه كما قلنا قبل قليل، فهويتسع ويزدهر تبعاً للنهوض الاقتصادي للبلد الزراعي منه والصناعي، وحيث أن الاقتصاد الذي نتحدث عنه في تلك الفترة لايزال بسيطاً ومتواضعاً في تكريت فأن الامر كله محصور في حدود الحرف البسيطة والمنتجات الزراعية والحيوانية المحدودة والتي سنتحدث عنها خلال استعراض سريع.

تشـرب ـ تكـريت شمس يومهـا مبكرة فينهض الجميع مع أشراقتها الاولى أو قبلها بقليل، الكبار والصغار ومن الجنسين، وقبل الجميع تكون الام أو الفتاة الكبيرة قد سوت الارض ومـدت بسـاطـاً أو أكثـر واعـدت ما تيسر من طعام للفطور الذي لا يتعـدى الشـاي الذي ادخله الانكليز معهم بعد الحرب العالمية الاولى، أوحليباً أو طبيخـاً أو نعـامـة او برغـل، كل هذا مؤطراً بالخبز العراقي المعروف. يجلس الاب وأولاده فقـط وهي عادة متبعـة عنـد أغلب العوائل التكريتية في ذلك الوقت، فيأكل الرجال اولاً ثم يدفع ما تبقى من الطعام الى النساء ليضيفوا اليه جديداً ويستوي في ذلـك الكبـار والصغار، وربما يكون السبب في اعتماد هذه الطريقة هو توقير الرجال واحتـرامهم من جهـة ومن جهـة ثانية ان النساء لا يملأن بطونهن بحضور الرجال ولا يتمتعن كثيـراً بلذة الطعـام، ولاتـزال هذه العـادة متبعـة عند الكثير من العوائل حتى الآن يستوي في ذلك الساكن في تكريت أو في المدن الاخرى من الوطن.

يجري على مائدة الفطور المتواضعة هذه تبادل الحديث بين الاب وأبنائه عن عمـل ذلـك اليـوم، فيبـدأ الاب بتنبيـه طلاب المـدارس على ضرورة الاهتمـام بدروسهم لتحقيق النجـاح، وأذا كانت ايـام عطلة فأنـه يوزع اعمـالهم كل حسب قابليته، فيطلب من هذا جلب (النفط) الذي نفذ أو يوشك أن ينفذ من محطة القطار التي تبعـد ثلاثـة كيلومتـرات غرب المدينة على حمار ـ أن وجد أو استعارته من احد الاقـربـاء أو الجيـران، والـولـد الآخر القيام بحمل كيس الحنطة الى ماكنة الطحين لطحنه والعودة به، بعد أن دخلت ماكنة الطحين في الاربعينات فالمرأة قبلها كانت هي التي تطحن (هشـل)[1] يومهـا. أمـا البنـات فواجباتهن معروفة لدى الام وهي لا تتعـدى جلب المـاء الصباحي من النهر بـ (صفريتها)[2] التي تحدثنا عنها في فصل

الفولكلور يوم لم تكن هناك أسالة الماء، وقبلها تنظيف البيت وتنظيمه، أما الأم فتنصرف الى ارضاع الطفل ومراقبته والى طبخ الطعام، ويبقى موضوع الخبز موزعاً بينها وبين أبنتها. وهناك بعض الاعمال التفصيلية الاخرى كرتق ثوب ممزق أورعاية حيوان اليف. ويمكننا الآن الاحاطة بطبيعة عمل كل فرد في العائلة: الرجال لأنجاز العمل الخارجي والنساء لأتمام العمل البيتي، والقاعدة المركزية المتبعة في العائلة التكريتية هي أن الأب هو قطب المجتمع الصغير هذا، وبعده الام، ثم الكبير فالاصغر، ولايمكن لأحد أن يخرق هذا النظام بأي حال من الاحوال، الصغير يحترم الكبير والكبير يعطف على الصغير ويوجهه، والاب يسعى جاهداً لتوفير لقمة العيش لعائلته فهي مسؤوليته هو وليس غيره.. أن الجهد الذي يبذله المواطن في ذلك الوقت لايدع له مجالاً للراحة والاسترخاء الا في بعض ايام الشتاء التي تحدثنا عنها سابقاً. أما الباقي فجهد عضلي قاس لايعرف الرحمة، السير على القدمين والحمل على الكتف أوعلى الظهر أوعلى حمار، شداً بالساعدين وزماً على الشفتين وصرامة وحزماً طيلة الوقت الذي يتطلبه العمل للانجاز والكمال.

وربما لا يجتمع الاب مع عائلته في فترة الغداء لانصرافه الى متابعة عمله، وقد يبيت الليلة أو الليلتين وربما الشهر خارج المدينة في الموصل أوبغداد أوفي احدى القرى القريبة، ليعود اليهم اخيراً عودة الصقر الى وكره حاملاً معه ما تيسر من الرزق الحلال.

بعد غروب الشمس يسود الظلام كل أجواء المدينة وأهلها، ويوم وصلتها الطاقة الكهربائية في الاربعينات كان اشبه بالحلم الذي لف النفوس وأنعش الارواح المتعطشة للنور والبهجة فـ (الفانوس واللالة)[٣] التي أكلت عيونهم ومزقت اعصابهم لم يكونوا يصدقوا قبلها أن هناك افضل منها، ولقد بقيت هذه الأدوات ترافق الطاقة الكهربائية في المنازل لانها لا تزال ضعيفة حتى الخمسينات.

لقد اعتادت العوائل التكريتية ان تتزاور بعد طعام العشاء مباشرة وبعد أن يغادر الرجل البيت خارجاً الى الديوان أو المقهى، فتقوم المرأة باصطحاب باقي افراد عائلتها الى دار احدى الصويحبات من الاهل او الجيران لتمضية بعض ساعات (التعليلة) معهم، وبين احاديث النساء وثرثرة الاطفال في غرفة واحدة

(المقطع)[٤] وعلى بصيص السغيج او الفانوس أو اللالة تبدأ طقطقات الشامية (الدغتشام) تتعالى على (الكنون)[٥] أو (البريمز)[٦]. يرافقه احياناً صحن من الدبس مع بعض الارغفة للصغار لتتشكل اجمل اللوحات التجريدية عل صدورهم ووجوههم وهم ينصرفون الى تغميزها وتناولها بعفوية الطفولة وبراءتها.
طالب المدرسة المطالب بحل واجباته البيتية فيصعب عليه التركيز سواء في النظر الى حروف الكتاب أو الاحاطة بالفكرة في مثل هذا الجو الصاخب والنور الضعيف، لهذا يعمد بين فترة واخرى الى الصراخ لحمل الجميع على السكوت.(*)

(*) استميحك ايها القاريء العزيز عذراً أن كنت قد شططت قليلاً في حديثي عن المحرى العام للموضوع، انها التداعيات فحسب.

الزراعة في تكريت والقصبات القريبة

أن موقع المدينة البسيط كجزء من ارض (الجزيرة) التي هي أمتداد للهضبة الغربية جعلها تفتقر الى الارض الرسوبية الصالحة للزراعة إلا من شريط ضيق يمتد على الضفة الشرقية لنهر دجلة. لا يزيد عرضه في احسن الاحوال عن كيلومترين تتخلله الكثير من الفجوات والجزر الحصوية غير الصالحة للزراعة، تستغلها اكثر من مجموعة من القبائل العربية المعروفة مثل البوعجيل والجبور والبومحمد والبوعلي. أما الضفة الغربية للنهر فهي عبارة عن جرف صخري يطل على النهر من ارتفاع ثلاثين ذراعاً يستمر محاذياً للنهر من جنوب بيجي حتى العوجة(*) وعوينات التي هي عبارة عن مساحة محدودة من الارض الصالحة للزراعة تستغلها ومنذ زمن بعيد عشيرة البيجات وهي عشيرة السيد الرئيس القائد صدام حسين، وفجوة اخرى من الارض الصالحة تسمى (الحمرة) كانت تعود لمولود مخلص وتقع شمال تكريت بما يقرب من الخمسة عشر كيلومتر، ثم جنوبها بقليل قطعة صغيرة من الارض الزراعية تعود لعائلة الحاج احمد (جد المرحوم حماد شهاب). اما ارض الجزيرة أو البادية وكذلك الحويجة التي يسكنها العبيد فهي ارض رعوية تحفل بالكثير من قطعان الغنم والماعز التي ترفد المدينة بمنتجاتها. لقد مرت مدينة تكريت وريفها بفترات زمنية أزدهرت فيها زراعة الكروم حتى ضرب بها المثل لغزارتها وجودتها، أما اليوم فلا تكاد تسد حاجة الناس، الخضروات وحدها كانت تغطي الحاجة وتزيد فتصدر الى كركوك، كانت الزراعة في الفترة التي نتحدث عنها الآن تعتمد على طريقة (النير ونير)(٨) اي أن الفلاح يعمد الى استثمار أرضه بالمناصفة وبالدور أي يستخدم هذا الموسم نصف الارض ويسكن عائلته النصف الثاني، وفي السنة التي تليها يستبدل هذه بتلك والسبب في ذلك هو حاجته لتسميد الارض حينما ينتقل اليها بأهله ودوابه. أما منطقة الديم التي تعتمد على مياه الامطار فتكون الارض فيها واسعة ولا تحتاج الى رصد ومتابعة كماهو حال الارض المروية بواسطة المكائن أو المضخات التي تنصب على جرف النهر لسحب الماء الى الاعلى وسقي المزروعات والتي غالباً ماكانت تتوقف عن العمل بسبب العطل الذي يصيبها او

لنقص في الوقود. كان الانتاج الزراعي في منطقة تكريت بسيطاً ومتواضعاً ولكنه يكفي لحاجة السكان، تلك الحاجة البسيطة هي الاخرى والتي لا تحفز المواطن على المثابرة والابداع بالاضافة الى انعدام الاسمدة والخدمات الزراعية والحيوانية الاخرى.

والبرغم مما تقدم فأن منطقة تكريت ريفاً وبادية لم تتوقف عن الانتاج الزراعي والحيواني فلقد كانت مشهورة بالحنطة والشعير والسمسم والذرة بنوعيها، وكذلك بانتاج السمن والصوف والجلود والحيوانات الحية والبيض والدجاج والرقي والبطيخ ومن هنا ازدهرت العلاقات التجارية وتوثقت بين تكريت والموصل وكركوك وبغداد كما كانت جسور الثقة بين التاجر التكريتي وتجار الموصل وكركوك وبغداد راسخة ومعززة بالصدق والمحبة.

العوجـــة

العوجة أرض زراعية تقع في الضفة الغربية من نهر دجلة جنوب مدينة تكريت بمـا يقـرب من العشـر كيلومتـرات، مشتق اسمهـا من اعـوجـاج نهـر دجلة في تلك المنطقة كما هو الحال بالنسبة لمنطقة الدورة جنوب بغداد بسبب دورة المياه ايضا .

تسكن العـوجـة ومنـذ زمن بعيـد قبيلة البيجـات المعروفة والتي ينتسب اليها السيـد الـرئيس القـائـد صدام حسين والاب المـرحـوم احمد حسن البكر والاستاذ الفـاضـل خيرالله طلفاح وكثير غيرهم . وكلمة بيجات مشتقة من كلمة (بيك) التركية التي اقتـرنت بأسم جد العشيـرة (عمـر بك النـاصـري) الذي كان معروفاً في منطقة تكريت والقصبات التابعة لها فترة من الزمن، مهاباً ومؤثراً .

ان لأبنـاء هذه القبيلة تاريـخ حافـل بالنشـاط السيـاسي والاجتماعي، فهـم عشيـرة عرفت بقـوة الشكيمـة والفروسية بالاضافة الى قوة الرابطة التي تشد بعضهم البعض، فكلمتهم واحدة وقرارهم مشترك، ولقد حدثت بينهم وبين الحكام الاتراك مشادات واصدامات عديدة اريقت بسببها الكثير من الدماء كان على رأس ضحاياها المـرحوم عبد مسلط العمر عم الاستاذ الفاضل خيرالله طلفاح الغني عن التعريف وأخر اسمـه طه، وقيـام الشيـخ احمـد الخطاب الثأر لاخيه طه وابن عمه مسلط بعد ذلك بالقصـاص من رئيس الـوحـدة العسكـرية التركي حينما ركب الشيخ احمد معه في سفينة خشبية صغيرة فقتله ومن معه والقى باشلائهم في النهر مما حمل بعض ابناء العشيـرة على التفـرق في المنـاطق القـريبـة من تكـريت تحسبـاً من بطش الاتراك وانتقـامهم، وحصـل فعلاً ماكانوا يتوقعونه حيث داهموا بيوتهم في تكريت بقوة كبيرة فقتلوا اكثـر من واحـد، ولم يجدوا أمرأة واحدة في الحي كله، واكتفوا بالقاء القبض على بعض الابـريـاء منهم وأودعـوهم احـد سجـون أسطنبـول ليمضـوا فيه اكثر من خمس سنوات حتى وقع انقلاب عام ١٩٠٨ فأطلق سراحهم على أثره .

بحكم تربية الاغنام والماعز والبقر والجمال في منطقة تكريت (حويجة وجزيرة) فأن الصناعات الجلدية اكتسبت أهمية خاصة، فجلود هذه الحيوانات خير مادة أولية لانتاج الكثير من الاستخدامات الحياتية وعلى رأسها صناعة الفراوي التي كانت لباساً هاماً في تلك الايام، وقد أفردنا لها حيزاً خاصاً ضمن فصل الفولكلور.

بعد هذا تأتي المصنوعات الجلدية المختلفة التي تهم الانسان كالحذاء والحزام وحزام الرصاص الخاص الذي كان ارتداءه حول خصر الرجال أو (الوشاح)[٩] الذي يلتقي بالحزام بعد أن يأخذ موضعه من الكتف وهما بلون بني جميل تطرزه الأطلاقات المعبأة والمرصوفة بمواضع خاصة مصنوعة بشكل فني يتوسطها خنجر جميل هو الآخر يضفي كل هذا هيبة متميزة لمرتديه يعززها شموخاً وقوة مرأى البندقية البرنو المعلقة بكتفه. ومن الصناعات الجلدية الاخرى سروج الخيل والسيور وأوعية سقي الماء والحليب وأوعية الهواء (الجراب)، علماً بأن احزمة الاطلاقات كانت تستورد من بغداد والموصل.

أما الصناعات النسيجية فأن لها وللحائك والصبّاغ دور لايستهان به، وهي على اختلاف انواعها واغراضها واشكالها، الصوفية منها والقطنية والحريرية تعتبر في غاية الاتقان والجمال، فالبسط والمدات والسجاجيد والازر والعباءات الرجالية والنسائية وكثير غيرها كانت تغطي الحاجة المحلية وتفيض لتلبي حاجة المارين بالمدينة من الزوار والتجار، ولقد تناولنا هذه المصنوعات تفصيلاً في فصل الفولكلور ايضاً.

الصناعات الخشبية وحدها المحدودة والمقصورة على اهل المدينة لتغطية حاجاتهم المنزلية البسيطة وحاجة الفلاح والراعي لبيته ولحيواناته فقط، ومن الطريف بهذه المناسبة أننا وجدنا في القطر التونسي الشقيق باباً كبيراً في جامع (غيّة) مكتوباً عليه عبارة صنع في تكريت، وكذلك باباً آخر في احد أديرة اليونان. وربما تكون المدينة في ذلك الوقت مشهورة بصناعة الابواب الكبيرة، من يدري؟!

اما التعامل مع الاخشاب فمسألة حياتية تدخل في اكثر من مرفق من مرافق

الحيـاة لهـذا فأن الـزائـر للمـدينـة كان يلاحـظ وجود ما يقرب من الخمس محلات (السكـلّات) تبيـع الخشب المجلوب بـ (الطـوف) من المـوصـل ، كانت الاعمدة بيضاء ومستقيمة تستخدم في أغلب الاحيان في تسقيف الدور.

الحـدادة في تكـريت ايضـاً محـدودة وعلى نطاق الحاجة المنزلية في البيت والريف ، بين سكين وساطور ووعاء والجزء الحديدي من المحراث والمسحاة ، وما يحتاجه الحيوان الاليف عادة من أدوات حديدية .

النشاط التجاري في تكريت

النشاط التجاري كما ذكرنا سابقاً يتمتع بأهمية ملحوظة عند اهالي المدينة ، فهي تقـع على الطـريق العام للقوافل مما أكسبها خبرة متراكمة على مر السنين وفي كثيـر من الانشطـة ، ولا يقتصـر نشـاط التـاجـر التكريتي في مدينته والريف القريب فقط ، وأن كان هذا المجال هو الاكثر حيوية من غيره وأنما يتجاوز ذلك الى مناطق ابعد كالموصل وكركوك وبغداد وربما الى مدينة حلب . والطريقة التجارية التقليدية المتبعة ضمن الفترة الزمنية التي نتحدث عنها وهي النصف الاول من هذا القرن ، هي أن يتفق أثنـان من أهـالي المـدينـة احـدهم يملك رأس المال ويسمى (قرّاشا) والثاني ويدعى (العامل) وهو الذي يقوم بالنشاط الميداني لاستثمار رأس المال في موضـوع يتفق عليـه الطـرفـان مسبقـاً ، ويقتسمـان ارباحه مناصفة . هذا لماله وذاك لجهـده العضلي والعقلي . وبعض الـرجـال يتخصصون بالتعامل بالاغنام والبعض بالبقر ، وبعضهم بتجارة الحبوب وبعضهم بالسمن والصوف . . الخ . ولكن لا يعني هذا التخصص عدم اختراق القاعدة والجمع بين اكثر من مادة في وقت واحد .

أن التجـارة بين تكـريت والمـوصل اكثر نشاطاً وحيوية من غيرها ، وربما يعود السبب الى عوامـل تاريخيـة قديمـة ومن بينها الكلك ، وربما لنوع المادة المتعامل بهـا ، وعلى أي حال كان لامتـداد هذه العـلاقـة أثـرهـا في أقتـراب بعض العـوائل التكـريتيـة من العـوائـل الموصلية لتشمل الزواج بينهما . والمعروف عن الموصلي خبـرتـه الـواسعـة في النشـاط التجـاري . هناك نوع من التجارة التي كان التكريتي

يمـارسهـا وهي (السَلَف) أو (الاخضـر) كمـا يسميـه أبن الجنوب، وهي ان يقرض صاحب المال احد الملاك أو الفلاحين مبلغاً من المال نضير كمية محددة من الناتج الزراعي أو الحيواني اللاحق يتفق عليه الطرفان.

ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن بعض تجار المدينة والعمال منهم حصراً عندما كان احـدهم يجـد نفســه على خلاف مع (القرّاش) يذهب الى الريف المقابل ماراً بهـذه القـريـة أوتلك وبهـذا الربع أو ذاك، يشتري الغنم أو السمن أو الصوف حتى يتجمع لديه الكثير منه فيذهب به الى الموصل أو بغداد من غير أن يدفع أي عربون لثقة الفلاحين به، ويعود بعد أيام فيدفع للدائنين الطيبين حقوقهم بعد أن يكون قد حصل على ربح ميسور يغطي حاجته ويضمن رزقه الطيب.

في الاربعينـات ومـا قبلهـا لم يكن في المـدينة غير سوق واحد صغير يقع بين محلة القلعـة ومحلة الحـارة، على شاطيء نهـر دجلة يضم مجمـوعـة محـدودة من الـدكـاكين والمقـاهي البسيطـة تحتضن خيـوط الشمس مع اشراقتها الاولى لتغسل وجـوه الـرجـال الطيبين المتعبين، وتنتقـل الى داخـل الـدكـاكين التي كانت تضم مايحتـاج اليـه ابن المـدينـة وأبن القـريـة من مواد وأدوات تحدثنا عنها سابقاً. ولقد تخصصت بعض الحـوانيت ببيـع سلعـة واحـدة كبـائع التبغ وبائع الخشب. وبعد الاربعينـات ومـع اتسـاع المـدينـة نسبيـاً انشيء سوق جديـد (سمي فعـلاً بالسوق الجديد) بعد أن أنحسر ظل الاكلاك ونشاطها آو أخذ يتراجع امام تطور وسائط النقل والذي تراجع معه دور السوق القديم، هذا السوق الجديد الذي احتل وسط المدينة بني بطـريقـة احدث بعض الشيء كما تنوعت فيه الاغراض التجارية ومستلزماتها، ولكنـه مع ذلـك بقي بشكله العـام بسيطـا في بنـائه وحركته، ضم هذا السوق أيضا الحـوانيت والمقـاهي متجـاورة ومتـداخلة ومعهـا نادي الموظفين الذي يشرف على السـوق كله من مرتفـع نسبي. كانت الفسحـة المتـواضعـة من منطقة السوق حافلة بالحركة والنشاط التجاري والاجتماعي.. ثم السياسي بعد ذلك، فمن يريد والده أو صديقه يجده في السوق، ومن يريد تمضية الوقت يجد ضالته في هذا السوق.

هذا السـوق هو الآخـر تآكـل وانتهى مع بدايـة بناء الجسر الجديد الذي كان سببـاً في ضيـاع محلة القلعـة وتناثرها مع رفيقتها محلة الحارة في مناطق واسعة من

المدينة الجديدة بعد عام ١٩٧١ . بحيث لم يعد يشاهد الاخ اخاه الا بالمناسبات .

كنا نشاهد في الخمسينات بعض التجار الصغار (بياعة شراية) قسم منهم مسرحه الضفة الشرقية من النهر (الشريعة) وعددهم لا يزيد على العشرة وعلى رأسهم مشعل العبدالله وعباس الوسمي ، كانوا يستقبلون الفلاح القادم من القرية مع دوابه المحملة بالخضروات ومعه بعض الاغنام والماعز أوبقرة ، فيستقبلونه بالتحية والشوق الذي تشم من خلاله رائحة الصياد الذي يحاول ايقاع فريسته في الفخ للحصول على مالديه بسعر زهيد نسبيا مقابل ما يتجشمه من عناء عبور النهر وصعوبات البيع في المدينة ، وهكذا يستفيدون من الفرق بين البيع والشراء وهي في جميع الاحوال لا تتعدى دريهمات معدودة لا تكاد تسد الرمق .

ومن هؤلاء التجار البسطاء ايضاً اثنان يقفان بجانب مزار الاربعين غرب المدينة أويعتليان سور المدينة قبل هدمه ويلتقطان ببصرهما الحاد أي بدوي أو راعي غنم قادم من بعيد فيسرعان اليه ويتجاذبان الحديث الطريف معه حتى يشتريان منه ماجاء به للبيع ، وهذا الأثنان هما هزيم السلوم وعطية المرير يرحمهما الله كانا يتمتعان بحضور بديهة وخفة روح لا مثيل لها .

كان (الجعافرة) وهم شمر وجزء من البوناصر من أبرز المالكين لرأس المال ومنذ وقت بعيد لهذا كان هؤلاء الناس هم اكثر (القراشين) في تكريت وأقدرهم على التعامل التجاري ، ومع تطور الحياة التجارية في الخمسينات بدأت المدينة تأخذ حصتها هي الاخرى ليتسع نشاطها التجاري ويتعمق سواء فيما يتعلق بالمادة التجارية او بحجمها .

المونة

مادمنا نتحدث ضمن النشاط المعيشي لأهالي تكريت فأن (للمونة) اهمية بالغة في حياة الناس والمقصود بالكلمة المؤونة، وهي توفير الحاجيات الاساسية للمعيشة وخزنها في البيت تغطي الحاجة لمدة لا تقل عن ستة اشهر الى سنة كاملة، وتتلخص هذه المونة بتوفير الحنطة والشعير والسمن والجريش والحطب والدبس، وفوق هذا وذاك سلامة البيت وقدرته على الصمود بوجه امطار الشتاء القادمة. هذه الامور لا يستقر لرب العائلة قرار اذا لم يحقق هذا الهدف، وفيما عداها تصبح كل الامور الاخرى هامشية ولا تشغل باله، كتوفر الحصان أو الحمار او الزورق أو السلاح. . الخ وأما المرأة فهي الاخرى لا يهدأ لها بال الا حين تطمئن الى كمية الفراش والدثار والملابس للاطفال. ولقد اعتاد رب العائلة على توفير هذه المونة كل عام وكثيراً ماكان يفخر امام اصدقائه بانجازها في وقت مبكر.

الموظف والراتب

ومع مرور وتطور الحياة الثقافية في عموم القطر وفي مدينة تكريت خاصة وفي الخمسينات حصراً كثر عدد المعلمين من أهالي المدينة الذين انتشروا في كل انحاء القطر شماله وجنوبه، أهواره وجباله، وتبعاً لكثرتهم ازداد دعمهم لأهلهم وأسرهم، فاصبح للمدينة مورداً مالياً معلوماً يقتطعه الابن من راتبه الشهري المحدود الذي لم يكن ليتجاوز العشرين ديناراً في ذلك الوقت يبعث منه عشرة دنانير لأهله ويكتفي هو بالباقي.

ومما زاد من فرص الارتزاق ايضاً التطور الاداري والخدمي للمدينة الذي امتص عدداً غير محدود من ابناء المدينة في الخمسينات يرتادون كل الافاق العلمية والثقافية والوطنية فمنهم الاطباء ومنهم المهندسون والمحامون والضباط والجنود. . الخ.

ولقد انقرضت حرف ودخلت حرف جديدة وغابت مصادر للرزق وولدت اخرى بدلاً منها كما هو حال الكلك مثلاً، فقد كانت هذه الحرفة تمتص عدداً كبيراً من الاهالي، وكان راتب رأس (الكار)[١١] يزيد على راتب مدير الناحية باربعة اضعاف. كانت حرفة الكلّاك هذه مصدراً مالياً كبيراً للمدينة، ولكن هذه الحرفة

اختفت في مطلع الخمسينات بعد بناء السدود ودخول السيارات الكبيرة والقطارات السريعة .

الصيد والقنص

مادمنا ضمن حديث توفير اسباب المعيشة فأن النهر كان مصدراً بسيطاً لصيد السمك للمحترفين منهم والهواة ، وكذلك البرية (البادية) التي كانت قبل انتشار السيارة والبندقية مصدراً خصباً لصيد الغزلان والطيور المختلفة . ولقد اعتاد التكارتة مطاردة الغزلان بواسطة السيارات في منطقتي الجزيرة والحويجة على شكل مجموعات حتى نهاية الخمسينات .

تشكل ظاهرة القنص لدى التكريتي وحتى الآن سمة مميزة وحبيبة الى نفسه ، القنص البري والنهري على حد سواء ، تبدأ هواية وتنتهي هواية الا البعض القليل الذي لا يتجاوز اصابع اليد الواحدة ، ومن بين أبرز ما يشد التكريتي الى هذه الهواية هو حبه للحرية وتسرية النفس سواءاً كان وحيداً ام مع غيره من الصحب والاصدقاء ، كان يسيح في ارض الجزيرة الغربية باتجاهات محددة يعرفها كما يعرف راحة يده ، وقد يمضي اليوم او اليومين ويعود بعدها وقد انهكه التعب والجوع بغزال تارة وبثعلب تارة اخرى وخالي الوفاض في اغلب الاحيان ، ومع ذلك يعاود الكرة بعد ان يستريح اسبوعاً أو اسبوعين وقد استخدمت السيارة لهذا الغرض ، اما صياد والاسماك والطيور الجبلية فهم اكثر شمولاً وعدداً ، فهي هواية محببة اكثر من ارتياد الجزيرة وذلك لان النهر وخاصة في فصل الصيف يكون خير رفيق وتصبح مسألة صيد السمك مسألة هامشية سواء حفلت بالنجاح ام اخفقت فاحتضان النهر لهم وحده كافياً لاشاعة السعادة والسرور الغامر .

لقد كنت واحداً ممن يعشقون السفرات وصيد الاسماك بالشباك أو بالقنابل التي نسميها (بمبة) ، كنت مع بعض الاصدقاء نذهب بزورق أو زورقين صغيرين تحدثنا عنها تفصيلاً في فصل الشطاطي ، أما نسحبهما ضد التيار مسافة عشرة كيلومترات أو ننقلهما بسيارة كبيرة الى بيجي أو (الحمرة) ومن نستقلها في النهر حتى نعثر على جزرة حصوية يحيطها الماء من جهاتها الاربع لنحط فيها رحلنا فينصرف هذا لجمع الحطب وذاك لوضع (علف البمبة) وآخر ينظف الزورق والبعض يقومون بنشر

الشباك في الخليج القريب ليبقى حتى الصباح، وبعد الفراغ من كل هذا نعود جميعاً لتهيئة عشاء الليلة مما جلبناه معنا من طعام بسيط، فنتحلق حول النار المتأججة وبين تناول الطعام والثرثرة في شتى الموضوعات واحتساء اقداح الشاي يستلقي البعض على قفاه يدندن ببعض ابيات من السويحلي أو الميمر والزعيلان ولا نلبث الا بعض الوقت حتى يداهمنا النعاس ونبقى في الوضع الذي كنا فيه الى أن تلامسنا اشعة الشمس بأنامل تنافس في رشاقتها النسيمات الصباحية الرطبة. فننهض مسرعين الى الشباك التي نصبناها بالامس عسى ان تكون (الشبابيط)[11] قد علقت بها فاذا اخفقنا في ذلك نتحول الى موضع العلف لنلقي بالبمبة وعيوننا معلقة بموضع الانفجار على أمل ان تطفو سمكة او اكثر ليكون فطورنا ادسم وأطعم والا رحنا نفتش عن بعض الفتات من عشاء الامس بين الحصى والرمل ليكون مذاقه احلى من (الحلقوم)[12]. كان البعض من الاصدقاء لا يكتفي بالذهاب الى منطقة بيجي وسامراء وأنما يذهبون الى أبعد من ذلك.. الى منطقة الزاب للبقاء أسبوعاً أو اكثر وحصيلة مثل هذا اللعب تكون في العادة أدسم. اما الاشخاص المحترفون لهذه الحرفة فأنهم اكثر الناس جوعاً الى السمك لانهم حريصون على بيعه اكثر من حرصهم على أكله، لهذا تجدهم اقرب في واقع الحال الى شخصية الصياد المسكين المذكور في قصص وكتب الاطفال الصغار.

علاقة اهالي تكريت بالشرقاط وبيجي

ان من عاش في تكريت فترة طويلة يعرف أن أهالي مدينتي بيجي والشرقاط هم أمتداد لعوائل تكريت واهاليها دماً ولحماً أحساساً ولهجة، وصلات لاتزال تتجدد مع الأيام والسنين، فمتى نشأت هاتان المحطتان وكيف نمت وازدهرت؟!
لقد تطرقنا في الصفحات السابقة وخاصة في الفصل الذي يتحدث عن الموقع التجاري لتكريت، وكيف اكتسب التكريتي خبرة ومرونة تجاريتين في ذلك الوقت، ظهرت الحاجةمن جديد عندما بدأ خط السكك الحديد يصل شيئاً فشيئاً بين بغداد والموصل خصوصاً عندما توقف بعض الوقت في منطقة الشرقاط، فقام بعض التجار التكارتة ولاسيما تجار الحبوب والمنتجات الحيوانية باتخاذ مواقع مستقرة (محطات) في منطقة الشرقاط كهمزة وصل بين الضفة الشرقية لنهر دجلة هناك مثل منطقة تل الشعير والحاج علي وهما منطقتان تحفلان بكميات الحنطة والشعير وجودتهما وبين سكة الحديد لاستغلالها في نقل السلع وتصديرها الى الموصل وبغداد. ومع تطور هذا النشاط وازدهاره تنامى عدد التكارتة القادمين من تكريت للعمل هناك.

اما منطقة بيجي فقد نشأت بعد اكتشاف منابع النفط في كركوك ومد الانابيب لتصديره بين كركوك وحديثة على الفرات ثم الى ساحل البحر الابيض المتوسط، واتخذت منطقة K.2 (كي تو) محطة مركزية لسلامة وضمان سير البترول وتدفقه. هذا العمل اوهذه المحطة استقطبت مجموعة لا بأس بها من العمال التكارتة الذين يبحثون عن فرص العمل، وهكذا تجمعت في بيجي اعداد كبيرة تزوجت وانجبت لتصبح مدينة قائمة بذاتها وعندما اصبحت أو استحدثت محافظة صلاح الدين طالب اهالي الشرقاط بالانضمام اليها بعد أن كانوا تابعين لمحافظة نينوى، وهكذا كان، فالشرقاط وبيجي الآن قضاءان تابعان لمحافظة صلاح الدين، أي عادوا لأهلهم وأقربائهم في تكريت من جديد.

(١) الهشل كمية محدودة من الطحين يكفي طعاماً للعائلة لمدة يوم كامل.
(٢) الصفرية اناء من النحاس يتسع لعشر كيلوغرامات من الماء تجلب بها الفتاة الماء من النهر.
(٣) اللفانوس واللالة اداتان للنور تعتمدان على النفط زجاجيتا الصنع عفا عليها الزمن بعد وصول الكهرباء.
(٤) المقطع غرفة كبيرة ورئيسية في بناء البيت سوف نسر، تفاصيلها لاحقاً.
(٥) الكانون هو نفسه الموقد ولكنه كان بسيطاً يعتمد على ثلاثة احجار يستقر عليه القدر.
(٦) البريمز جهاز نحاسي صغير يستخدم كمصدر ناري لطبخ الطعام وأي شيء آخر.
(٧) المخرم قطعة ارض زراعية تبعد عن تكريت عشرة كيلومترات.
(٨) النيرونير طريقة خاصة في زراعة الارض كانت تستخدم سابقاً ولكنها انتهت مؤخراً.
(٩) الوشاح يشبه حزام الرصاص حول الخصر لكنه يبدأ بالكتف وينتهي بالحزام.
(١٠) الكار مجموعة من الاكلاك لا تزيد عن عشرين ولا تقل عن خمسة يقودها رئيس.
(١١) الشبابيط جمع شبوط وهو نوع من انواع السمك المعروف برشاقته ولذة طعمه.
(١٢) الحلقوم نوع من أنواع الحلويات التي كانت شائعة في تكريت.
لا



السبرجة

الشطاطي

اسم مشتق من كلمة شواطيء يطلق على زراعة صيفية للشواطيء والجزر الحصوية لنهر دجلة بعد انحسار موسم الفيضان، يزاولها نصف أهالي تكريت تقريباً، وتستغرق وقتاً منذ وضع الحبة الأولى في الارض حتى نهايتها ثلاثة اشهر، تبدأ مع بداية شهر تموز وتنتهي بنهاية أيلول من كل عام.

في موسم الفيضان ترتفع مناسيب المياه في نهر دجلة، وفي منطقة تكريت بالذات يكون النهر هائجاً ومتمرداً بشكل ملفت للنظر وذلك لغزارة مياهه وضيق وانحدار مجراه، وانعدام السدود فيه في ذلك الوقت مما يجعل من موسم الفيضان امراً مثيراً للصغار وللكبار من ابناء المدينة، فيقف البعض منهم على الجرف العالي المطل على النهر، والبعض الآخر يدفعه الفضول فيقترب من الشاطيء ليشاهد الغريب والمثير مندفعاً مع التيار وعلى سطحه، فبين أخشاب وأشجار وادوات منزلية، وحيوانات الميت منها والحي، وأفاعي تبحث عن شاطيء او قشة تتعلق بها، وبين كدس من الحنطة لايزال الحب فيه يعتلي ناصيته ديك تملكته الدهشة مما هو فيه فنسي صياحه التقليدي، وهناك اداة منزلية أو زراعية لفلاح مسكين لم يسعفه الوقت الا لأنقاذ عائلته وحيواناته، وهنا برميل من النفط لماكنة ارواء... الخ بين هذا وذاك يقوم الصبية وبأيديهم (الچنكال)[1] يلقونه باتجاه الشيء المراد سحبه أو أنقاذه، ومرة يصيب ومرة يخيب كما يقول المثل الدارج.

كان الكبار من الرجال يعرفون بدقة تامة ارتفاع أو انخفاض مناسيب المياه باليوم والساعة، آخذين بنظر الاعتبار تكاثف الغيوم في السماء واتجاه الريح فيتحدثون بثقة أن الفيضان في هذا الموسم سيصل الى القرية الفلانية، أوأنه سيستمر ليوم أو يومين، أو أنه سينحسر غداً.. وفي كل عام يغطي ماء الفيضان مساحة غير محددة من أرض الضفة الشرقية للنهر وكذلك الجهة الغربية منه لتكون بعد انحساره بشهرين مسرحاً جميلاً ورائعاً للشطاطي التي سنتحدث عنها تباعاً.

قبل ن يستقر الماء في النهر ويصل ما يسمى بالصيهود يسرع الأهالي ممن احترفوا زراعة الشطاطي كل الى موضع شطيته ليخطط حدودها بمسحاته المتميزة بـ (السبرچة)[2] أو الدوسة وبحضور كل أو بعض جيرانه ومعارفه ولا يباشر أي منهم

العمل حتى يوافق الجميع على الحدود وبروح أخوية وودية، سواء في هذه الضفة أو تلك أو في جزيرة حصوية محاطة بالماء من كل الجهات. ويعود الجميع الى بيوتهم لتهيئة مستلزمات العمل في اليوم التالي. في اليوم الأول ومع شروق الشمس يحضر الى أرض الشطية الاب والام وباقي افراد العائلة ومعهم مساحيهم (انظر الشكل) لشق الارض في البداية على شكل جنبين متقابلين، والجنب عبارة عن خط من الارض بعمق خمسة سنتمترات وطول نصف متر أو اكثر بقليل، يقابله آخر موازي له وتفصله عن الاول مسافة ثلاثين الى اربعين سنتمتراً، ثم يعقبها بعد فراغ الاب أو أحد أبنائه من حفر الجنب او الجنبين تتابعه الام أو الاخت بحباة من الرقي لا تقل عن خمسة ولاتزيد عن ثمانية، تضعها بشكل مقلوب أي رأس الحبة الى الاسفل ثم تغطيها بالحصىٰ الصغير الممزوج بالرمل أو بالرمل وحده اذا كانت الشطية في ارض رملية ثم تتركها لتلاحق الرجل حفرة أو جوبة فجوبة، والجوبة الواحدة تطلق على كل جنبين متقابلين (⚌). وجوبة أمام جوبة واخرى خلفها وتحتها لتصبح الخطوط متجانسة ومتناسقة ومتابعة حتى الشاطيء، وكلما انحسرت المياه تابعها زارع الشطية حتى يستقر النهر كليا في موسم الصيهود والفترة كلها لا تزيد عن الشهر. يبدأ زارع الشطية أول الأمر بزراعة الرقي ليحتل الخطوط الاولى والرقي هناك من النوع المستدير والكبير وبلونين أسود واخضر مخطط، وحبته تسمى (المكاوية)[٣] كبيرة ومفلطحة ومكحّلة ولذيذة، وكلمة المكاوية مأخوذة من اسم مكة المكرمة، وكل من حج الى الديار المقدسة شاهد هذا النوع من الرقي الذي تشتهر به أرض السعودية حتى اليوم. تلي خطوط الرقي خطوط البطيخ ويسمى (الفريدوني)[٤] ويكون أرشق من بطيخ سامراء المعروف وجلده اكثر سمكا ولونه اصفر واخضر غامق مخطط وهو حلو المذاق جداً، وبعد البطيخ يزرع الخيار وهو على نوعين: خيار الطرعوزي ويكون أبيضاً واخضراً وسميكا، ولم يعد له وجود الآن. وخيار الماء المعروف الآن والمعروض في الاسواق.

بعد الانتهاء من المرحلة الأولى للشطية تنصرف العائلة لأعداد السماد الحيواني الذي لا غنىٰ عنه للشطية.



الفستاف

كل عائلة تحترف زراعة الشطية تكون في العادة مهتمة باختيار موضع خاص في أطراف مهجورة من دور السكن تتجمع فيه الفضلات الحيوانية يوماً بعد آخر وتغطى بين فترة واخرى بالتراب القريب ومع مرور الايام ومع سقوط الأمطار في الشتاء يكبر حجم هذا السماد ويتعفن ليصبح مع بدء زراعة الشطية غذاءاً وفيراً ومهماً للنبتة التي أودعناها الحفرة أو الجنب منذ اسبوع أو أسبوعين والتي أصبحت تنتظرنا بشوق ولهفة لتزويدها بـ (اللقمة)[٥]اي وجبة الغذاء الصغيرة. وفي هذه المرحلة لا تحتاج العائلة الى كبير عناء لنقل هذا السماد الى موضع الشطية وتغذية النبتة الصغيرة بكف منه، أي أن الجوبة الواحدة أو الجنب الواحد لا يحتاج لأكثر من كفين من السماد الذي يبقى مكشوفاً فقط ليمنح النبتة فرصة افضل للنمو. ومع مرور الايام تكبر النبتة وتصبح بحاجة ماسة الى مزيد من السماد والاستعداد لعملية (التقرين)[٦] وهي عملية حفر مابين الجنبين أي حفر وسط الجوبة حتى يظهر الماء الجوفي تارة بعمق شبر وتارة بعمق نصف متر، والأمر سهل جداً في الارض الرملية ولكنه صعب جداً في الارض الحصوية، أذ أن الشاب لا يستطيع أنجاز اكثر من ثلاث حفر في الساعة فكيف اذا كانت حفر أو (جوب) الشطية تزيد على المائتين. .
أن الأمر يحتاج الى (فزعة)[٧] وموضوع العمل الشعبي أو (الفزعة) أفردنا له فصلاً خاصاً في قابل الحديث. ولكن الفزعة ما زالت مطلوبة الآن لنقل السماد الى الشطية وهي حمولة سيارة لوري كبير ذلك أن الجوبة الواحدة تحتاج الى اكثر من (تنكتين) والتنكة علبة من الصفيح تتسع لعشرة كيلوغرامات. ونقل السماد يجري عادة اما على حمير اذا كانت الشطية في الجانب الغربي للنهر، أو بواسطة الزوارق المائية الكبير منها والصغير اذا كان موقعها في الجانب الشرقي أو وسط النهر.

بعد حضور السماد يتهيأ الجميع لأنجاز عملية (التقرين) التي اشرنا اليها قبل قليل، وهي حفر وسط الجوبة حتى تظهر المياه الجوفية وعروق أو الجذور الرقيقة للنبتة، عندئذ تملأ هذه الحفرة ـ صغيرة كانت أم كبيرة ـ بالسماد، ويقوم الشباب عادة بعملية الحفر والشابات بعملية نقل السماد، أن زراعة الشطية في الواقع تحتاج الى كثير من المهارة والدقة في العمل منذ بداية وضع الحبة وحتى الانتهاء من عملية التقرين.

ويختلف الوقت الذي تستغرقه عملية التقرير تبعاً لعدد الشباب ودرجة مثابرتهم، ونوع التربة وحجم الشطية، وفي جميع الاحوال ينتهي العمل بالشطية بعد شهر تقريباً. يتوجه الرجل بعد ذلك مباشرة (واحيانا قبلها) الى احضار الحطب المناسب من أقرب غابة صغيرة، وهو عادة نبات الطرفة المعروف بقوته وانسيابيته في وقت واحد، وأن لم يتوفر فأشجار (الغرب)[٨] أو (السلماني)[٩] أو (السوس)[١٠] وكلها نباتات فطرية تصلح لكل شيء من طبخ الطعام الى بناء (السيباط)[١١] الذي نحن بصدده الآن. هذا السيباط عبارة عن غرفة صغيرة (ثلاثة أمتار في مترين أو في ثلاثة) يصلح مأوى للعائلة لفترة قصيرة لا تزيد على الشهرين تختم في نهاية شهر ايلول. يتكون السيباط من عشرة أعمدة من الخشب الجاف والمتين بطول مترين تثبت في الارض بعمق شبر أو شبرين وموزعة على مسافات محددة، يجري بعد تثبيتها وضع الحطب الذي تحدثنا عنه قبل قليل حول هذه الاعمدة ثم يربط اليها ومع بعضها بواسطة أعمدة صغيرة أو بعض الحبال وتسقف ايضاً بشبكة من العيدان والقَصب يلقىٰ فوقها الحطب كذلك لتصبح في النهاية غرفة مناسبة تضم بين احضانها الادوات المنزلية البسيطة، وتدفع عن العائلة بعض حرارة الشمس ووهجها كما أنها خير ستار للمرأة في نومها واستيقاضها.

بعد أن يكتمل السيباط تكون الشطية قد اخذت حقها من الجهد والتعب وتبدأ تعطي أولى بشائر ثمارها وخاصة الرقي والبطيخ فيقوم الصغير والكبير بتأشير ابلعض منها على أنها له ويراقب يومياً نموها وتطورها. في هذه الايام تنتقل العوائل كلها أو بعضها لتسكن الشطية وتبيت فيها لتستمتع بالراحة، فتبدأ المرأة ببناء التنور من الطين (الحرّي)[١٢] المتواجد بكثرة في هذه الاثناء وتصبح عادة أبناء المدينة كلهم صغاراً وكباراً شيباً وشباناً نزهتهم اليومية عصراً، الوقوف على الجرف العالي المشرف على النهر والذي نسميه مجازاً بـ (الجبل) أو التجوال والجلوس على شاطيء النهر الغربي منه والشرقي للتمتع بمنظر لا تحده العين ولا يدركه التوازن العقلي، صورة فنية أمضى فيها الفنان شهراً كاملاً ومتواصلاً من الجهدد والتعب المضي لأتمامها. أرض خضراء على ضفتي النهر وفي وسطه وأسراب من السيابيط وماء نهر عذب هاديء رقراق وأطفال صغار ورجال كبار وشباب من الجنسين

يخطرون هنا وهناك تسبح فوق رؤوسهم أسراب الطيور بأنواعها، وقبل كل هذا ظلال الجرف الحجري تطوق الجميع وتزيد من النسيمات برودة وعذوبة. ومنظر (الرساتيق)(١٥) جمع رستاق وهي مجاميع الشطاطي في منطقة معينة، فرستاق في (الأنكر)(١٦) ورستاق في (الگب) ورستاق في الجزرة الصغيرة وآخر في الجانب الشرقي كل هذا يخلب الألباب وزوارق صغيرة لا حصر لها تخطر على صفحة النهر ذهاباً وأياباً تحمل هذا الفتى أو ذلك الشاب وتلك الفتاة مع أمها وأبيها والكل يحسن السباحة والتجديف، هذه امرأة أو شابة خرجت من السيباط لتوها ترتدي عباءتها مطلة بوجهها الصبوح وتحمل تنگة باتجاه النهر لتملأها بالماء البارد ونبات الشطية يغطي ساقيها حتى الركبة، وهناك امرأة تسير الى تنورها لتخبز رغيفاً محشواً بالعافية وعبقاً بشذى الحب الأسري الرفيع، وقد لا تنال من خبزها هذا غير جزء من الرغيف بعد أن تتلقفه أذرع الشباب المتجولين ذهابا وأياباً في الغستاق.

من بين العادات المتبعة في أيام الشطاطي أن هذه الزوارق الصغيرة تكاد تكون مشاعة للجميع، فهذا يعبر من الجانب الشرقي الى الجانب الغربي لسبب ما، ويترك زورقه على الشاطيء غير حافل به فيأتي آخر يريد العبور الى الجانب الشرقي فيستقله ويتركه هناك.. وهكذا وأذا تعذر الحصول على زورق في أي وقت فأن المرء يستطيع أن ينادي على أقرب فتى أو شاب في الجانب الآخر ليأتيه بزورق يحمله الى الضفة أو المكان الذي يقصده.

في موسم الشطاطي يأخذ الشباب بالدرجة الأولى حصتهم من التشبب والغزل البريء، والتعرف على الفتيات والشابات طباعاً وجمالاً فلا حواجز تمنع الرؤيا والاقتراب والحرية مكفولة للجميع في حدود الأدب التقليدي. ويلعب الزورق دوراً كبيراً في عقد كثير من العلاقات البريئة فهذا الشاب يعرض خدماته لنقل الفتاة من هذه الضفة الى تلك أو من هذه الشطية الى تلك وهذه فقدت شيئاً في النهر فأسرع الشاب الى نجدتها، وأخرى حملت زاداً من سيباطها الى سيباط جارتها.. وهكذا.

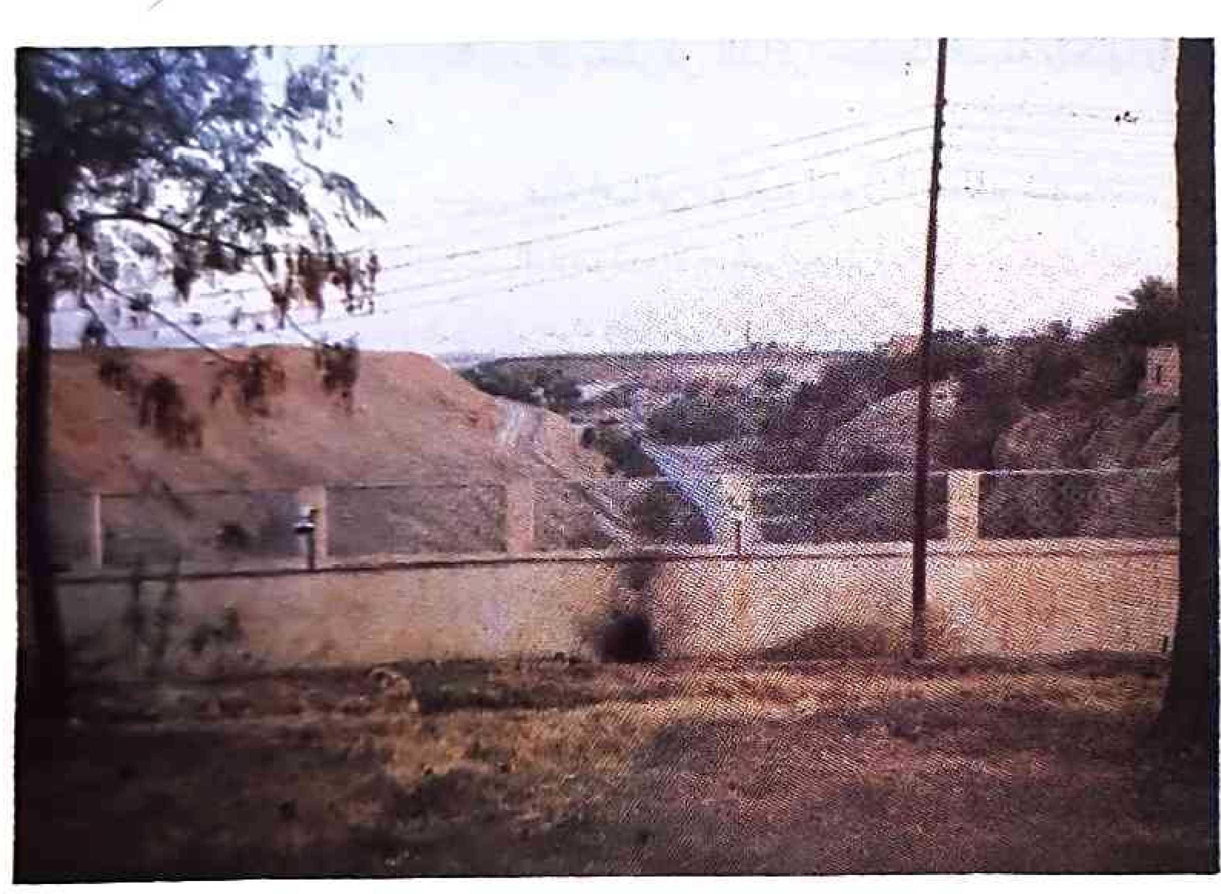
في موسم الشطاطي تزدهر لعبة المحيبس، حيث يجتمع بعض الشباب في الجانب الشرقي ويعبرون النهر الى جانبه الغربي أو الى الجزرة الوسطية لعقد

المباراة بينهما فيستقبلونهم ببعض الأطلاقات في الهواء تعبيراً عن فرحهم وسرورهم بمقدمهم، وبعد قليل تعلو الاصوات والضحكات التي تبدو اكثر جمالاً وصفاءاً فوق سطح المـاء حتى ينقضي معظم الليـل فيبيت البعض منهم هناك ويعود البعض من غير تكلف أو اصطناع وكأنهم اسرة واحدة.

ومن بين المسؤوليـات البسيطـة التي يتابعها رب العائلة وابناؤه وبناته هو تفقد الحشرات التي تلحق ضرراً بالشطية وخاصة الـ (طيري ميري) وهو دعسوقة صغيرة تأكل ورقة النبات بسرعة فتحولها الى رماد اصفر.

أمـا الخطـر الاكبـر على الشطية وثمارها فهو أبن آوى. . هذا الحيوان الذكي الخبيث كأنـه على موعـد مع أفضـل انتـاج للشطيـة، فهـذه الـرقية التي طال ترقب نضجهـا يخطفهـا من بين أيـديهم ونـاضريهم كأي لص لعين، فهو يعمد الى أكلها جزءاً أو كلاً في غفلة من أهـل الشطيـة وهنـا يجـري تحذير البعض للبعض بأن أبن آوى دخل الديرة وعلى الكل الحذر والمتابعة.

يقــرر اكثــر من واحــد الاتفــاق على نصب الفخـاخ تمهيـداً لاقتنـاصـه، وآخـرون يسهـرون مع بنادقهم ويختفون داخل (وغز)[١٣] الشطية لاطلاق النار عليه وقتله. وبعد يوم أو يومين أما أن يعالجه احدهم باطلاقة او يمسك به فخ من الفخاخ المنصوبة، وفي الحالتين يقوم الأهالي بربط جثته الى عمود طويل فلا يقترب بعدها أي ابن آوى من المنطقة وعندئذ ينام الكل مطمئنين على ثمارهم.



المسيلة

لو استعرضنا بعد كل هذا الصورة المخملية للشطية وما رافقها من أجواء خلال ثلاثة اشهر هي تموز واب وأيلول مرت كما يمر الحلم الجميل، مجتمع كأنه أسرة واحدة علاقات حبيبة ونفوس مشرقة كأشراقة الشمس التي تغسل وجوههم بخيوطها الملونة، يفطرون على رغيف خبز ورقي وبطيخ وخيار، وينعموا بجو هادىء رقيق أذهب عنهم تعب باقي ايام السنة ورسم آفاقاً رحبة لعلاقات مستقبلية مفتوحة، وولدت خلال الموسم اكثر من اغنية واكثر من صوت . وتمر الأيام كأنها الحلم فكل عزيز يمضي بسرعة بعد أن يحفر في الذاكرة خطوطاً عميقة ولكنها رقيقة لا يقوى الزمن على محوها.

هذا العرس الصيفي ينتهي عادة اما في نهاية أيلول أو مطلع شهر تشرين الأول حينما تبدأ أوراق النبات بالذبول والاصفرار وبرودة ماء النهر وكلها تؤذن بالوداع، فيبدأ الجميع وبقرار موحد وخلال يوم واحد يبدأون بجني ثمار الشطية وجمعها في مكان واحد يجري بعد ذلك نقلها الى الدار في المدينة، بعد أتمام هذه العملية يتحول الكل الى السيباط لهدمه ورزم حطبه بعد أن تكون الادوات المنزلية البسيطة قد انتقلت هي الاخرى الى البيت - وبينما يكون اصحاب الشطية منصرفين الى عملهم هذا يقف رعاة الغنم من القرى المجاورة ينتظرون مع اغنامهم فراغ أهل الشطية من عملهم ليندفعوا باغنامهم الى بقايا نبات الشطية الذي يشكل وجبة غنية لا تتكرر كل يوم، كما يفتش الراعي هو الآخر عن رقية أو بطيخة منسية.

وتستقر العائلة من جديد في بيت المدينة وبعد شهرين يدخل الشتاء فيتحلق الجميع حول الموقد ليكون حديثهم هذه المرة سلسلة متصلة من ذكريات الشطية وصورها في يقظتهم وأحلامهم، يستمدون دفئها من حطب السيباط المتأجج ومن ثمارها من الرقي والبطيخ المتراكم في الجزء الخلفي من (المقطع)(٤) يطرزها (حَب تكريت) المعروف. لقد استمرت زراعة الشطاطي حتى عام ١٩٧٢ حيث توقفت نهائياً بعد بناء جسر تكريت الجديد، وبعد أنْ ركد الكثير من الغرين في وسط النهر وفتّر تدفق فيضانه بسبب كثرة السدود. كما أن الحصى الكثير على ضفتي النهر كثرت فيه الحفر والنباتات الغريبة بحيث لم يعد صالحاً للزراعة. وفوق هذا وذاك غاب عن الحياة الذين كانوا يجيدون زراعة الشطية، وأنصرف الناس

والشباب بوجه خاص الى وسائل لهو حديثة وميلهم الواضح الى الاسترخاء والراحة وهـذا ما حملني على ذكـر تفاصيل الشطية ، فمن يدري ربما تعود الحاجة لزراعتها من جديد .

(١) الجنكال مجموعة عيدان صغيرة بحجم الكف تربط من أطرافها يتصل بها خيط طويل ومتين يلقى بها الى مسافة عشرة أمتار للامساك بأي شيء يراد سحبه من النهر ايام الفيضان.

(٢) السبرجة قطعة من الخشب توضع في اسفل المسحاة وفوق الحديدة مباشرة تستخدم لوضع القدم عليها أثناء الحفر، وهي طريقة لم يستخدمها غير العراقي لشموخه.

(٣) حب المكاوي حب الرقية التكريتية، والى وقت قريب كان يسمىٰ حب تكريت.

(٤) الفريدوني اصطلاح محلي للبطيخة التي تنتجها شطية تكريت فقط.

(٥) اللمة مأخوذة من لقمة الطعام الصغيرة التي تحتاجها النبتة بعد ظهورها باسبوع.

(٦) التقرير أو التقفيغ بالتكريتي هي الوجبة الغذائية الرئيسية لنبتة الشطية وذلك بأن يجري حفر الجولة وهي المنطقة المحصورة بين الجنبين حتى يظهر الماء ثم تدفن بالسماد الحيواني وتغطى بعد يومين وتترك للنهاية. واعتقد أن كلمة تقرير مأخوذة من قرار الجوبة أي نهايتها.

(٧) الفزعة المعونة أو المساعدة وقد تحدثنا عنها في الفصول القادمة شكلاً ونوعاً.

(٨) الفَرْب نوع النبات البري الذي ينبت على شطئان النهر يستخدم للوقود ولاغراض اخرى.

(٩) السلماني نوع من النبات الرقيق كسابق لا تتعهده يد يستخدم للوقود.

(١٠) السوس نبات ينمو لوحده على حوافي الانهار والسواقي تصدر منه رائحة طيبة.

(١١) السيباط غرفة صغيرة من النباتات السابقة يستخدم في موسم الشطية وينتهي معها.

(١٢) الطين الحِرّي نوع من الطين البني يكون اكثر تماسكاً تصنع منه كل انواع الجرار بعد فخرها.

(١٣) الوغز والمغر هو نبات الشطية نفسه أما (المغز) فهو الحد الفاصل بين شطيتين.

(١٤) المقطع الغرفة الرئيسية للمسكن وقد تحدثنا عنه في الصفحات القادمة.

(١٥) الغستاق بالتكريتي والرستاق باللغة العربية هو مجموعة معينة من الشطاطي في مكان واحد جمعها رساتيق.

(١٦) الانگر منطقة معروفة في الجانب الغربي من شمال تكريت.

ألكلك

تطورت وتنوعت وسائل العيش والكسب الحلال لأبناء مدينة تكريت مع تطور الأعـوام والأحـداث، فولـدت خلال الفتـرة التي كان العـراق فيها جزءاً من الخلافة العثمـانيـة مهنـة جديدة فرضتها الحياة الاقتصادية على العراق لضعف وتأخر وسائل النقل، هذه المهنة هي الأكلاك التي وأن كانت موجودة على نطاق ضيق في الاعوام السـابقـة ألا أنها تطورت نسبيا وأخذت تقوم بدور اقتصادي مهم ليس لبعض أهالي تكـريت والتجـار الموصليين والبغداديين العاملين في هذا النشاط التجاري فحسب وأنما لاقتصاد العراق كله. فقد كانت الأكلاك تقوم بنقل معظم المنتجات الزراعية والحيـوانيـة من المنطقة الشمالية الى المنطقة الوسطى (بغداد) ومن بين هذه المواد الحبـوب على اختـلاف أنـواعهـا كالحنطـة والشعيـر والـذرة والسمسم والحمص والعـدس، والفـواكـه كالتين والـزبيب، وكـذلـك الجـوز والعسـل والجبن والسـمن بلاضـافـة الى الخشب الـذي لا يستغني عنـه عمـل من الاعمال في ذلك الوقت. كانت هذه المواد تتدفق الى بغداد بكميات كبيرة جداً وبشكل متواصل.

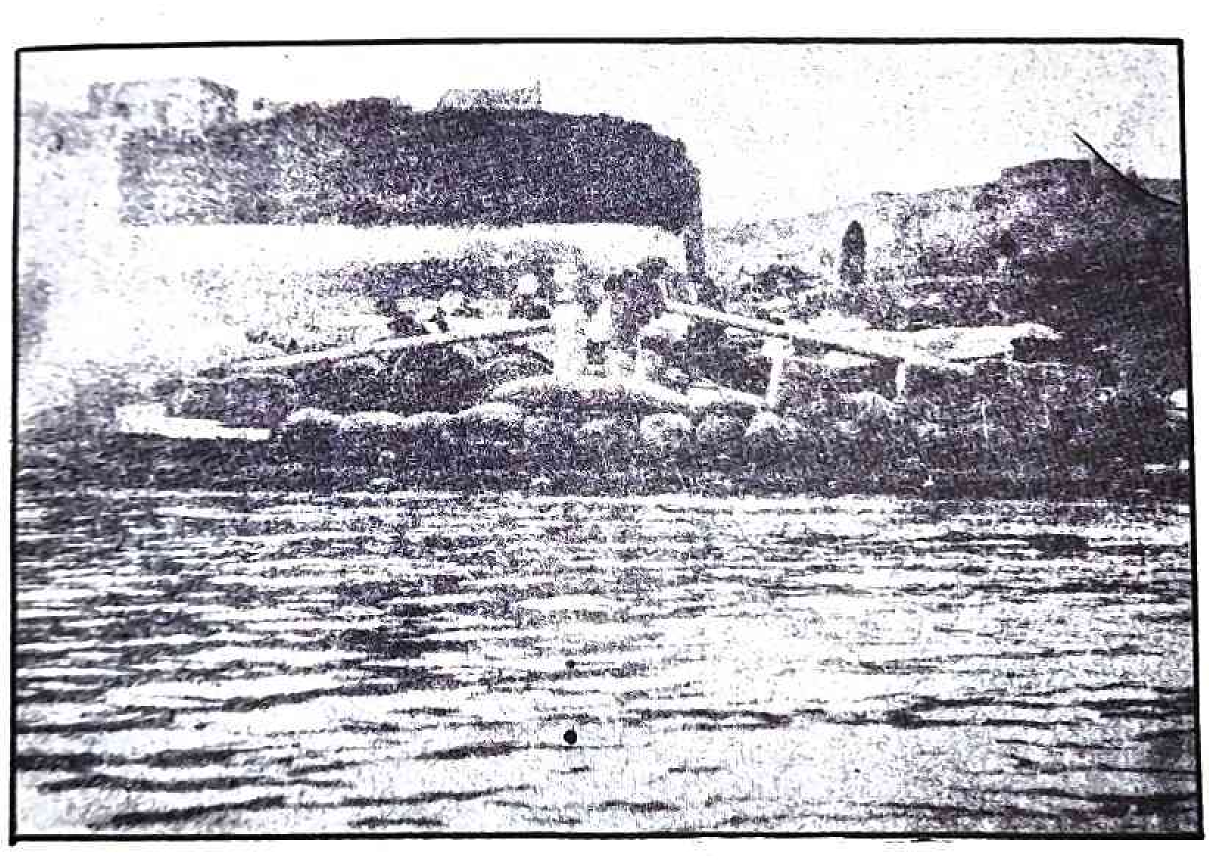
وكان التجار ينتظرون وصول الاكلاك وما تحمله على أحر من الجمر في بغداد والمـوصـل وكـانت هذه المجاميع من الرجال العاملين على ظهور الاكلاك (والذين يحملون اسم الطـرّاحين أيضـاً) كانـوا يتصـدون لهـذه المسولية بصبر لا حدود له، ويتعـاملون مع النهـر في انعطـافـاته الحادة زياداته وانحساره، وهياجه وهدوئه بذكاء وفطنـة لا مثيـل لهـا، صيفـاً وشتاءاً فيروضوه ويجعلوه طوع بنانهم ليوصلوا حمولتهم سالمـة الى بغـداد، وتستغـرق الـرحلة بين المـوصـل وبغداد في العادة أسبوعين أو عشرين يوماً تبعاً للظروف المناخية والحوادث الطارئة التي يمر بها (الكار).

ولـو أمعنت النظـر عزيـزي القاريء الكريم في الكلك الواحد وما يحمله في رحلتـه هذه لأكبـرت في هؤلاء الـرجـال قوة تحملهم وصبرهم وذكائهم. أن مساحة الكلك الـواحـد تبلغ مائة متر مربع يحمل على ظهره خمسمائة كيس زنة الواحد منه مائة كغم لتصبح حمولته خمسين طناً، هذه الكتلة الهائلة يتحكم في حركتها اربعة

رجال يمسك كل واحد منهم بمجداف من الخشب طوله بين الاربعة الى خمسة امتار ووزنه لا يقل عن ثلاثين كغم يحركونها يمنة يسرة باقتدار بين منعطفات النهر الهائلة ومساقطه المائية الضحلة متفادين الاحتكاك بالنتوءات الصخرية الحادة على جانبي النهر والصخور والجزر النباتية في وسطه، عيونهم لا تعرف النوم ألا قليلا، أيديهم وأرجلهم مشققة ومتجرحة وطعامهم لا يتعدى التمر والخبز ومشتقات الحنطة من جريش وغيره، وأكلةً لا يحسنون ولا يفضلون غيرها يسمونها (الكرصبة)[1] أو (المخمرة) ويغترفون من ماء النهر ليطفئوا عطشهم، حتى في موسم الفيضان حينما تكون نسبة الطين فيه اكثر من الماء.

وبعد أن يوصلوا الحمولة الى محطتها الاخيرة في بغداد لا يمكثون فيها اكثر من ليلتين ريثما ترفع الحمولة ويصفى الخشب ثم تفرغ (الجربان)[2] من الهواء الذي بداخلها وتنظف وتجمع على شكل رزم لا يحملها الطرّاحون معهم لأنها مسؤولية التجار وهم يجدون غيرها في الموصل فقط (متاعهم) وكذلك (الصوغات)[3] البسيطة التي يحملونها لعوائلهم متجهين الى تكريت على شكل مجموعة موحدة وسيراً على الأقدام ليصلوا اخيراً الى أهلهم وذويهم خلال أربعة ايام فيحطوا رحلهم ويستريحوا لمدة خمسة أيام أو أسبوع يتفقدون خلالها شؤون البيت والعائلة وينجزون بعض مستلزمات البيت ثم يعاودون السفر الى الموصل مرة اخرى بين دموع الأهل والاحبة ودعواتهم لهم بالعافية والسلامة والعود الجميل.

مع مرور الاعوام دخل القطار في مطلع هذا القرن فوصل سامراء اولاً ثم الشرقاط ثانيا ليصل اخيراً فاخذوا يستقلونه شيئاً فشيئاً حتى توفاهم الله.



كلك يتحرك من الموصل الى بغداد

كيف يولد الكلك وكيف ينتهي

يولد الكلك في الموصل، على شاطيء النهر الحصوي، مجموعة كبيرة من الأخشاب المستقيمة المختلفة الحجم والطول توضع جانباً، وألف (جراب) من جلد الغنم والماعز مدبوغة دباغة جيدة[٤]. ومهيأة لهذا الغرض وتكون في البداية جافة لكنها حينما توضع في الماء فسرعان ما تستعيد مرونتها تمهيداً لملئها بالهواء المتدفق من أفواه الطراحين، وبعد أتمامها توضع هي الاخرى بجانب اعمدة الخشب السابقة، تليها كمية كبيرة من أعواد واغصان بعض الاشجار وخاصة النوع المسمى (الطرفة) الذي يمتاز بمرونته وقوته لاستخدامها في عمليات الربط بين الاخشاب بعضها بالبعض الآخر وبينها وبين الاجزاء الاخرى من الكلك بعد أن تبرم بيد الرجال لتصبح اشبه بالخيط او الحبل الرقيق لأنها اكثر قدرة على مقاومة تأثير الماء وتسمى (الشباط) وهي كلمة مأخوذة من كلمة شطب، وتكون بطول ذراع واذا جدلت مجموعة من هذه الشباطات مع بعضها بشكل فني يتقنه الطراحون وبطول خمسة امتار او اكثر يسمى (الچيق)[٩] هذه هي المواد الاساسية التي يبنى منها الكلك ويصبح جاهزاً لاستقبال الحمولة. (اعمدة كثيرة من الخشب وألف جراب ومجموعة كبيرة من الشباطات).

تبدأ العملية الأولى من المرحلة الثانية بأعداد شبكة منتظمة من أعواد الخشب الرقيقة المتوسطة الحجم تربط بعضها بالبعض الآخر بشكل فني بواسطة الشباط حتى تبدو للناظر وكأنها شباك خشبي كبير تزيد مساحته على المائة متر مربع. بعد الفراغ منه يلقى على وجه الماء لتبدأ العملية الثانية وهي رصف الجربان (جمع جراب) المملوءة بالهواء قبل قليل تحت تلك الشبكة الواحد بعد الآخر بتنسيق جميل الواحد بجانب الآخر وتربط بخيوط قوية من الرأس والذنب بشبكة الخشب.

هنا أصبحت القاعدة جاهزة ومنتظمة وتكون الشمس خلالها قد غابت فيخرج على أثرها الرجال المتعبون الى المدينةلتناول شيئاً من الطعام ويناموا في أحد الخانات نوماً عميقاً يتناسب وحجم التعب الذي لاقوه خلال النهار.

في صباح اليوم التالي وقبل شروق الشمس يكون الجميع قد أدوا صلاة الصبح وتهيأوا للنزول الى (شريعة الماء) لانجاز المرحلة الثالثة وهي ربط عشرين عموداً كبيراً بالشبكة التي استوت على صفحة الماء، هذه الاخشاب الرئيسية توزع على مساحة الكلك بشكل منسق ومنتظم وتربط بالاعمدة الصغيرة ومع بعضها البعض بالشباط ايضاً، ثم تلقى فوق هذه الاعمدة الكبيرة اعمدة اخرى اصغر منها وتربط هي الاخرى بالاعمدة الكبيرة، وهنا يكون النهار الثاني قد انقضىٰ، فيخرج الجميع مرة اخرى الى المدينة لتناول الطعام والنوم.

يستيقظ الرجال في صباح اليوم الثالث مبكرين كعادتهم لربط المجاديف الاربعة، كل مجداف بطول حوالي خمسة امتار يتم اختياره من بين بقية الاعمدة بعناية فائقة يتصف بالاستقامة والقوة والمرونة في وقت واحد، وتوزع مواقع المجاديف على انحاء الكلك بحيث يتيح لكل طرّاح مجالا رحباً للحركة بعيداً عن الاحتكاك بالآخرين، بعد أن يتم ربط هذه المجاديف الاربعة في أماكنها بشكل محكم ينتهي الأمر. لقد تم بناء الكلك الآن، كتلة من الاخشاب مربوطة بعضها مع البعض الآخر ومع الف جراب ليصبح ارتفاعه اكثر من متر ويكون جاهزاً لاستقبال الحمولة. في هذا اليوم أو قبله بيوم أو يومين تكون الحمولة قد استقرت على الشاطيء وهذا الأمر من اختصاص التاجر الموصلي والعاملين معه، وبعد أن تستقر الحمولة بشكل منسق وباشراف قائد الكلك الذي يحدد موقع كل نوع السريع التلف وغير السريع، الرقيق منه والثقيل، البعيد عن ملامسة الماء وغيرها كثير. .
بعد كل هذا يكون النهار قد انقضىٰ، فيخرج الرجال الى المدينة مرة اخرى لتناول الطعام والنوم. في اليوم التالي وعندما يتقرر موعد بدء الرحلة يقوم الطراحون بزيارة قبر النبي يونس والأولياء للصلاة والدعاء من الله أن يكلل سفرتهم بالنجاح والسلامة، ثم يتحولون الى أسواق المدينة لشراء مستلزمات الرحلة من الطعام والغذاء والمعدات الاخرى، ثم يلتقطون الهدايا للأهل والاصدقاء وعلى رأسها الحلاوة الشكرية والراشية والكرزات والتين والزبيب على شكل قلادة جميلة مع بعض الحلي الصغيرة للصغار والكبار من النساء.

وفوق الجميع من هذه المشتريات يأتي الخبز الموصلي المعروف بجمال شكله وطراوته وبياضه ولذة طعمه والذي لم يعد له وجود الآن لا هو ولا الحلاوة الراشية

ومما تجدر الاشارة اليه في هذه الوقفة القصيرة أن الطراحين او الرجال العاملين في الأكلاك لا تتساوى قدراتهم الفكرية والجسمانية، ففيهم الكبير السن وفيهم الشاب، وفيهم المريض أو العليل وفيهم الذي يتمتع بكامل صحته، وفيهم الجديد في العمل وفيهم المتمرس. كل هذه الامكانيات تقوم اثناء العمل في بناء الكلك وأثناء الرحلة، فتوقف احدهم عن العمل لا يوقف العمل وأنما يتحمله الباقون بشكل تلقائي ومن غير منة على أحد، وأذا توقف كلك اثناء الرحلة لأي سبب كان تتوقف الرحلة كلها ويتحول الجميع لنجدة الكلك المصاب، حتى يتم اصلاحه فيستأنف (الكار) رحلته من جديد.

ولقد اثارت صورة الطراح والكلك مشاعر الشاعر التكريتي صالح عبدالقادر فقال:

أسمر مثل الرمح مشدود على مجداف
تعرفه الشطئان والضفاف
تعجز أن تدركه الأوصاف

بدء الرحلة

في مطلع اليوم الخامس أو السادس تكون الحمولة قد استقرت فوق ظهر الكلك، وكل رجل يقف خلف مجدافه مشمراً عن ذراعين كالفولاذ، منتصباً كالرمح الاسمر متحفزاً للنزال وهذه المجموعة من الاكلاك منديل كبير هو أقرب الى (علاگة النايلون) هذه الأيام وتصلح لكل شيء. يؤلف الكار من خمسة أكلاك فقط وقد يؤلف من عشرين كلكاً ويقف على رأس الكلك الاول رئيس الكار وهو رجل مشهود

له بالخبرة والادارة الجيدة والحكمة والشجاعة ويتقاضى عادة اجرة تزيد على أربعة اضعـاف أجـور الطـراح العـادي وهو أمر ينسجم مع حجم المسؤوليات المناطة به. كمـا أن لكـل كلك رئيس يتبعـه الـرجال الثلاثة الذين معه على نفس الكلك، لكنه يخضع بشكل عام لتعليمات وتوجيهات الرئيس المركزي للكار كله.

بين توديع التجار والاصدقاء يرفع رئيس الكار الذي يقف على أول كلك فيه منديلاً أبيضاً يلوح به أيذاناً ببدء الرحلة، فينساب الكلك به أمام انظار الواقفين على الاكـلاك أوعلى الشـاطيء وحتى الفضـوليين الـذين يقفـون على الجسـر القـديم للمـدينـة اوفي شرفات المنازل المطلة على النهر يشهدون هذا المنظر الذي يتكرر في فترات متباعدة قد لا يصادف ان يشهدوا مثله مرة اخرى.

بعـد هذا تنطلق بقيـة الاكـلاك الواحد بعد الآخر بخمس دقائق تقريباً لتغيب كلها عن الأنظار متجهاً نحو الجنوب مع مجرى نهر دجلة الخالد.

يسيـر الكـار برؤيـا جمـاعيـة وروح جماعية، فرحلتهم واحدة وطعامهم واحد وتعبهم واحـد وحـرصهم واحـد على وصـول الكـار كله سالماً الى بغداد التي تنتظر قدومهم يومـاً بعـد يوم وسـاعـة بعد ساعة فالبرقيات مستمرة بين تجار الموصل وتجار بغـداد وبعض الاشخـاص في تكـريت للاعلان عن المراحل التي قطعها الكار اولاً بأول ينطلق الكار تتهادى اكلاكه على صفحة النهر ومع تياره أستقامة وانعطافاً، هنا مسقط مائي حاد ينبغي فيه المحافظة على توازن الكلك وسيره بدقة متناهية لتفادي أي احتكـاك بالارض الضحلة والتي قد تتعـرض بسببهـا الجـربـان الـرقيقـة الى الانفجـار، وهنـاك نتـوء صخـري يجب الابتعـاد عنـه، وتلك جزرة حصوية أوذات اشجـار ينبغي تجنبهـا، في أيـام الفيضـان يكـون النهـر اكثـر صخباً واندفاعاً يرافقه الخوف من عدم السيطـرة على الكلك وحمـولتـه، وفي أيـام الصيهـود تكثـر الجزر الحصـويـة والطينيـة التي يعلوهـا المـاء قليـلاً فلا تبـدو واضحة لرأس الكار أورأس الكلك حتى يقف فوقها فيحتاج الامر الى توقف الكار كله لأخراج الكلك من مأزقه فعلى الطـراح ويـاستمـرار ان يكون مفتح العينين ليل نهار محاذراً وممسكاً بمجدافه بقوة متحليـاً بمـرونة التعامل مع الكلك والماء معاً فطوراً يكيف الكلك لحالة الماء وطـوراً يكيف قدرتـه لحـالة الكلك. وبعد مرور ثلاثة الى أربعة أيام يصل الكار كله

الى مدينة تكريت وهي منتصف المسافة بين بغداد والموصل تقريباً. هنا تستقبل الكار على الشاطيء مظاهرة من الأهل والاصدقاء صغاراً وكباراً ومن الجنسين مهنئين بسلامة الوصول وقبل أن يرسو الكلك على الشاطيء يكون الصغار قد اعتلوا ناصيته يفتشون بفضول تقليدي عن بعض مايجدونه من حلوىٰ بين طيات ملابس وأدوات الاب والعم والخال.

يستريح الرجال لمدة يوم في تكريت يتزودون خلالها بمتاع جديد ويطمئنون على صحة العائلة وأحوال الاقرباء، ويستبدل البعض منهم بآخر لمرض ألم بأحدهم أو لقضاء مسؤولية عائلية. الخ. يستأنف الكار سيرهُ مرة اخرى باتجاه بغداد. والرحلة هذه في الظروف الاعتيادية لا تستغرق اكثر من اربعة أيام. وعندما يطل اول كلك على مشارف السوق الجديد أو منطقة التكارتة في بغداد تتهلل وجوه تجار بغداد أو وكلاؤهم ممن ينتظرونهم منذ يوم أو يومين فيرسو الكار كله شمال جسر الشهداء الحالي في جانب الكرخ، وبعد مراسيم الاستقبال التقليدية يتوجه عمال التاجر مباشرة الى نقل الحمولة والاخشاب وتصفية الجربان التي انهكها التعب هي الاخرى وهذه العملية قد تستغرق النهار كله يكون الطراح خلالها قد دخل اقرب حمام من حمامات بغداد القديمة ليغسل جسده الذي علق به الكثير وليستمتع بساعة من الهدوء والاسترخاء اللذيذ مع الماء الدافيء ليتخدر جسمه وعقله قليلاً.

وفي اليوم الثاني يأخذ الطراح بالتهيئة للعودة الى تكريت فيتفق مع باقي رفاقه على موعد الرحلة الى تكريت سيراً على الأقدام مع حمار أو اكثر لحمل المريض منهم وبعض الهدايا البسيطة للاهل والاصدقاء. ولا تستغرق هذه الرحلة اكثر من اربعة ايام ثم يمكث اسبوعاً ويستأنف الصعود الى الموصل من جديد، وهكذا بدأت رحلة الكلك وهكذا انتهت.

لماذا اختير التكريتي لهذه المهمة

بعـد تحـري دقيق وجلسة صادقة مع بعض الرجال الذين مارسوا مهنة الطراح بجودة ومثابرة متميزتين ممن لا زالوا على قيد الحياة، وجدت أن هذه الحرفة بالذات تحتاج الى مواصفات خاصة تناسبها، أولها الأمانة والصدق، وثانيهما الصبر والمقدرة على التحمل وثالثها الذكاء والقوة.

أن توفـر مثـل هذه المواصفات في رجل واحد ليست أمراً هيناً، وصفة الامانة يؤكد عليها تجار الموصل وبغداد لأنهم حريصون على سلامة اموالهم التي أودعوها في البضـائـع المتنـوعـة الشكـل والكم، فمنها الصلب ومنها الرقيق ومنها السائل، ومثل هذه البضائع حريصون على وضعها بين أيدي أمينة بالدرجة الأولى، بحيث لا يتطرق اليها الشك لامن بين يديها ولامن خلفها، ففي الوقت الذي لا تتجاوز أجرة الطـراح حفنـة من قيمـة ما يحمله على ظهـر الكلك لم يفكـر ولـو للحظة واحدة في تنـاول اي قدر من الحمـولة مهما كانت الظروف والاحوال الصعبة التي تواجهه ومن بينهـا الجـوع الـذي يصيبـه في بعض الايام فهويقتات على الخبز والتمر والجريش بينما يرى امامه اكداساً من الجوز واللوز والزبيب والعسل والتين والسمن وغيرها مما تشتهي النفس، أن مثـل هذه الامـانـة صفة لا يتحلىٰ بها الا القليل، نحن لا ننكر ان العراقي بوجه عام مشهود له بمثل هذه الصفة ولكن التكريتي امتحن ووضع على المحـك في كل ساعـة وفي كل يوم وقـد نجـح في الامتحـان، فالأمـر يحتاج الى المطاولة في الصبر وحب المثل العليا بقدرات ذاتية وأصيلة ومستقرة.

متى توقفت هذه الحرفة

من طريف ما يذكـر بهـذه المنـاسبـة انني كنت أتحـدث مع أحـد الطراحين الممـارسين للكلك قبـل ان يتـوفـاه الله ويشمله برحمتـه، فقـال لي: ماذا تسمـون السيـارة باللغـة الانكليـزيـة؟ فقلت له: موتوركار. قال: لا . . . أنها موتىٰ كار (أي اماتت الكار) وهو كما قلنا مجموعة الاكلاك. أي أن السبب في موت الاكلاك هي

السيـارات لكثـرتهـا وسـرعتها. وسواء جاء المثل مطابقاً للواقع أو قريباً منه فالحقيقة هي كما قال الرجل يرحمه الله كان للطرق المعبدة والسيارات الكبيرة الأثر الاكبر في انحسار ظل الاكلاك وغيابها ثم انقراضها، فالجهد أقل والامان اكثر والوقت افضل، وفي عام ١٩٤٥ توقف آخر كلك، وبقي بعده (الطوف) وتصميمه يشبه الى حد كبير تصميم الكلك لولا أنه بلا جربان ويقتصر على نقل الاخشاب فقط، كما أنه أصغر حجماً ومساحة.

كمـا استخـدمت في تكـريت بين قصبـاتها وقراها كوسيلة نقل نهرية (العَبْرة) وشكلها العام أو بنائها يرتكز على مجموعة قليلة من الجربان ترتبط بها شبكة بسيطة من اعمدة الخشب الرقيقة ثم اغصان الاشجار وتبنىٰ فوقها خيمة صغيرة يركب عليها مجـدافـان، وتستخدم لنقل الدجاج والبيض بين القرى الشمالية ومدينة تكريت أي انها تسير مع التيار، وقد انتهت هي الاخرى بعد شيوع السيارت. ثم شاع استخدام (الطرّادة) وهي زورق كبير من الحديد بطول ثمانية امتار وبعرض مترين ونصف المتر مستدقـة الـرأس وبعمق متـر تقريباً، كان نشاطها ينحصر بين الخالص لجلب التمور جنـوبـاً والقيارة لجلب الحنطة والشعير شمالاً وكانت تسير تارة بمجدافين مثبتين في وسطها واحياناً تسير بواسطة شراع كبير. وهذه هي الاخرى انقرضت ولم يعد لها وجود.

وبـدءاً بالكلك وانتهـاءاً بالعَبـرة والطـرّادة فأنها وسائط نقل ولّدتها الحاجة لها وانتهت مع نهاية هذه الحاجة. وفي جميع الأحوال كانت صورة حية تركت آثاراً بهذا القـدر أو ذاك في مجـرى الحيـاة العـراقيـة المتطورة كأي كائن حي يولد فيزهر فيثمر فيمـوت وسبحـان من لا يمـوت. ولا يفـوتنا بهذه المناسبة ان نذكر ان السلطان مراد الـرابـع كان قد استعـان بالاكـلاك لنقـل المدافع التي ساهمت بتخليص بغداد من الصفويين.

(١) الكـرصـة والمخمـرة كتلة من عجين الحنطـة متماسكة نسبياً توضع في حفرة تناسب حجمها ومن غيـر أي حاجـز يفصلهـا عن التراب ثم تلقىٰ فوقها كمية من الحطب والاخشاب فتحرق وبعد وقت يسير يرفعون عنها الرماد الذي خلفه الحطب ويخرجونها من الارض ثم يضيفون اليها بعض السمن لتصبح جاهـزة للتنـاول فيحلقون حولها ليقتطع كل منهم جزءاً ليأكله وبعدها بقليل يندفع الى النهـر ليغـرف منـه بكفيـه ما يطفيء ظمأه ويتحـول بعـدها الى مجدافه ليطويه بين ذراعيه كما يطوي (أريل) الراديو.

(٢) الجـراب والـوكـاء والشكـوة جلد مدبـوغ لخـروف أو ماعـز يملأ بهواء الرئتين ويتوكى بعناية، والـوكـاء كلمـة عربيـة وهي الحبل الرقيق الذي يشد به فم الجراب أو الشكوة. والشكوة هي نفس الجلد ولكن استعماله يقتصر على اللبن والحليب.

(٣) الصوغة هي الهدية التي يجلبها المغترب أو المسافر لأهله بعد عودته من سفرته.

(٤) الـدبـاغة عملية مهمة لأي مادة جلدية لاتزال خاماً لتقويته ومرونته والمواد المستعملة في هذه العملية هي قشور الرمان ممزوجاً بكمية مناسبة من الملح وترافقها تفصيلات اخرى.

(٥) الجيق أغصان مجدولة وطرية تقوم مقام الحبال لقدرتها على مقاومة الماء وقوتها.

(٦) الكـار مجمـوع من الاكـلاك لا تقل عن خمسة ولا تزيد على العشرين كلكاً يقود الكل رئيس الكـار او قائـد الكـار وهـو المسؤول عن كل ما يتعلق به ناسـاً وحمـولة ويتقاضى اجراً يعادل أربعة أضعاف أجرة الآخرين، هذا مع العلم بأن لكل كلك رئيس يقود الثلاثة الآخرين الذين معه ولكنه يتبع تعليمات رئيس الكار.

الحياة الاجتماعية في تكريت

تمهيـــد

ونحن نشرف على نهاية العقد السادس من العمر وعلى نهاية القرن العشرين لا تزال احـداث الثـلاثينات والاربعينات والخمسينات من هذا القرن تثير في نفوسنا الكثيـر من الـذكـريـات العطـرة والمؤثـرة في حيـاتنا حتى الآن. رغم كل ما صادفنا خلالهـا من قسـاوة الحيـاة وشظفهـا، فلقـد عشنـا فتـرة زمنية مثيرة من تاريخ العراق المعاصر، شهدنا خلالها وتاثر تطور بالغة التأثير والسرعة أتسمت بقفزات وانعطافات حادة ومتنوعة أثرت في مجمل سلوكنا، من هنا كان اهتمامنا بهذه الفترة كبيراً، كما انهـا أخـذت الحصـة الاكبـر من الحـديث، واستميـح القاريء الكريم عذراً أذا ما أسـهبت في ذكر بعض التفاصيل لهذه الفترة بالذات لعلاقاتها بالأوضاع الاجتماعية في عمـوم القطـر العـراقي وبـالحيـاة الاجتمـاعية في تكريت التي هي جزء من هذا الشعب العظيم.

الكـل يعلم أن الفتـرة الممتـدة قبـل هذا القـرن ولخمسـة قرون خلت كانت متشـابهـة المعالم والأحوال، تتميز بركود فكري واجتماعي وأقتصادي واضح، وهي الفتـرة التي كان العـراق خلالها خاضعاً للسيطرة العثمانيةد فالجهل والفقر والمرض كانت سمته وعنوانه، فلا جديد فيه ولا تغيير يستحق الذكر، والشعب العراقي يمضع الايام والسنين بلا نكهة ولا طعم حتى دخول المحتلين الانكليز عام ١٩١٧ وبداية الحكم الوطني عام ١٩٢١.

بعد هذا التاريخ وحتى انبثاق ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ (أي ما يقرب من الاربعين عامـاً) دخلت الكثيـر من الظـواهـر السيـاسيـة والاجتمـاعيـة والفكرية والاقتصـاديــة الجـديـدة على حيـاة الشعب العـراقي، فانتشـرت المـدارس والمستـوصفـات، ونشطت الحـركة الوطنية، وتبدلت عادات وتقاليد، وتطور النظام الاداري، واصبح للعراق جيش نظامي، ودخلت الاذاعة والتلفزيون وكثير غيرها.

ومنذ عام ١٩٥٨ وما بعدها وحتى كتابة هذه السطور هذه الفترة هي الاخرى اختلفت عن الفتـرتين السـابقتين بشكـل جذري انعكس على مجتمعنـا شكـلا ومـوضـوعـاً وخاصة بعد تأميم النفط، أتاحت فرصاً مادية وثقافية واجتماعية وسياسية للعراقيين لم يعهدوها طيلة القرون السابقة.

وهكذا نجد ومن خلال استعراض مكثف الحقائق التالية :

اكثر من اربعمائة سنة متشابهة في واقعها المتخلف .

تلتها اربعون سنة حملت مؤشرات حديثة وظواهر عصرية لم يعهدها الشعب من قبل اعقبتها فترة مهمة اتسمت بقفزات نوعية هائلة نحو الامام بحيث أصبح من الصعب التكهن بما ستحمله الايام القادمة من التطور والمفاجئات المثيرة التي تحمل المواطن العراقي على أن يتسلح بقدرات استثنائية لاستيعاب الاحداث المستجدة والمتدافعة للتأثير فيها سواء على مساحة القطر العراقي والعربي ام على مساحة المجتمع الدولي كله .

لقد تناول علماء الاجتماع في دراساتهم وبحوثهم المختلفة مسألة السلوك الاجتماعي لهذا الشعب أوذاك وأسباب بروز هذه الظاهرة فيه أو تلك فارجع البعض منهم تلك الصفات الى طبيعة الارض والمناخ، وقال البعض الآخر ان السبب يعود الى المياه والانهار واقتصاد البلد، وذكر آخرون أن وراء هذا عوامل تاريخية قديمة تركت آثارها على الأجيال اللاحقة . . . الخ .

ومادمنا لسنا من علماء الاجتماع وأنما من المتتبعين والمتأثرين بمظاهر السلوك الانساني، فأننا وبعد أن منحتنا ثورة السابع عشر من تموز المجيدة ١٩٦٨ فرص السفر الى الخارج والالتقاء بالعالم الخارجي والتفاعل معه، فقد بدأنا نعيد النظر في طبيعة بناء الشخصية العراقية ونقارن بينها وبين غيرها من الأمم والشعوب الاخرى، ووجدنا في العراقي من الصفات الحميدة مالم نجدها في أي شعب آخر، مثلما لمسنا فيه أيضاً سلوكا غريباً لا ينسجم ولا يصح أن يجتمع ابداً مع تلك الصفات العظيمة. ولكي لا أطيل على الطاريء الكريم الذي لا يجهل مثل هذا القول، فأنني أكاد أجزم بأن الكرم والشجاعة وروح الفروسية فيه تغلغلت في دمائه وسرت في أوصاله حداً جعله يتفرد عن غيره فيها وليصبح الواحد منا غنياً عن كل ماعداها من الصفات، فهي مصدر كل عز وكبرياء، وتاج كل جمال. لقد وجدنا العراقي ولا نزال نراه حينما يتحدث عن نفسه أوعن وطنه أمام أخوانه العرب أو غيرهم من الغرباء يتحدث ببساطة وتواضع ملحوظين، لابل يُجل ويعظّم افعال الغير ويمنحهم صوراً اكبر من حجمهم الحقيقي ومبعث كل ذلك هوعلو الهمة التي

يتسم بها الفضلاء عادة، والا من يستطيع ان يساوي بين من يعطي وبين من يأخذ؟!
تاركين خلفنا كل الصفات الاخرى للمقارنة.. أنه العراق الغني.. وادي الرافدين.. أرض السواد.. مهد الحضارات منذ آلاف السنين، موطن الانسان الأول، والقلم الاول، والقانون الأول كان ومازال وسيبقى يمد يده لمساعدة الآخرين، فاكتفاؤه الذاتي رسخ فيه الاحساس بالغنى ولم يفقده الاحساس بحاجة الآخرين الى المساعدة، ومن هنا كان مضيفاً كبيراً للمشرّقين والمغرّبين فكل من زاره رحب له قلب العراقي وعينه قبل بساطه وكسائه وغذائه:

أضاحكُ ضيفي قبل انزال رحلِهِ فيخصب عندي والمحل جديبُ

هذا الخير العميم دفع الغير للعدوان على العراق للاستيلاء على ثرواته والتنعم بخيراته الامر الذي حفزه للقتال لدفع الشر عنه وعن بلاده، وهكذا تجذرت فيه صفة الفروسية والشجاعة والاقدام جيلاً بعد جيل، وتحت ثرى هذه الارض الطاهرة يرقد اليوم آلاف النبيين والقديسين والشهداء والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين.

وضمن هذا السياق التاريخي للمجتمع العراقي فأن مدينة تكريت وأهلها وهي جزء من هذا المجتمع تحاول أن تأخذ حصتها منه وتفخر ببعض الظواهر المتميزة التي تحلىٰ بها ابناؤنا عبر العصور وحتى منتصف القرن العشرين، والذي آثرنا ان نقف عنده ونترك لغيرنا من الشباب مهمة متابعة التطورات اللاحقة.

ومادامت تكريت لم تسلم من وتائر التطور السريعة التي أشرنا اليها قبل قليل فاننا لا نستطيع ان نغطي كامل الفترات التي سبقت هذا القرن وذلك لغياب المصادر والوثائق وأن كنا قد وقفنا على بعضها، لهذا سنكتفي بذكر الحالة الاجتماعية للمدينة منذ بداية هذا القرن وحتى منتصفه، وربما تكون هذه الظواهر منطبقة على كثير من القصبات العراقية الاخرى للفترة نفسها.

أن أبرز ما تمتاز به مدينة تكريت في تلك الفترة هو أن جميع أبنائها أقرباء أما عمـومـة أوخئولـة، أوصلة نسب أوجيـرة سمت الى درجـة القـرابـة، ولقـد كان الاحساس السائد بين اهلها أنهم أسرة واحدة، وتبرز هذه المظاهر في الخارج اكثر، ولا تزال آثارها وبعض مظاهرها منعكسة على الجميع الى وقتنا هذا، وأن كانت قد ضعفت بعض الشيء بسبب بعد المسافات المكانية وانصراف التكريتي الى عمله ووظيفته وجهل الولادات الجديدة لبعض الاقرباء والزواج من الغريبات، كل هذه العـوامـل وغيـرها اضعفت الشعور بالاقتراب بعضهم من البعض الآخر، وأن كانت المنـاسبـات الخاصة في الافراح والأحزان تلعب دوراً كبيراً في هذه الايام في اعادة الـذكـرى والتشـوق الى اللقـاء والاستفسـار والتعرف على الابناء والأحوال. كما أن المـدينـة اليوم تعج بشتى الوافدين الجدد تبعاً لتطور الحياة الادارية والسياسية الامر الذي يجد فيه التكريتي الحقيقي الساكن في بغداد نفسه غريباً في مدينته عند زيارته لها بين فترة واخرى.

حدثنـا الآبـاء والاجـداد الـذين عاصـرنـاهم ومن خلال ما قرأنـاه من مصادر تاريخيـة عديـدة أن أهالي مدينة تكريت ينتمون في الاصل الى قبائل عربية معروفة هي النمـر وتغلب وأيـاد والشهـارجـة ثم دخلتها قبائل اخرى هاشمية وشمرية وأموية وأيـوبيـة وعبيـديـة وعقيليـة وحمـدانية وكردية وكثير غيرها. ومع مرور الزمن والزواج المتبـادل اختلطت هذه الـدماء وامتزجت الاعمال والطبائع والصفات لدرجة لم يعد هنـاك اي حاجـز نفسي يفصل بينهم بالاضافة الى الجسور الاجتماعية والنفسية بين مجتمع المدينة والقصبات والقرى القريبة منها.

ومن يتحـدث عن أصـول وفـروع العشـائـر في العراق لا يمكن أن يسلم من الخطأ سواء في الانحيـاز لقبيلتـه أو في صعـوبـة الأمسـاك بخيـط النسب المتـواتـر الصحيـح. وحينمـا نتصـدىٰ الآن لمثـل هذا المـوضوع فأننا نقدر خطورة هذا الامر وعـذرنـا فيمـا سنـذكره هو خلاصة ما سمعناه وقرأناه عن مجتمع المدينة الذي يعتبر الانتماء أليه وحده هو بحد ذاته نسباً، ونستطيع البرهنة على أنها نسب هو عمق وسعة المشاركة الوجدانية بين أبنائها.

وأذا كان ذكر العشائر بتفصيلاتها يوقعني في خطأ يفقد المدينة وحدتها واصالتها فانني (وهذا رأيي الشخصي) انحاز وبلا تردد الى وحدة المدينة نسباً.

أما الجانب الديني لمجتمع المدينة فكلهم مسلمون بعد رحيل آخر نصراني عنها عام ١٢٦٢م[1] وبالاضافة الى الوضع العشائري والقبلي للمجتمع التكريتي هناك الوضع الحياتي والمعاشي للناس ايضاً، فكل فرد فيهم له ارتباط مباشر اوغير مباشر بعمل الآخر مساعداً أو متمماً له، كما أن بناء المدينة هو الآخر لا يترك فسحة من الارض لابتعاد أحدهم عن الآخر، فالدور من الطين والحصى والجص المحلي، وطريقة البناء بسيطة والازقة ضيقة بحيث يستطيع الواحد منهم أن ينتقل من سطح هذه الدار الى سطح الدار المجاورة ومن أول المحلة الى آخرها وحتى من فوق الازقة.

السوق واحد والمقاهي متجاورة وبسيطة وفي دائرة واحدة والوجوه تلتقي ببعضها صباح مساء، والحديث في صحن الدار يسمعه الجار وأذا كان صراخاً تسمعه المحلة كلها. واللقاءات المستمرة تحدث بين الرجال كما تحدث بين النساء والشباب والاطفال، وأذا افتقد أحدهم الآخر خلال اليوم ذهب الى بيته مستفسراً عن السبب.

هذا الترابط الوجداني كان السبب في توحدهم النفسي واشتراكهم في الأفراح والأتراح متجاوزين كل الخلافات الهامشية التي تحدث بين أفراد الأسرة الواحدة. هذه الصورة لم تكن في يوم من الأيام معزولة عن مسار حياة وواقع المدينة الموحد. وهي تجتاز المراحل الصعبة عبر العصور. فلقد تعرضت المدينة خلال الحقب التاريخية الماضية الى عدة غزوات كانت منتصرة وصامدة في اغلبها ومنكسرة في بعضها، وللاستزادة يستطيع القاريء الكريم الرجوع الى المصادر

---

(١) نصارى العراق - روفائيل بابو اسحق - بغداد ١٩٤٨
اللؤلؤ المنثور - الطبعة الثالثة ١٩٧٦ والثانية ١٩٥٦

التـاريخيـة العـديـدة التي كتبت عن تاريـخ المدينة القديم ، لقد أرادها الآشوريون والبـابليـون والروم والساسانيون ثغراً عسكرياً لدولهم ، واتخذها البعض منتجعاً لهم لاعتدال مناخها ووفرة خيراتها حتى عام ١٦هـ حينما رست على شاطيء الاسلام والسلام .

وأذا كان لكـل حديث خاتمـة فخـاتمـة حديثـنا عن عشـائر تكريت في ذلك الوقت فهي :

(البوناصر والبيجات فخذ منهم)

الحديثيون

البوخشمان

الشيايشة

العويسات

البو بزون

البو غدير

عوائـل كثيـرة عربية الاصل متناثرة هنا وهناك فيهم الايوبيون والجبور والعقيليون والسادة الر فاعيون والسادة الالوسيون والدوريون والسامرائيون .

لقـد كان لكـل عشيـرة من هذه العشـائر بعض الصفات الخاصة بها اسهمت كلهـا في أكمـال الصـورة الانسـانية للمجتمع التكريتي الموحد الذي كان وما يزال اسرة واحدة .

استكمالاً للحقيقة ، كانت الأواصر التي تشد أبناء مدينة تكريت بعضهم الى البعض الآخـر تثيـر الـدهشة والاعجاب ، فالايمان بالله وبمباديء العروبة والاسلام والتمسـك بالمثـل العليـا أمـر واضـح وثـابت في القـوانين الاجتمـاعيـة التي تسود المـدينـة ، وكل خرق لها تتحدث عنه المحلة أو المدينة كلها ، وفي الوقت نفسه فأن أي مأثـرة أوبادرة طيبـة تتـرك اثـرهـا الـواضـح على الجميـع وتصبـح قدوة تستأثـر بأهتماماتهم . من هنا كان الاباء والامهات كل يعرف دوره التربوي تجاه ابنائه وبناته منـذ الصغـر ، الوالد حصته الابن والام حصتها البنت وأن تداخلت المسؤوليات في

بعض الاحيـان، الاب يعلم أبنـه منـذ نعـومـة أظفاره طاعة الله والوالدين والمعلم، واحتـرام الكبيـر والجـار والعطف على الصغيـر، وحضـور مجـالس الكبار والأصغاء فقـط، وتفقـد شؤون الاقـربـاء والأرحـام ومسـاعـدتهم دون منة، والاسهام بالعمل الجماعي وتقديم المساعدة لطالبها، والتمسك بحقوقه وعدم التفريط بها أذا جرت محاولة لأخذها عنوة، والصبر والجلد عند الملمات. . . الخ.

وتتولى الام مسؤولية توجيه أبنتها في الحرص على شرفها والابتعاد عن كل ما يسيء الى سمعتهـا وشـرف العـائلة، وتجنب الكلام الرخيص وأمور تفصيلية اخرى تتعلق بأخلاق الزوجة الصالحة في رعاية الزوج وأهله الكبير منهم والصغير، ورعاية الطفـل وتنشأتـه على حب الفضيلة. . . الـخ. وأذا اخفقت البنت في واحـدة منهـا وقعت الأم وابنتها تحت طائلة العقاب الصارم من الأب.

ومن أجمـل الظـواهـر الاجتمـاعيـة في المـدينـة ظاهـرة تبـادل طعام العشاء (المغرب) سواء كان طعاماً بسيطاً كالخضروات المطبوخة باللحم أو بدونه أو أكلات مشتقـة من الحنطـة فبعـد غروب الشمس مبـاشـرة وقبـل أن يفـرغ الناس من صلاة المغـرب كنـا نشـاهـد الصبيـات الصغيـرات يدرجن في الطرقات غاديات رائحات يحملن (السطـلات النحـاسيـة) المملوءة بشتى الاصنـاف البسيطة من الطعام الى هذا الجـار أو ذاك القـريب والضعيف ليصبح في نهاية الأمر عشاء الجميع واحداً. وينسحب هذا التـوزيـع على (الصـوغـات) القادمة من الريف كاللّبن والخضروات الطازجة أو من المدينة كالفواكه، ويأخذ (طرشي الشلغم) الاحمر اللون حصة أكبر في التوزيع كلما فاض دن جديد.

كانت علاقـة أهـالي المـدينـة بالفـلاحين ويـرعاة الغنم القريبين من المدينة علاقـة وثيقـة، فاذا زار القـروي تكريت لمدة يوم أو يومين لاسباب تتعلق بالتسوق أو لمـراجعـة طبيب أو دعـوى اداريـة فأن قدمـاه تعرف الطريق الى بيت صديق أو أكثر وكالعادة يحمل معه ماتيسر من لبن وخضروات كماهو الحال عندما يقوم أبن المدينة بزيـارة القـروي وهـو يحمـل معـه ما تيسـر من الحلويات لاطفاله، كل هذا مشفوعاً باريحية جميلة وعيون أرحب في الاستقبال والتوديع.

كانت أدوات الاسرة في السابق بسيطة ومتواضعة، وهي حاجيات يدوية أو منزلية ولكن خدماتها لا تقتصر على الاسرة وحدها بل معرضة للاعارة والاستعارة على طول الخط، فحينما تحتاج اسرة معينة الى حمار لنقل شيء عليه أوزورق أوفاساً أو أي مادة أخرى فأنها وبلا تردد تبعث بأحد أفراد العائلة لجلبها من الجار أو القريب أو الصديق حيثما توفر الشيء فيأخذه سواء أكان صاحب الدار موجوداً أم غير موجود فهذه العادة قائمة ومستقرة لأن الكل أسرة واحدة والحياة تكاد تكون مشتركة الا فيما يغضب الله.

كانت الحياة بلا قيود شكلية محددة، والقيد الواحد الذي يشد مجتمع المدينة كله وينظمه هو الوازع الديني والاخلاقي والمحاسبة الذاتية لدى الفرد لتجعله مسؤولاً عن أي تصرف أوقول، لهذ كنت ترى الشاب وهو يعيش الفترة المندفعة من حياته قريباً من الفتيات من أقرانه يكلمهن ويشاركهن بعض الاعمال وبعيداً عن أعين الرقباء لا يخل بالموازنة الاخلاقية والاجتماعية التي أشرنا اليها، وهو بهذا يتعرف على الفتاة شكلاً وخلقاً قبل ان يقترن بها بفترة مناسبة، أنه الاختيار الحر الذي يوافق طباعه وسلوكه، وكذلك الفتاة ايضاً، وغالبا ماكان الشاب يوبخ فتاةً ما تخرج بعض الاحيان عن قاعدة السلوك العام، سواء أكانت قريبته أم بعيدة عنه، وكانت تتحمل قسوته بأدب جم مشفوعاً بالأعتذار والخفر العذري المعهود.

ان المجتمع الذي نتحدث عنه في تكريت ليس مثالياً كماهو حال مجتمع المدينة الفاضلة التي تحدث عنها افلاطون، فهي لا تخلو من بعض الظواهر السلبية التي تفرزها الحياة عادة في كل مكان وزمان، ولكن مثل هذه السلبيات في المدينة والقصبات المشابهة اخف وأبسط، ذلك لأن التمسك بالمباديء كفيل بتجديد سلوك الفرد بشكل عام ليحافظ من خلاله على حقوق الآخرين ليسود الاحترام المتبادل، فحوادث القتل مثلاً كانت نادرة، والسارق كان منبوذاً، والكلام الجارح والفاحش غالبا ماكان صاحبه يعيش معزولاً ومنبوذاً. اما خروج المرأة عماهو مألوف من عادات وتقاليد فكانت تدفع حياتها ثمناً لذلك. حتى الثلاثينات كان الصبيان والصبيات ممن هم دون الخامسة عشرة من العمر يسبحون في النهر معاً، الصبي بلباس طويل يصل الى ركبتيه والفتاة بدشداشة رقيقة دون ان يخطر ببال احد منهم

الجـانب الجنسي أو يفكـر فيـه، يغمرهـم الماء، يتسابقون ويضحكون بعفوية بالغة وسذاجة لا حدود لها.

يمتاز المواطن التكريتي حتى منتصف هذا القرن بطبيعة خاصة يغلب عليها طابع البداوة فكراً وسلوكاً فهو يعيش كما يعيش النبات البري، وقدراته الشخصية في مقـارعـة الحيـاة، يتعـامـل مع الطبيعة ارضاً ومناخاً تعاملاً فطرياً منذ نعومة أظفاره، يتحمـل تقلبات الجو حراً وبرودة، ويعتلي التلال والمرتفعات حبواً وعدواً، ويمسك باظـافـره بأقرب نتوء أو نبات ليصل الى المكان الذي يروم الوصول اليه، غير عابىء بالمخـاطـر التي تحيق به من كل جانب، ويسيح في الشعـاب ويطـوي البـراري الممتدة أمام ناظريه بلا حدود، وراء هدف معين أو من غير هدف، لا يحمل زاداً ولا سلاحاً ويعود آخر النهار وقد تجرحت قدماه يترنح بسبب ماعاناه من الجوع والتعب، وحالما يستريح يعاود الكرة مرة اخرى.

أذا تعـرض لنقـد أو تجـريـح من أب أو أخ لذنب بسيـط ارتكبـه فأنـه يتحمل التقـريـع والضـرب من غير تأوه أو بكاء، وهو لا يهرب وأنما يكتفي بالزم على شفتيه فقـط. يكتسي عظمـه ويصلب عوده بجهـد شخصي ومعاناة حقيقية لا يعرف العجز اليـه سبيـلا، يحـرص دائمـاً على التمسك بما يملكه حتى وأن كانت عصاً صغيرة، واذا اعتـرضـه من يريـد استـلابه منه تحداه حتى وأن كان المعتدي اكبر منه وأقوى، صريـح وواضـح ولا يعـرف المـداهنـة والكـذب. لم يكن الصبيان في ذلك الوقت يرغبـون في ارتـداء المـلابس والاحـذيـة الثقيلة رغم توفرها وذلك لأنها تعيقهم عن الحركة، لذا تجدهم يفضلون الثوب الخفيف ليرتديه وينزعه بلمح البصر لأنه اساساً بلا أزرار.

الشبـاب والصبيـان هم وحـدهم الـذين كانوا يتمتعون بأوقات فراغهم بشكل أفضـل، أمـا الاطفال فكما قلنا أزقة المحلة وطرقاتها ملعبهم اليومي، والنهر والبرية مسـرحهم الـدوري، يمـارسون هواياتهم في اللعب والقفز والحركة على هواهم من غيـر رقيب. أمـا الشبـاب فأنهم يختـالون بدشاديشهم وغتّرهم وعگلهم في المحلة والسـوق والبـريـة وعلى شاطيء النهـر موزعين بين عمـل فرغـوا منه قبل قليل وبين

احلام الشباب الوردية التي لا تستيقظ الا عندما تخطر من أمامهم فتاة تلف جسمها بعبـاءة يطـل من خلالهـا وجههـا الصبوح الخالي من أي مسحوق كانه الوردة البرية أيام الربيع، تتعثر باذيالها خفراً وهرباً من العيون التي تلاحقها.

كنـا طلاب مدارس في الأربعينـات والخمسينات نخرج بشكل جماعي أول الأمـر ثم نتفـرق بعـد ذلـك على شكل مجاميع صغيرة وندلف الى الازقة متسارعين بطوننا خاوية وعقولنا مرهقة فتصادفنا فتاة تحمل على كتفها او فوق رأسها سلة مملوءة بخبز طازج ليتصاعد البخار من حوله، تلك الارغفة المعجونة بطعم السعادة ورائحة الصدق والعفوية فتندفع الاصابع من غير استئذان لخطفها كلاً أو جزءاً بين أبتسامة الفتاة وتعليقاتها الرقيقة بالدعاء لنا بالنجاح والتوفيق وربما تعود لأعداد الخبز من جديد.

كانت لكـل امـرأة تنـورها الخاص، ومع ذلك فأنها تتفق مع جاراتها على أن يكـون منهجـاً محـدداً ودورياً لكل تنور وذلك تجنباً للتبذير في الحطب (الشجار)[٢] فالخبز يتم كل يوم في بيت وتنور جديدين.

لا وجـود للتنـاقض الطبقي في مجتمـع المدينة والريف القريب منها، فليس هناك اقطاعي كبير وفلاحين تابعين كماهو الحال في جنوب العراق ووسطه وشماله، بل خيـط من الارض الـزراعيـة المحـدودة ومـاكنة لضخ الماء يملكها رجل تكريتي موسر نسبياً يسكن المدينة له نصف المحصول الزراعي يقاسمه النصف الآخر فلاح يتصرف بكامل حريته في العمل والبيع والشراء، وحينما يزور شريكه (الملاّك) في المدينة فأنه يحل ضيفاً عزيزاً لا يعلو صوت أحدهم على صوت الآخر. وحين تلتقي العائلتان في القرية فأنك لا تستطيع التمييز بين أبن الملاك وابن الفلاح وهم يلعبون معـاً. أمـا رأس المـال الصنـاعي والاستثماري فلا وجود له عدا ما ذكرناه سابقاً عن القراش والعامل، فلا صناعة متطورة ولا بنوك ومصارف كماهو الحال اليوم، **فالمال لديهم لسد الحاجة وليس للاكتناز.**

ومن بين الظواهر الاجتماعية التي كانت سائدة في تكريت وحينما لـم تكن قد انتشـرت بعـد في الـريف او القصبـات القـريبـة المـدارس المتوسطة والثانوية، ان

الطالب الذي تخرج من ابتدائية الريف ويروم اكمال دراسته في تكريت يكفيه ان ينتسب الى تلك المدرسة ويقرر والده بعد الاتفاق مع احد اصدقاء المدينة ليعيش ولده في بيته كواحد من أبنائه طيلة فترة الدراسة والتي قد تستغرق ثلاث سنوات من غير أي مقابل سوى ما يحمله الأب من هدية رمزية تقليدية كاللبن والدجاجة وما شابه ذلك مما اعتاد ان يقدمه لصديقه قبل التحاق ولده، ليتفقد احواله الدراسية والاخلاقية. أن مثل هذه العلاقة عززت الصلة بين ابن المدينة وابن القرية لتترك بصماتها وآثارها النفسية الجميلة الى اليوم.

للرجال في تكريت أمسياتهم كما للنساء اوقات فراغهم، أما المرأة التي تجاوزت الاربعين أو الخمسين والتي أصبحت لديها (كنّة)[٣] أو فتاة كبيرة فتنصرف في العادة الى تفقد واتمام شؤون المونة والقضايا التربوية والارشادات وتقتصر زياراتها على المناسبات الاجتماعية لتفقد صحة قريبة أو صديقة أو الاشتراك في مناسبات الفرح للتبريك أو مناسبات الوفاة للمواساة، واحيانا زيارة الجارة كلما دعت االحاجة لاستعارة شيء منها وضمن أوقات محددة. واحيانا تتناول الشيء من فوق سياج منخفض. أن دور المرأة في تلك الايام منصب على الاطفال ورعايتهم وتدبير شؤون البيت تنظيماً وتنظيفاً واقتصاداً وتوفير الماء للشرب والغسيل ورعاية شؤون الحيوانات الاليفة أن وجدت كالدجاجات ورؤوس الغنم والبقرة أو الحمار. أما قضايا الطبخ نوعاً وكمية فهو عملها المركزي تجتهد من خلاله بما يوافق المتوفر والميسور ووجود (خطّار) اي ضيف أو غياب رب الاسرة اوحضوره وهي امور تفصيلية لا يمكن حصرها. اما الشابة فتشارك الام باعمال البيت وليس لديها فرصة للتنفيس عن حياتها غير فرصتي جلب الماء من النهر صباحاً ومساءاً وأذا حاولت الخروج الى جارتها أو صديقتها فيجب ان تكون حذرة لتعود الى الدار قبل وصول الاب والاخ الكبير.

أما الرجال فيقضون أوقات فراغهم أما في الديوان القريب أو في المقهى أو في منتدى الطريق الذي سنفرد له موقعاً مستقلاً في قادم الكلام. وأحاديثهم لا تخرج عن دائرة شؤون الحياة اليومية وتقلبات الجو وأبداء الرأي في الاحداث الطارئة، أما أذا كان هناك حدث جديد فأنه يبقى يدور على السنتهم ويشغل

تفكيرهم فترة طويلة ويستحوذ على كل حديث سواه كمقتل رجل أو تعيين مأمور مركز جديد أوعرس أو سفرحاج أوعودته. هذه كانت الامور الكبرى في المدينة، يعود الرجال بعدها ليلاً الى دورهم في حدود الساعة العاشرة مساءاً فيناموا مبكرين ليستيقظوا مبكرين.

ولقد سمعنا من الكبار قولاً كانوا يرددونه دائماً: (صبحٍ بالموصل ومسّي ببغداد) ويفسرون هذا القول بأن الراصد والمراقب الذي يستيقظ صباحاً في مدينة الموصل يجد كل ابناء المدينة من الرجال والصغار يدرجون الى أعمالهم كخلية النحل ويعودون مساءاً خائري القوى ومتعبين فينالوا قسطهم من العشاء ويناموا مبكرين، أما ابناء بغداد فيستيقظ الكثير منهم متأخرين متثقالين ويعودوا ظهراً لنومة القيلولة ثم يسهرون ليلاً الى وقت متأخر، لهذا تجد ليالي بغداد مشرقة ومضيئة وممتعة يستطيع المرء خلالها أن يختار أي الأماكن يشاء لقضاء السهرة.

الميلاد والوفاة

كان أهـالي تكـريت جميعـاً أسـوة بالعراقيين في ذلك الوقت يفرحون بمقدم الـولـد وهم في هذا لا يختلفـون عن أي مجتمـع قبلي تعيش البـداوة في أعمـاقهم يبحثـون من خلالهـا عن مصـادر القـوة التي من خلالهـا يستطيعـون الهيمنـة على الظروف الطبيعية القاسية من جهة والتأثير البارز في الوحدة الأجتماعية السائدة هيبة وشمـوخـاً من جهة أخرى. ولما كان الولد أحد أهم العناصر المؤثرة في ذلك الوقت فان ميـلاده يشكـل حادثـاً بهيجاً وحزمة من الضوء تشرق في جنبات الاسرة صغيرها والكبير، واكثر الذين يفرحون بمقدمه جده لأبيه (فما أعز من الولد غير ولد الولد) ثم أم الـزوجـة أي جدتـه لأمـه التي تجد هي الاخرى في مقدمه تعزيزاً لمركز ابنتها في البيت والاطمئنان اكثر الى مستقبلها. ولا يشمل الفرح أفراد الأسرة فقط وأنما يمتد الى الاقرباء والجيران وأبناء المحلة الذين يبدأون يتقاطرون للتهنئة يحملون معهم ماتيسـر من الهـدايـا العينيـة البسيطـة التي كانـوا يطلقـون عليها (الطبشي) وغالباً ماكانت عبارة عن ثلاث الى أربع (كِلال من القند) وهي قوالب من السكر مخروطية الشكـل تزن الـواحـدة منهـا كيلوغراماً واحداً توضع في صينية وتغطى بقطعة قماش رقيقة تعبيراً عن مشاركتهم الفرحة والسرور.

كان تقـديم (الطبشي) هذا يجـري في كل مراسم الفـرح والبهجة في الولادة والختان والزواج وغيرها، ولا يقتصر على السكر وانما كل هدية مناسبة.

وفـاة: الانســان في تكـريت هو الآخـر كان يتـرك اثـراً قاسيـاً في النفس، فالانسان يشكل خسارة بالغة رغم القناعة الدينية المترسخة في نفوس وعقول الناس وهي أن المـوت حق وأن الله وحـده الـذي يحصد مازرع زماناً ومكاناً، غير أن الذي يثير الدهشة والتساؤل بينهم حينما تكون الوفاة غير طبيعية كالقتل مثلاً لانه يترك آثاراً بالغة الخطورة في قابل الأيام.

ولماكان المجتمع التكريتي كما قلنا مجتماً صغيراً فأن ذكر الوفاة ينتشر بينهم بسرعـة ملحوظة يسهم مؤذن الجامع القريب بدور رئيسي في الاعلان عنها فيحضر

من يحضر على عجل ويحاول البعض أنهاء ما بيده من عمل للالتحاق بالآخرين، وفي جميع الأحوال يساهم معظم أهالي المدينة في تشييعه الى مثواه الاخير، ولقد كنا نرى الناس في المقاهي والحوانيت حينما تمر الجنازة من أمامهم كانوا يسارعون الى ترك ما بأيديهم للالتحاق بموكب التشييع والأشتراك بحمل المتوفى وتبادل المراكز حتى المقبرة ليصلى عليه صلاة الجنازة ثم يسجى في قبره ويلقن ويهال عليه التراب ويودع بأصدق الدعاء وأجمله وينصرف الناس عائدين الى بيوتهم وأعمالهم مرددين مع أنفسهم ومع بعضهم البعض سيرة الرجل الطيبة ومزاياه وهي طريقة متبعة في تكريت حتى الآن.

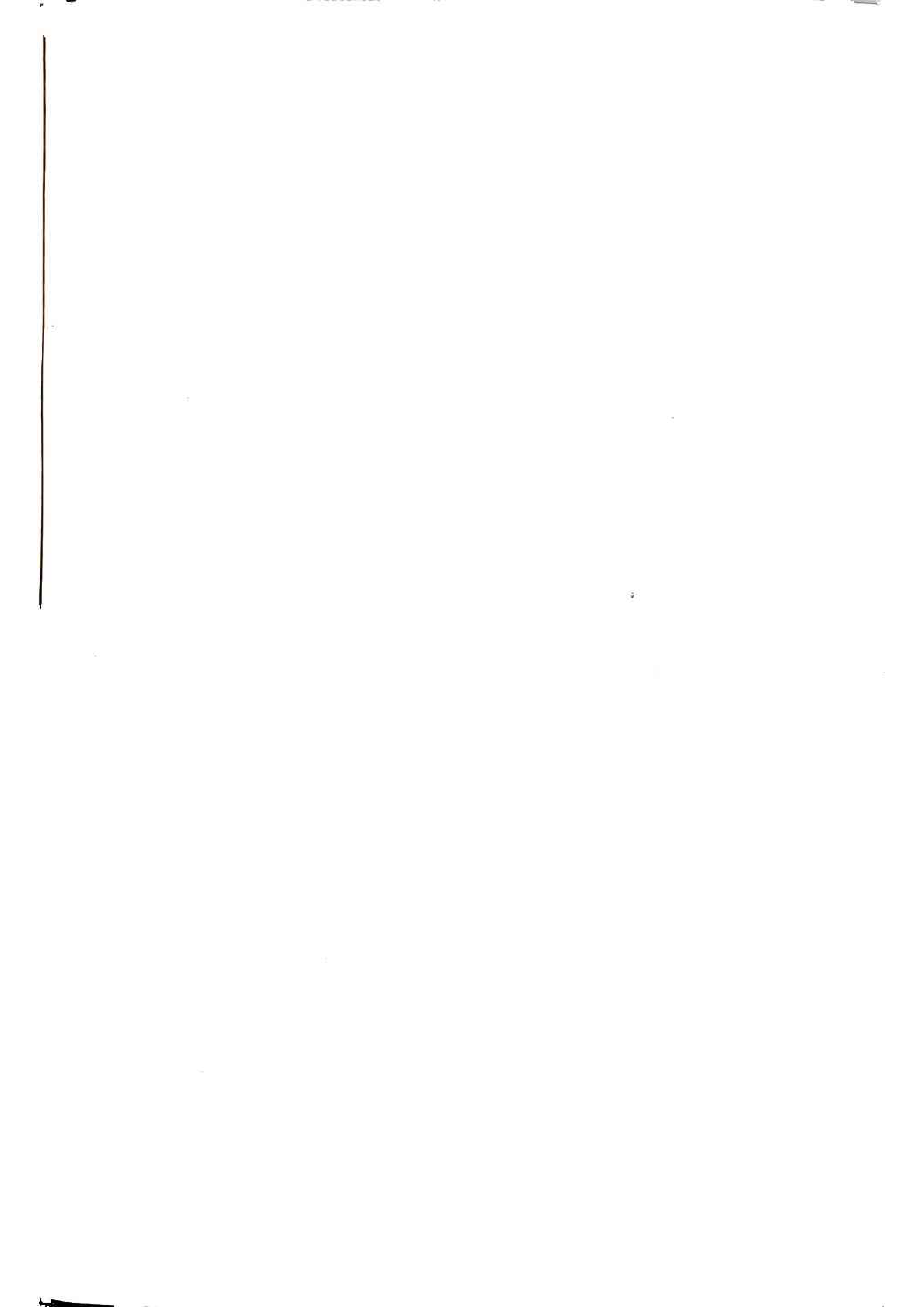
تقام مراسم (الفاتحة) عادة في بيت المتوفى لمدة ثلاثة أيام فقط، وكان البعض من الأهالي يجلب معه بعضاً من القهوة اليابسة او السيكاير والبعض خروفاً تبعاً لنوع العلاقة ويسار الفرد. وتختتم الفاتحة في مساء اليوم الثالث بتلاوة المولد النبوي الشريف بعد أن يتناول الجميع طعام العشاء. وهكذا تنتهي حياة كل كائن حي يستوي في ذلك التكريتي وغيره من البشر ولا يبقى غير الذكر الحسن:

يموت الخالدون بكل فجٍ ويستعصي على الموت الخلودُ

(١) الجـاون ـ قطعـة خشبيـة متينـة بطـول قدمين وقطر نصف قدم محفورة من الداخل بعمق قدم تقـريبـاً يوضـع فيهـا ما يقـرب من الكيلوغـرام من الحنطـة المسلوقة أو غير المـسلوقة لتهبيشها قبل استخدامها في الطعام. والتهبيش عبارة عن عملية من عمليات تنظيف الحنطة من قشرتها. ملحق بهذه الجاون (يدتها) التي هي عبارة عن عمود بطول متر تقوم الفتاة بالاستعانة به لدق الحب داخل الجاون وتتقابل عادة فتاتان لهذا الامر.

(٢) الشجار ـ ما يشجر به التنور من حطب.

(٣) الكنة ـ زوجة الابن



الصراعات الدورية

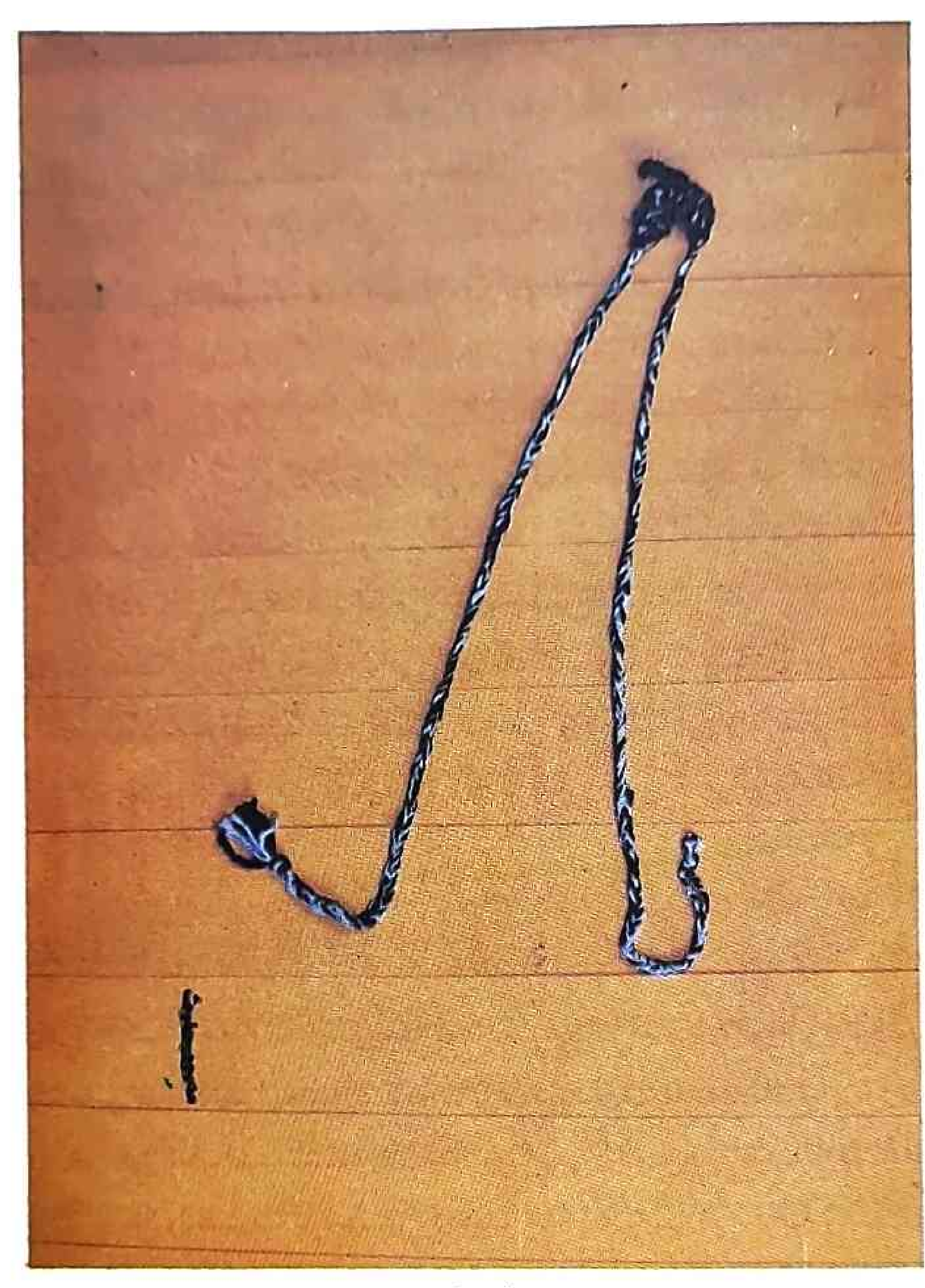
كلمة القوة والقوي في عموم المجتمع العراقي تعتبر صفة هامة وحيوية ينبغي أن يتحلىٰ بها كل عراقي ، وتتفاوت الرؤيا لهذه الصفة بتفاوت الوعي والبيئة حتىٰ في المجتمع العائلي الصغير، وفي الظروف التي نتحدث عنها الآن كان القوي وصفة القوة هي الوحيدة التي يستطيع فيها المرء أن يجابه قساوة الحياة البيئية منها والانسانية. لهذا كنا نجد الآباء في تكريت يغرسون في عقول الصغار ضرورة التحلي بالشجاعة والصبر باعتبارها السلاح الحاسم في تحدي الصعاب، وعندما يأتي الطفل أو الصبي مجروحاً في موضع من جسمه والدم ينزف منه فأنه لا يستطيع البكاء بين يدي أبيه أو أمه أو أخيه الاكبر رغم الألم الممض الذي يكتنفه ذلك لأن هذا التصرف يغضبهم فعليه أن يتحمل الألم وأذا صدر منه أي صوت فسرعان ما يجد كفاً ساخنة لتخرسه .

وفي سياق الحديث عن مظاهر القوة والفروسية في مدينة تكريت وفي ضوء القاعدة التي تقول (مَن شبَّ على شيء شاب عليه) كانت في المدينة محلتان رئيسيتان هما القلعة والحارة، محلة القلعة يترأس فتيانها المرحوم ضامن روكان الخشماني الذي كنا نسميه (الملك) ومحلة الحارة ويترأس فتيانها ياسين العمر وعبد محمد الهزاع أو عبد عوجة وهما من البيجات. هاتان المحلتان غالباً ما كانتا تستقطبان المناطق الصغيرة الاخرىٰ. كان هؤلاء الفتيان يتراصفون مكانياً وموضعياً وليس عشائرياً، أي قد يقف حديثي أو ناصري في جانب القلعة وأبن عمه في جانب الحارة.

هاتان المحلتان كانتا تصطرعان مع بعضهما وكأنهما تتفقان على موعد للنزهة، وبعلم الأهل والأقرباء، يتفق الرئيسان على زمان ومكان (المعركة) أو (الكونة) على أثر شجار طاريء حدث قبل يوم او يومين بين اثنين من المحلتين. أما زمانها فعصراً وأما مكاناً فهو المنطقة الساحلية الغربية للنهر وتسمى (الگب)[1] وهو شاطيء حصوي تماماً لا موضع فيه لغير الحصىٰ، يمتد هذا الگب تحت الجرف

الحجري الذي تعلوه دور الحارة وينتهي شمالاً بمحلة القلعة . يحضر الجمعان الى ساحل الگب كل جمع يتراوح بين الخمسين والمائة فتىً ، القلعة الى الشمال والحارة الى الجنوب تفصل بينهما مسافة لا تقل عن خمسمائة متر، هذا يحمل مقلاعاً وهو يشبه ما يستخدمه رجال الانتفاضة هذه الأيام (انظر الشكل) وهم الاكثرية وآخر يحمل عصا وتحت اقدامهم وقود المعركة الرئيسي (حصى الگب) والقائد الرئيسي للمجموعة ينظم الصفوف هؤلاء في القلب وأولئك في المقدمة وفي الميمنة والميسرة، يتبعها بخطبة حماسية يختمها بهوسة :

(وين يروح المطلوب النا) أو (يا جمّال الحگ بارنا) أو (هاي الگرمة ما ننطيها سبع سنين نحارب بيها) أو (لوهلهلتي هلهلنالچ) أو (اشجابك علسن تدوسه) يرددها الجميع بشكل موحد لتعلن بداية المعركة فيتقرب الجمعان الواحد من الآخر يبدأ معها عمل المقلاع الذي يشبه المدفع هذه الأيام، وكانت الحصاة المقذوفة بحجم الجوزة تصل الى الخصم فمن تصيبه مباشرة فانها تلحق به ضرراً جسيما خاصة أذا كان الموضع في رأسه، أو تصطدم في الارض الحصوية فتتشظىٰ الى قطع صغيرة هي الاخرىٰ لا تخلومن ضرر ثم تضيق المسافة شيئاً فشيئاً ويزداد الحماس في النفوس لتعلوهذه المرة هوسة (محاربة سبع سنين . . محاربة . . . محاربة سبع سنين . . محاربة) فيختلط الحابل بالنابل ضرباً بالأرجل والايدي، وحينما يواجه أحدهم أبن عمه في جبهة الخصوم ينحرف عنه ليواصل الضرب.



المقلاع

ومع غروب الشمس واختلاط الظلام تنجلي المعركة عن تراجع أحد الطرفين وانتصـار الآخـر بعـد أن يحيق التعب بالجميع فيقوم الآباء من المقاهي القريبة التي كانـوا يشهـدون من خلالهـا ظروف المعركة لتفقد ابنائهم، والبعض لا يحفل للامر كله، فلا يقـوم من مجلسـه أصـلاً. الأبتسـامات تعلو وجوه الكبار وهم يعلقون على شجاعة هذا ودقة تصويب ذاك، كل يسحب أبنه الذي لا تزال أنفاسه تعلو وتنخفض ويتفقد جروحه التي تنزف دماً غزيراً يفتش في كومة من الشعر الكث الحافل بالتراب والتبن ليـوقف الـدم بمنـديل كبير هو أقرب الى (علاگة النايلون) هذه الأيام وتصلح لكل شيء.

في اليوم التالي للمعركة نجد الكل يلعبون معاً ويسبحون في الشطئان، هذا يثني على شجـاعـة احمـد وذاك يؤكـد أن الـذي أصـابه محمود، شاكر فقد سناً من أسنانه ومولود خلفت المعركة شدخاً في جبهته سيرافقه العمر كله.

كانت هذه المعـارك تحـدث في أوقـات متفـاوتـة ولكنهـا دوريـة وتوقفت في منتصف الخمسينـات نهـائيـاً بعد التطور الثقافي والاجتماعي والانصراف الى ماهو أهم من ذلك بكثير لكنها في جميع الاوقات تبقى مدرسة تراثية حافلة بالدروس والعبر.

معركة التوة

وهي خصـومـة طارئـة وسـريعـة تحـدث في كل مسـاء تقريباً وبالتحديد عند غروب الشمس أو بعـدهـا بقليـل، لامكـان محـدد لها وتحدث تلقائياً وبدون سبب معقـول، هي في الغـالب مشـادة كلاميـة بين صبي وآخـر في أحد الأزقة تتطور الى الـرفس بالارجـل والضـرب بالقبضتين فينضم هذا القـريب الى قريبه وهذا الصديق الى صديقـه لتصبـح جبهتين متقابلتين يستندون بظهورهم وأيديهم الى أقرب حائط ويستمـر القتـال لمدة نصف ساعة تقريباً حتى يمر بهم رجل كبير يفصل بينهم زاجراً هذا وضاربا ذاك فيذهب كل منهم الى داره بعد أن يكون بعضهم قد تلقى نصيبه من افرازاتها غير السارة.

أنها أشبه بلعبة الجودو هذه الأيام ولكنها معركة حقيقية وليست اصطناعية.

العيد في تكريت

عيـد الفطـر وعيـد الاضحى كماهي العادة في كل أنحاء العراق وبلاد العرب والمسلمين يحتفـل بحلولهمـا الصغـار والكبـار باعتبـارهما تنفساً حياتياً نادراً مخففاً لضغط الأيام وقسوتها وما تحفل به من ظروف عمل تتسم كلها بالارهاق والتعب.

وفي مدينة تكريت يقتصر دور الكبار في أيام العيد على أداء صلاة العيد في أقـرب جامـع وبعـد الفـراغ من الصلاة يحيي بعضهم البعض من غير تردد حتى وأن كانت بين البعض منهم خصومة قريبة تمشياً مع مبادىء الدين الحنيف الذي أوصى بأن يتجاوز العيد الخلافات أيا كان نوعها. بعدها يتحول الرجل الى الفواتح الأولى للمتـوفين ذاك العـام، ثم يذهب الى بيتـه وعـائلتـه التي تنتظـره للتهنئـة ولاستـلام (العيـديـات) التقليدية من النقود كل حسب حالته المالية. بعد تناوله الفطور يذهب عادة الى الديوان الذي اعتاد التردد اليه ليصافح الحاضرين وبالطريقة القديمة التي كانتي متبعة وهي المصافحة باليدين مع تلاقي الكتفين برشاقة. وهي اشبه ما تكون بمعانقة خفيفة يتبعها التهنئة والدعوات من الله بأن يعيده على الجميع بالخير واليمن والبركة. ويختم الرجل دورته هذه بالمقهى للسلام أيضاً.

أما المرأة فتخرج قبل طلوع الشمس الى المقبرة لزيارة قبور الذين توفاهم الله من الاهـل والاقـربـاء وقراءة بعض الآيات القرآنية والدعاء من الله ان يحشر الجميع مع البنين والصـديقين. والـذي يشـاهدهم من بعيد لا يستطيع التمييز بينهم فكلهن يرتدين عباءاتهن السود من الرأس الى القدم

الشابات من بنات المدينة عيدهن ينحصر في منطقة قريبة من محلتهن خارج منطقـة البنـاء بمسـافـة قصيـرة يتجمعن فيها ويمارس بعض الالعاب البسيطة كلعبة (الطمـة) و(الشقصـة) التي تحـدثنا عنها ضمن الفولكلور. والاكثرية منهن يجلسن ويتسـامـرن وكـل تعرض لصديقتها ما أشترته من ملابس ومخشلات، ثم يعدن الى البيت قبل غروب الشمس.

الاطفـال والشبـاب والفتيـات هم الـذين لا تدري هل العيـد فَرِح بهم أم هـم الـذين يحتضنـون العَيـد، شباب ودماء موردة وملابس زاهية وضحكات وابتسامات وصياح الاطفال وحلوى (الكلجاي[٢] والحامض حلو والمسقول) وخرداوات حمراء وبيضـاء منـذ الصبـاح وحتى مابعـد مغيب الشمس. وللعيـد في ذلـك الوقت طعم خاص ومـذاق عجيب فالحمـار المطهم بأعنته المرزكشة وبردعته وما فوقها من بسط جميلة كان أحـد عجـائب الدنيا السبع وراكبه يختال كالطاووس بين الاطفال الذين تعلقت عيونهم به قبل أن يصلهم لان الجرس الكبير المعلق برقبته اعلن عن مقدمه



مزار الاربعين

لقد تعود الصغار كما ذكرنا سابقاً أن لا يحفلوا بالملابس ولا بالاحذية التي تعيق حركتهم ولكنهم في أيام العيد يتحولون الى زهور وطيور مختلفة الاشكال والالوان، فالكل يلبس الجديد الذي أعده له الأهل قبل أيام العيد فيخرج الواحد منهم الى الطريق أوخارج المدينة (الاربعين) و(السور القديم) والسرور يغمر جوانحه فرحاً بلقاء اقرانه من ناحية وبما يملك ويرتدي من ناحية اخرى، لقد كان للعيد طعم خاص غيرماهو عليه الآن، ذلك لأن الجميل والجديد لا يتوفر للطفل دائماً في تلك الايام. أما الآن ففي كل يوم عيد وفي كل وقت جديد، كانت الارجوحة حلماً سنوياً وركوب السيارة طبل لا يتوقف قرعه في العقل والنفس.

كانت أفواه الصغار لا تقوى على نطق الكلمات لانها محشوة دائماً باجزاء (الكلجاي) والحلويات يخرجون زرافات زرافات الى مرقد (الاربعين) خارج المدينة ويعودون منه سيراً على القدم وآخر يركب حماراً كان هو الآخر تارة يمشي وتارة يقفز مبتهجاً مع المبتهجين ومن كان يملك حماراً كمن يملك سيارة هذه الايام، والبعض القليل يملك حصاناً أو فرساً، أما السيارات واللوريات التي سبقت البيكاب فقد اصبح لها حضور واضح في الخمسينات لتسهم هي الاخرى في نقل الاطفال ذهاباً وأياباً بين مركز المدينة والاربعين، وأجور السائق كانت لا تتعدى الفلس[٣] والفلسين أو (عانة)[٤] التي تساوي أربعة فلوس الآن والتي زال استعمالها هي و(القرش)[٥] الذي يساوي فلسين ولم يعد لهما وجود. وأذا لم يجد الطفل نقداً يعطيه للسائق فانه يدس في جيبه أربع كلجايات وينصرف مطمئناً. كان صياح الاطفال وأغانيهم تصك السمع حينما يمرون بساحة السوق أو الطرقات المؤدية اليه، لا بل تضيع بعض صيحات البكاء للبعض منهم ممن داسته الاقدام أو فقد اخاه الكبير أو اختها الكبيرة فاغنية العيد التقليدة (جانا العيد ونعيد والصفقة عند سعيد) هي الأعلى من كل الصراخات.



مدخل الاربعين

أما عصر العيد وحين يرجع الكل من زيارة مرقد الاربعين فأنهم يتخذون من السور القديم للمدينة قاعدة للراحة وللتجمع والتمتع بمنظر العيد على وجوه الجميع ومن بينهم الفتيان والشبان الذين يخطرون أمامهم بدشاديشهم وغترهم وعگلهم يتبادلون النظرات الحافلة بكل الوجد والمشفوعة في بعض الاحيان بالاشارات والايماءات التي تتضمن الكثير. وقد اعتادت كل محلة أن تحتل الجزء القريب منها من السور. فالجزء الشمالي لمحلة القلعة والمحلة الخضراء، والقسم الجنوبي لمحلة الحارة. ويحدث أحياناً أن يسمع صوت لمطبك في منطقة القلعة، تنعقد على أثره دبكة جميلة يؤديها الشبان، ويصادف أن يحضر الى المنطقة واحد أو أكثر من شباب محلة الحارة الذين لا تستقر عيونهم في محاجرها لاختلاس النظر الى موضع الشابات والفتيات مما يحمل أبن القلعة على تفسيرها بأنها تطفل وصورة من صور التحدي وامتحان لرجولته وكبريائه. كان سباق الحمير والخيل يجري على قدم وساق، بين اثنين أو اكثر أحياناً قرب السور، وأحياناً حتى يصل السوق. في آخر عصاري العيد يضج الاطفال والصبيان والصبايا باغنية تقليدية وهي: (غاح العيد واچراقو كلمن غد لخلاقو)(٧)

(١) الكَلاّب منطقة حصوية هي جزء من شاطيء النهر الغربي تمتد تحت الجرف الذي تعلوه دور الحارة، لايزال موجوداً، أما أصل التسمية فمجهول.

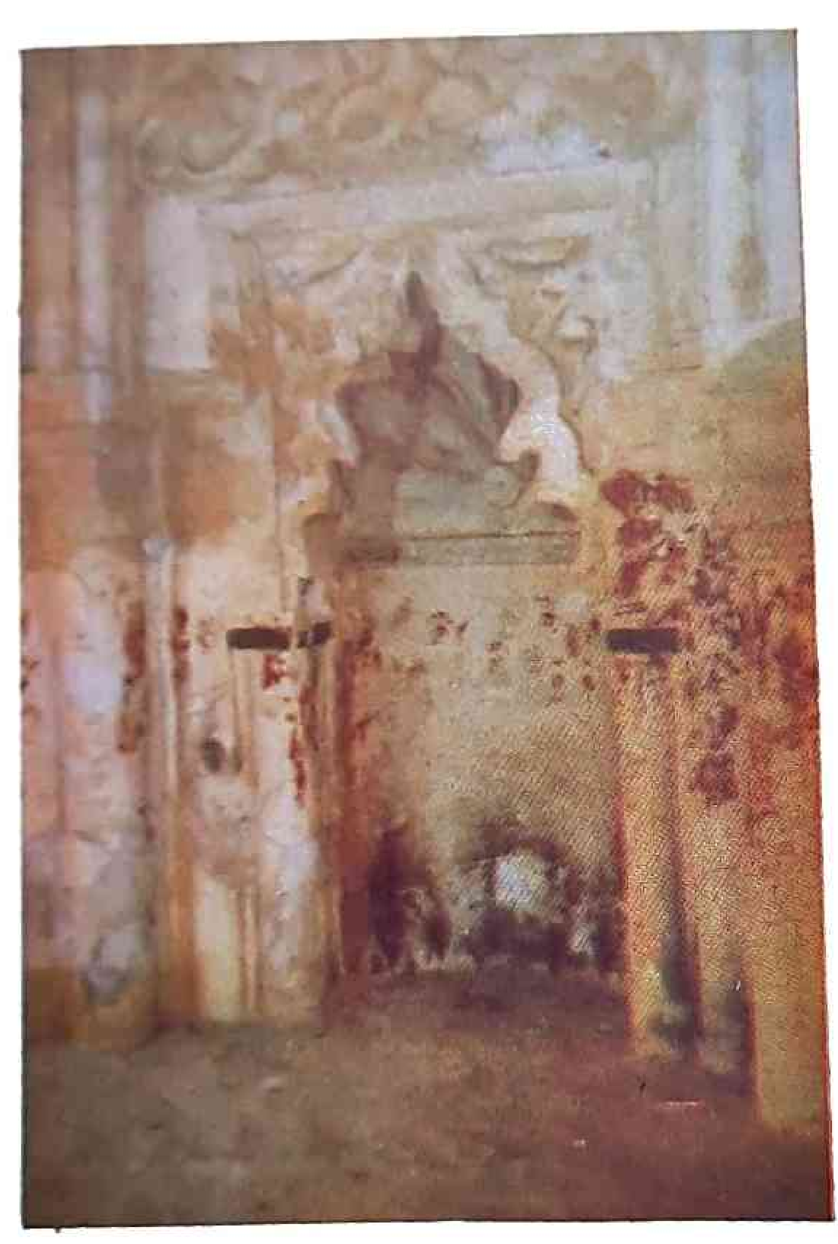
(٢) الكلجاي حلويات أو معجنات محلية بمعنى (كليچة) في بغداد.

(٣) الفلس عملة نقدية نحاسية كانت شائعة في تلك الايام وهي اصغر العملات.

(٤) العانة (عنة) تساوي أربعة فلوس بيضاء اللون.

(٥) القرش عملة نحاسية صفراء اكبر من الفلس وتساوي فلسين.

(٦) خلاقو أي اسمال الثياب



داخل الاربعين

المضايف والدواوين

المـارون بتكـريت قبـل اكثـر من خمسين عامـاً ومن مختلف الجهـات كانوا حينمـا يفـدون الى المـدينة لاسباب عديدة هم بين أحد أمرين ، أما أن يكونوا على معـرفـة وصـداقة مع أحد أبناء المدينة فيحلوا ضيوفاً عليه بمفردهم أو مع دوابهم ، أو جاهلون للمـدينـة وأهلهـا فيصـرفـون أعمـالهم ويستقـرون بعـدهـا في المقهىٰ أو يقصدون أحد الخانات الموجودة وهي عادة متوارثة منذ زمن بعيد يوم لم يكن هناك لا فندق ولا مطعم .

لقـد مرت بتكـريت فترة من الزمن القريب كانت تضم اكثر من ثلاثين ديواناً ، وهي تشبـه كل المـدن الصغيـرة التي يغلب عليهـا طابـع أبنـاء الـريف وسلوك أبناء العشائر وتمسكهم بعادة أكرام الضيف وتوفير أسباب الراحة له . لقد أعتاد الرجال في تكـريت أن يتفقـدوا وجـوه النـاس في المقـاهي قبـل غروب الشمس وهم يهمـون بالـذهـاب الى دورهم لأداء صلاة المغرب وتناول طعام العشاء ، فأن وجدوا شخصاً غير مألوف لديهم بادره أحدهم بالسؤال : هل أنت ضيف أحد في المدينة؟ فاذا ذكر لهم أسماً معروفاً لديهم تركوه مودعين بأحلى الكلام وأجمل التمنيات . وأذا سكت سحبـه أحـدهم من يده من غيـر كلام ورفض كل اعتـذار . وحين يقترب الرجال من بيت المضيف يهـرول الصغـار كل الى داره ليخبـر والـدتـه أن فلانـاً جاءه ضيف أو ضيوف على العشاء وهنا وبالسرعة المستطاعة تهيء كل عائلة ما تيسر لها من خفيف الطعـام كالتمـر واللبن والمطبـوخ من الطعام وتبعثه مع أبنها أو أبنتها الصغيرة لنجدة المضيف ورفع الحرج الذي يمكن أن يقع به وللتخفيف منه .

بقايا السور القديم

توجد في المدينة العديد من المضايف المتناثرة مستعدة في كل الاوقات لاستقبال الضيوف وحدهم أومع دوابهم فيجدوا الطعام الوفير ولدوابهم ، كما يجدوا الدثار والحديث الحلو الجميل والتجربة الثرة الغنية بالحكمة مشفوعة بفناجين القهوة المرة بين لحظة واخرى واكياس التبغ العامرة بكل صنف الكسكين منه والبارد، كل هذا يجري من غير اي منة أو أجر فالمضيف عادة مقتدر ولا يهمه غير السمعة الطيبة والذكر الحسن والتقرب الى الله لمساعدة الآخرين ولايزال العديد من هذه المضايف الكثيرة والمتناثرة في كل أجزاء المدينة واطرافها تقوم بدورها في استقبال الضيوف المعروفين وغير المعروفين القادمين من خارج المدينة فيقدم لهم الطعام والفراش والدثار بلا مقابل كما قلنا ، أما الرجال الذين يرتادون هذه المضايف كل يوم بعد تناول عشاءهم في دورهم فأن فناجين القهوة المرة هي وحدها حصتهم مرصعة بالاحاديث الجميلة .

مثل هذه الدواوين أو المضايف يجتمع فيها أبناء المحلة الواحدة أو الجيران القريبين أو الأقرباء ، وممن تتشابه أمزجتهم وطباعهم ، ويتألف المضيف من غرفة كبيرة نسبياً مفروشة بالبسط و(الليانات) وعدد كبير من الفرش والوسائد المتناثرة هنا وهناك ، وفي مدخل الغرفة مساحة صغيرة تلقى فيها الاحذية حفاظاً على نظافة المضيف الذي غالباً ما تقام فيه الصلاة أوتناول الطعام ، أما موقع جلوس صاحب الديوان فيكون عادة في بداية الجالسين والى يمين الداخل ليسلم عليه ثم ينتقل الى الباقين فيجلس حيث ينتهي القوم .

يبنى المضيف عادة قرب الباب الخارجي للدار، بعيداً عن سكن وغرف باقي أفراد العائلة وغالباً مايكون هناك باب خاص لخروج ودخول النساء والأطفال، كما أن الجالس في المضيف يجب أن لا يسمع أي صوت لهم لانه يتنافى مع هيبة الديوان وجلاسه .

لقد كانت هذه الدواوين مدارس حقيقية للناس فهي خلاصة تجارب وحكم يومية لا يتسغني عنها احد ، كل حديث يصغي له الجميع ويجري النقاش حوله بحرية تامة ، وكل طريفة يستجيب لها الجميع ، أنه مسرح حر تبرز فيه الكفاءات والطاقات . . . فهذا يسهم بالاجابة على الامور الدينية والفقهية ، وآخر يعرف الكثير

عن الامراض والاعشاب الطبية، وذلك الرجل أدرى من غيره بالسلاح أنواعه وطرق استخدامه، وذاك يعرف جيداً طرق (الجزيرة) و(الحويجة) ومنازل القبائل وأصولهم وعلاقاتهم، وهنا الظريف الذي بغيابه يخلو المجلس من أي بهجة، كما أن هذه المجالس كانت تلعب دوراً كبيراً في كثير من المنازعات التي تحدث في المدينة والريف فتعالجها قبل أن تتطور نحو الأسوأ. ومن بين أشهر الدواوين في تلك الفترة سواء التي لازالت متوارثة من قبل الابناء والاحفاد كمضيف بيت النقيب وبيت كميت وبيت محمد المهيدي مثلاً أو التي توقفت أو التي لازالت تستقبل الناس وتقدم القهوة هي التي تعود للرجال المدرجة اسماءهم أدناه:

١ - الحاج عبدالكميت وولده محمد سعيد وولده عبدالرزاق
٢ - آل النقيب وحفيدهم علي
٣ - محمد المهيدي وولده شاكر وأخوه يونس
٤ - محمد الهزاع العمر
٥ - زيدان مخلف الخشمان وولده احمد
٦- علي الحاج حسن وولداه ابراهيم وعبد العزيز
٧ - الحاج محمد وأبن أخيه ماهر
٨ - محمد عرب وولده جاسم
٩ - هيلان الفندي وولده جاسم
١٠ - مولود مخلص
١١ - الحاج محمود الأمين
١٢ - الحاج يوسف الجعفري
١٣ - الحاج حسن الأحمد
١٤ - أسعد الحاج دلي
١٥ - جاسم العبطة
١٦ - جاسم الحمادي الخضير
١٧ - كامل عبدالباقي وأخوه محمد صالح
١٨ - الحاج خليل الحاج رحيم الشقاق

١٩ ـ داود السليمان

٢٠ ـ نوفان العسكر

٢١ ـ آل مقيم

٢٢ ـ توفيق العبد الغفور وابنه سعيد

٢٣ ـ الحاج ابراهيم العلي الرحيم وولده جابر

٢٤ ـ محمود الثويني

٢٥ ـ الحاج أحمد وولده الحاج شريف

٢٦ ـ السيد حسني الألوسي

٢٧ ـ صالح الحّمد

٢٨ ـ ملا مصطفى العزاوي

٢٩ ـ زكري البكر

كما توجد في كل من العوجة والبيجي والمحزم دواوين أو مضايف خاصة بها وهم :

في العوجة :

١ ـ أحمد الخطاب العمر

٢ ـ محمود الخطاب العمر

٣ ـ ندا الحسين

٤ ـ رشيد النجم

٥ ـ أحمد ومحمود الهزاع

٦ ـ رشيد المحمد

في بيجي :

١ ـ حامد ومحمود الحسون

٢ ـ حسو الحميد

٣ ـ حاچم المجيد وولده بهاء

٤ ـ حسن الاسعد وأحمد الاسعد

٥ ـ محمود العمر الخميس

في المحزم : الحاج أحمد وأولاده

في الشرقاط :

١ ـ الحاج عز الدين

٢ ـ الحاج كريم القدوري

٣ ـ سبهان الخلف

٤ ـ ذنون الحاج أحمد

٥ ـ حميدي النجم

٦ ـ حسن يوسف العركوب

وتوجد في تكريت أيضاً خانات كبيرة لاستقبال المسافرين الغرباء مع دوابهم وأثقالهم، توفر لهم المنام والطعام ليوم أو أكثر ليستريحوا قليلاً قبل أن يستأنفوا السفر والترحال من جديد، كانت هذه الخانات تقدم خدماتها مقابل أجر يتفق عليه أو كما يقال الآن تسعيرة محدد له .

ومن بين الخانات التي كانت موجودة في ذلك الوقت والتي انقرضت الآن :

١ ـ خان السيد، ويقع وسط المدينة

٢ ـ خان الباشا، ويقع جنوب غربي المدينة

٣ ـ خان بيت مظلوم، ويقع في جنوب شرقي المدينة

٤ ـ خان الحاج عباس، ويقع وسط المدينة

٥ ـ خان عبد الحمزة، ويقع وسط المدينة

الجانب التعليمي والثقافي للمدينة

لقد مر المجتمع التكريتي بفترات مختلفة ومتعددة المستوى من الناحيتين التعليمية والثقافية، شأنه في ذلك شأن المدن العراقية الاخرى، فمن مرحلة الكتاتيب الى المرحلة الابتدائية فالمتسوطة فالاعدادية ثم الجامعة، استهكلت فترة زمنية زادت على الخمسين سنة، أما مرحلة الكتاتيب فقد أقتصرت على تعليم الخط العربي وقراءة وتحفيظ القرآن الكريم، وبطريقة هجائية غريبة (تركية) نذكر منها كلمتين فقط على سبيل المثال لا الحصر وهما: الحمد لله.

فاذا أراد الطالب منهم أن يحفظ كلمة (الحمدُ) فعليه أن يردد الكلمات التالية نصاً:

(أليف لم زبر أل، حيمم ز برحم الحم دلبشدو (الحمدُ)). أما كلمة لله فيقول:

(لم لمزلل لم لف لا لله هي زر هي (لله).

ومن أشهر الملالي في المدينة وعلى التعاقب:

١ ـ ملا داود ـ وكان فقيها وعالماً كبيراً

٢ ـ ملا ياسين ـ وكان هو الآخر فقيها وعالماً

٣ ـ ملا خضر ـ رجل دين

٤ ـ ملا خلف ـ رجل دين

٥ ـ ملا مهدي السلوم ـ رجل دين

ومن المليات لتعليم البنات:

١ ـ ملية فريجة

٢ ـ ملية فاطمة

٣ ـ ملية صالحة

وكان الذي يتخطى مرحلة حفظ القرآن (يختمه) يطاف به في طرقات المحلة والمدينة بموكب جميل وطريف ترافقه التكبيرات والآيات القرآينة والادعية حتى يصل البيت فيتناول الجميع طعام الغداء أو العشاء الذي أعده اهله لهذا الغرض أو

يقيمـون مولـداً نبوياً تبريكاً بالمناسبة. ويطلق على المتخرج او المتخرجة بعد ذلك لقب ملا أو مليـة، يكتب الأيـات القـرآنيـة ويعقـد القـران ويشتـرك بالموالد النبوية ويؤتمن على الـودائـع، ويُقـريء الآخـرين ويحفظهم القـرآن، ويحضىٰ بوجـه عام بتقدير واحترام المجتمع كله.

في عام ١٩١٦ تأسست أول مدرسـة ابتـدائيـة ضمت عشـرين طالباً اشرفت على تأسيسهـا وأدارتهـا السلطـات العثمانية في المدينة ومن بين أبرز من دخلها في ذلـك الـوقت وممن لا يزال على قيد الحياة متعه الله بالصحة والعافية الاستاذ جمال الدين الآلوسي الفاضل وعبد الكريم الدبان.

وكان اسم هذه المدرسة (المدرسة الرشدية).

ومـع تتـابع الاعوام والاحداث، وانحسارظل العثمانيين ودخول الانكليز بدلاً عنهم وفي مطلع العشـرينـات ظل الخـذر يكتنف الأهالي في جدوىٰ أرسال أبنائهم الى المـدرسـة حتى بعـد أن استمـر تدفق أبنـائهم على المـدرسـة الـرشـديـة في العشـرينـات وذلـك لشكهم في أهميتهـا وغمـوض مستقبلها بالأضافة الى حاجتهم المـاسـة لأبنـائهم في المساعدة على توفير لقمة العيش. ولكن الأمور بدأت تتضح شيئاً فشيئـاً فأخـذ الاطفـال يتقـاطـرون على المـدرسة بالتتابع، وكانت في البداية مقصـورة على البنين فقـط، ومـع ازديـاد عدد المتخـرجين من الابتـدائيـة ازدادت الحـاجـة للمـدرسة المتوسطة فحصلت موافقة وزارة المعارف على تأسيس متوسطة التفيض الأهلية بعد أن تزايد عدد المتخرجين من المدارس الابتدائية عام ١٩٣٨، ومن كلمـة الأهليـة يتضـح أن مصـاريف المتـوسطـة كلها يدفعها الاهالي كتبرعات وأجور مقطوعة يدفعها طلابها وقدرها خمسة عشر ديناراً في السنة الواحدة. وأصبح الاستـاذ معـروف صعب من لبنـان أول مديـر لهـا ثم تعـاقب على أدارتهـا بعد ذلك المرحـوم حسن علي والاستـاذ الفـاضـل خيـرالله طلفـاح بعـد خروجه من السجن لاشتـراكـه في ثورة ١٩٤١ وخـلال تلك الفترة ازداد عدد المدارس الابتدائية للبنين والبنات في المدينة، وفي القصبات والقرى القريبة، فاصبح استيعاب هذه الأعداد المتـدفقـة امـراًفي غاية الصعوبة ومن هنا استأنف المرحوم مولود مخلص نشاطه مرة أخـرى لحمـل وزارة المعـارف على فتح أعدادية في تكريت وحصلت الموافقة عام

١٩٥٠ فكانت أول اعدادية بنيت بتبرع الاهالي الذين كانت فرحتهم بتأسيسها كبيرة جداً وعلى نطاق واسع لفتحها آفاقاً علمية رحبة، ثم أسهم الطلاب بدفع بعض المبالغ أو بالعمل اليدوي وكنت واحداً من الذين اشتركوا في بنائها لمدة شهر كامل من غير أجور، كما كنت من بين أول وجبة من الداخلين فيها في الصف الثالث.

وهكذا بدأت أولى الخطوات العلمية والعملية الواثقة والواعدة على طريق العلم والثقافة ليتدفق بعدها سيل المتخرجين المقتحمين بحماس لشتى الآفاق العلمية في القطر وفي الخارج وليحتلوا أرفع المراكز العلمية والسياسية والادارية في العراق الجديد.

لقد اتسمت تكريت وأهلها وكثير غيرها من القصبات والمدن الصغيرة المتناثرة على نهري دجلة والفرات، أتسمت بالأندفاع الشديد نحو العلم والمعرفة، متعطشين للجديد، سباقين لحفظه واستيعابه، ويعود هذا الى أرضيتهم البكر التي غذت فيهم الاعتماد على النفس والقدرة على تجاوز الصعوبات التي تشكل الدراسة نمطاً سهلاً بالنسبة لقدراتهم. كان معظمنا لا يقرأ كثيراً ومع ذلك كنا ننجح بتفوق، كان الواحد من الطلبة يشارك اهله في أعمالهم، ويأخذ فرصته في اللعب مع أصدقائه، وفي الأمسيات لا تتاح له غير فرصة حل الواجبات البيتية ولكنه كان يركز اهتمامه وتفكيره في قول المدرس وتوجيهاته، ليصبح هذا كفيلاً بترسخ المعلومات ولا يحتاج بعدها الا لمراجعة سريعة للحصول على النجاح. وبعد أن استقرت القناعات لدى الآباء والأبناء بأن دخول المدرسة وتحقيق النجاح هو المفتاح الحقيقي لدخول الحياة الجديدة المشرقة، راح الجميع يؤكد على الطالب بوجوب الالتزام بمؤشرات ترتقي الى مرتبة التقديس وهي طاعة المعلم واحترامه والمواضبة على الدروس بعد طاعة الله والوالدين، وألا حلت عليه غضبة الله والاب والمعلم. ويسرنا بهذه المناسبة أن نتحدث قليلاً عن علاقة الطالب بهذه الاطراف كلها.

كان المعلم في ذلك الوقت معلماً بحق... غزارة في موضوع المادة التدريسية، وحرصاً شديداً على ترسيخ المباديء والمثل العليا وخصوصاً اللغة العربية والشعر العربي المنتقى والتوجيهات علمية كانت أم تربوية، كان يضرب

الطـالب وبقسـوة أذا لـم تنفـع معـه التـوجيهات، وكان مدير المدرسة ووالد الطالب يتضامنان مع المعلم ويدعمان موقفه وقراره. كنا حينما نرى المعلم ونحن نلعب في الطرقات نهرب من أمامه ونختفي عن الانظار حتى يجتاز الطريق لأننا نهابه ونحترمه ولأننـا كنـا مقتنعين بأنـه يسعىٰ من اجـل مصلحتنـا ومستقبلنـا الـذي لا يتحقق بغير الخلق الكـريم والحـرص على استغـلال الـوقت للدراسـة. كانت هناك موازنة بين التـربيـة وبين التعليم فالطـالب المؤدب خير من الطالب المجتهد بغير أدب.. هذه المقارنة كانت مهمة جداً يحرص المعلم على اجتماعهما في الطالب.

كان فراش المدرسة هو الآخر يتحمل جزءاً غير يسير من المسؤولية التربوية، فبـالاضـافة الى كونه مسؤولاً عن نظافة المدرسة وما تحتويه، وعن أمانتها وحراستها من العبث فهـو كذلـك يرعىٰ الحـديقة الصغيرة ويعالج الجروح المختلفة وأهم من ذلك ينقل الصورة الحسنة أو السيئة للطالب الى والده أو ولي أمره متباهياً أو منزعجاً ليتولى الوالد بعدها مكافأة الحسن ومعاقبة المسيء.

من جهـة اخـرىٰ وفي ضوء كل ما تقـدم كان الطـالب المسكين ضحية مراقبة صارمـة من الأب والمعلم ورجـل الدين والجار، الكل يتابع تصرفاته وسلوكه مع أنه في ذلـك الـوقت ينقصـه الكثيـر.. كنقص الغـذاء والكسـاء والـدفاتر ورداءة طباعة الكتب والاقـلام والادوات الـريـاضيـة وبسـاطـة غرف الـدراسـة وتعـرضهـا للحـر والبـرد.. الـخ. كانت الـدفعات الاولى من المتخرجين معلمين أنتشروا ليس في تكـريت فحسب وأنمـا في كل أنحـاء القطـر شماله وجنوبه أهواره وجباله وكانوا خير نمـوذج للمـربي الفـاضـل أدبـاً وعلمـاً، متميـزين عن كل المعلمين الذين يعملون معهم، ويشـار اليهم بالبنـان ايضاً في رجولتهم وصلابة مواقفهم عند الملمات التي يتعـرضـون لهـا. سجلت سني الاربعينـات والخمسينات برزواً ملحوظاً في الحركة الفكـريـة في تكـريت فظهـر الاقبـال على مطالـعة الكتب الخارجية الادبية والدينية والسياسية وبنهم شديد فتعرفوا من خلالها على الثقافات الاخرى في الوطن العربي والعالم.

فظهـر من بين أبنـاء المـدينـة العلمـاء الأفـاضـل مثـل الاستاذ جمال الدين الآلـوسي والاستـاذ خيـر الله طلفـاح والعالـم عبدالكريم الدبان والشعراء مثل صالح

عبدالقادر وعبدالكريم الآلوسي واسماعيل خضير والادباء مثل شعبان رجب وعبدالرزاق الكميت وصحفيين مثل الاستاذ شاكر علي والاستاذ سليم طه واطباء مثل الدكتور بهجت قدوري ومنير كامل ومحامون مثل جبر نجم وسامي كامل وكريم مخلف وغالب ابراهيم وشهد نادي الموظفين الذي كان يجمعنا نقاشات ادبية وفكرية ملحوظة وضم بين جوانحه مكتبة متواضعة دفعت اقيامها من جيوب المعلمين انفسهم.

لم يكن المجتمع التكريتي في يوم من الايام إلا جزءاً من المجتمع العراقي والامة العربية المجيدة، وكل ما مرت به الامة خلال مسيرتها التاريخية الطويلة نهوضاً وركوداً الا وكان للشعب العراقي أثره المميز في كلا الحالتين، ففي نهوضها كان له قصب السبق، وفي ركودها كان هو أول المتحملين لسلبياته وقسوة آثاره، ويعود هذا الى طبيعة أبنائه وطريقة تركيبهم الفكري والنفسي والتي جاءت حصيلة نضج متميز في عقولهم، وفهم مبكر لما يحيط بهم من أحداث وقدرة على استيعابها والتحكم بها باقتدار امثل، ومن هنا كان أي نصر يحرزه العراق ينعكس على الامة وأي انكسار يتبعه تراجع الأمة.

وتكريت ليست الا جزءاً من هذا الشعب العظيم، وحينما نستعرض المسيرة السياسية والفكرية لابناء المدينة نجد أنهم كانوا سباقين الى كل فعل مجيد فقد تصدوا لكل الغزاة، وتحدوا كل القوى الشريرة التي حاولت اقتحامهم وأذلالهم فكانوا رمزاً للكبرياء والعزة التي لا يملكون غيرها رصيداً وذكرى عطرة توارثتها أجيالهم المتعاقبة. وتشهد لهم بذلك قلعتهم المنيعة التي تكسرت على ذراها كل الموجات العاتية التي تحول ضجيجها الى صمت ضمه بئر التاريخ العميق بدءاً من سابور ذي الاكتاف[1] وانتهاءاً بالمحاولات الخبيثة من الاعداء للتعتيم على دورها التاريخي هذا ومحاولة أبعادها عن الأسهام المميز في نهضة العراق الحديث ومسيرته المتوثبة.

---

(١) أبن كثير ـ البداية والنهاية ـ مجلد٢

وتمشياً مع تسلسل الاحداث السياسية القديمة فأن دور الرجل التكريتي لايزال مؤثراً في احداث القرن العشرين، فقد كان ومايزال في مقدمة المدركين للاحداث السياسية والوطنية والقومية والمستجيب لنداء الوطن والعروبة والتحرر وضمته الكثير من التنظيمات السياسية منذ تأسيس الحكم الوطني في العراق عام ١٩٢١ وقبل هذا بكثير يوم أسهم المرحوم مولود مخلص بشكل فعال في حركة التحرر العربي في أعقاب ثورة ١٩١٦ وما بعدها، كماكان للحاج خيرالله طلفاح وهو الضابط الشاب دور مميز وفعال في ثورة ١٩٤١ حيث اعتقل وفصل بسببها.

ولقد تطوع الكثير من أبناء المدينة والقرىٰ القريبة ضمن الفيلق الذي تهيأ للاشتراك في المعركة بقيادة المرحوم مولود مخلص الذي تبادل البرقيات مع المرحوم رشيد عالي الكيلاني لبدء الحركة. كما أن الكثير من أبناء المدينة من القادرين على حمل السلاح كانوا قد حملوا معهم ما تيسر من السلاح وخرجوا الى مفارق الطرق الرئيسية ومحطة سكة الحديد لتفتيش أي سيارة او قاطرة تحمل معها ما يعزز قوة الانكليز او يعمل على أفشال الثورة. وأن لم تكن النتائج قد جاءت بالشكل الذي أصبح معروفاً لدى الجميع.

في الواقع كان لأحداث عام ١٩٤١ التي كانت شهاباً فضياً ساطعاً في سماء العراق الجديد الذي لم يلبث أن انطفأ، أثره الكبير في تداعي الافكار الوطنية والقومية للمجتمع التكريتي، فكان بمثابة خيوط جديدة من نور الحرية تسلل الى عقول المثقفين في تكريت مما حملهم على التوجه السياسي لتلمس التنظيمات والجمعيات السياسية التي انخرطوا بها لاحقاً. فاعتقل البعض وشرد وفصل البعض الآخر ولم تخل السجون والمعتقلات منهم حتىٰ تفجرت ثورة تموز ١٩٥٨. ولو لم أكن قد اتخذت من عام ١٩٥٨ حداً فاصلاً وختامياً لهذا الكتاب لتحدثت عن الكثير من الاحداث المثيرة التي لعب فيها الرجال المتوثبين من أبناء تكريت ادواراً تقررت على أيديهم الكثير من التوجهات السياسية أيا كان نوعها لهذا القطر العزيز وشعبه الكريم والامة العربية المجيدة.

أن ميلاد السيد الرئيس القائد صدام حسين «حفظه الله» لم يأتي من فراغ وأنما كان حصيلة ارضية أخلاقية تجذرت في تكريت وامتدت عروقها الى تاريخ

عراقنا العزيز وأمتنا العربية المجيدة التي غذته بمثلها العليا وبمبادئها التي باتت ظلالها الوارفة تعطي ثمارها الناضجة على يديه ، ومنحته قدرة فائقة على استيعاب الاحداث المستجدة وهضمها والتحكم في حركتها ليس على نطاق العراق وحده وأنما على نطاق الامة العربية والانسانية كلها أن قامة السيد الرئيس القائد التي باتت تطال كل الرؤوس في العالم كفيلة بأن تجعل العراق والأمة العربية وأبناء تكريت خاصة فخورين بهذا الابن البار والمناضل الصلب الذي تفرد في رؤياه للحياة وقوانينها المعاصرة ليسطع نجماً ثانياً في سماء تكريت بعد نجمها الاول البطل صلاح الدين الذي على يديه كانت بداية تحرير القدس الشريفة .

صحة اهالي تكريت وطبهم

كان العمـل العضلي الشـاق الذي يمارسه اغلب التكارتة في تلك الايام بين السير على القدمين والشد بالساعدين، الى اعتلاء جرف او مرتفع، الى حمل ثقيل على الكتف، مضـافـاً اليهـا الجـوع والعطش والحـر والبـرد، ومنـذ نعومة اظفارهم اكسبت اجسـامهم طاقـة ومنـاعـة لا تقـوى الامـراض البسيطـة على اختـراقهـا او تجـاوزهـا، لذلـك قلما كنا نسمع عن مريض لازم الفراش لمدة طويلة، واذا حصل ذلك تحدثت عنه المحلة كلها وربما المدينة، ويهرع الاصدقاء والجيران والاقرباء لزيارته للاستفسار والاطمئنان عليه.

الغـذاء طري وطـازج ومعظمـه خضـروات غيـر مطبـوخـة كالخيار والطماطة والبصـل والـرقي والبطيـخ، مع الـدبس والتمـر واللبن، ثم الجريش ومشتقاته، أما المطبـوخ من الخضـروات واللحـوم الحمـراء والبيضـاء فينـدر تنـاولها، ثم أن هذه المحـاصيـل لا تعـرف الكيميـاوي ولا المبيـدات واذا طبخت فعلى نار هادئـة فوق حطب جزل يتـولىٰ انضـاج الطعـام بهـدوء نسبي يضفي عليـه طعمـاً خاصاً ولذيذاً بالرغم من بساطته.

كان الواحد منهم لا يأكل ألا أذا جاع وأذا عمل عملاً شاقاً فأنه يأكل ضعف وجبتـه التقليـديـة، أن الطعـام الـذي كان يتناوله الفرد في تلك الايام يتناسب تماماً والجهد الذي يبذله ـ ومجمل القول كان العمل دواء للامراض كلها تقريباً.

أروي للقـاريء الكـريم هذه الحكـايـة التي رأيتهـا بنفسي: كانت دارنا تقع قريباً من المدرسة الابتدائية القديمة التي تشرف على فسحة من الارض المكشوفة، وكـانت تقف في هذه الفسحـة سيـارة كبيـرة (لـوري) يقـوم بتحميلها شابان نشطان معـروف فيهمـا القـوة والمثـابـرة في العمـل، ينقلان اليها اكياساً من الحنطة (ذات قلمين تزن الـواحـدة منهـا مائة كلغم) وكلما غادرت سيارة تتقدم غيرها، وبينما كانا منصرفين الى عملهما بهمة ملحوظة خرجت في الساعة الحادية عشرة صباحاً امرأة من بيت الجيران تحمل طبقاً مملوءاً بأرغفة من الخبز المعروف في تلك الأيام، كان حاراً متـورداً تفـوح منـه رائحتـه العطـرة، فمـاكـان من أحـدهما الا أن يمد ساعده

ليخطف الارغفة كلها ويعيد الطبق فارغاً لصاحبته مشفوعاً بابتسامة قصيرة، ابتسمت المرأة هي الاخرى وعادت لبيت جارتها من جديد لتعد وجبة اخرى، أما الشابان فلم تمض الا دقائق حتى غابت الارغفة في جوفيهما كما لو كانت قطع صغيرة من البسكت. وبعد ساعة، مرت المرأة مرة ثانية مع طبقها وخبزها فغابت ارغفتها كما غابت الوجبة الاولى الا جزءاً يسيراً منحوني اياه لشدة فضولي، ولم تذهب الى دارها الا في الوجبة الثالثة.



المنشل

هكذا كانوا يعملون وهكذا كانوا يأكلون .

ان الأمـراض التي تعيش بين ظهـرانينـا اليوم وتقعد الانسان عن الحركة لمدة يوم اويومين مثـل الـزكـام والانفلونـزا ، والظهر والمفاصل ، والحساسية وبعض الام المعـدة ، والضغـط والسكـر ، مثـل هذه الامراض لـم يكن لها وجود في ذلك الوقت فالحـركـة اليـومية كما قلنا والعمل المتواصل كفيل بتجاوزها . أن الامراض التي كنا نسمـع بهـا فرديـة وقليلةكمـرض السـل (التدرن الرئوي) وسببها العدوى من مصدر غريب أو نقص في الغـذاء وانعـدام اللقـاحـات المضـادة ، ومن الامراض الاخرى (الدمّل) الذي يتطور احياناً الى مرض (الأكلة) أومايعرف اليوم بالسرطان ، وكذلك مرض الحصبة والجدري .

لقد كان الحاج نصيف الجاسم (جد المؤلف لأمه) طبيب المدينة الوحيد في العقـدين الاول والثـاني من هذا القـرن ، كـان يشـارك الحـاكم الاداري او المحقق العـدلي للكشف على جثـة القتيل والوقوف على اسباب الوفاة ، وكان يعالج امراضاً عديدة من بينها ضغط الدم بالفصد من منطقة الرسغ فيدع الدم ينزف حتى يتغير لونه فيسـده (يكبسـه) بمسحـوق خاص بني اللون هومزيـج من جلد حيوان أو (معدته) ومواد اخرى فيتوقف حالاً . وكان يستخدم المشرط لفتح بعض الخطوط في الجبهة كنـوع آخـر من العـلاجـات (حجامة) . واذا تطلب الأمر معالجة امرأة كانوا يعقدون قرانه عليها ليحل له لمسها ومداواتها ثم يطلقها بعد الفراغ من علاجها . أما الكسـور وبعض الـرضـوض والمفـاصـل (الفصخ) فكان المجبرون المهرة هم الذين يتولون الكشف عنها وعلاجها بطرق فنية بالغة الدقة والاتقان ، ولايزال أبناؤهم الذين تلقوا هذه الخبرة من آبائهم وأجدادهم يقصدهم المصابون ويثقون بقدراتهم حتى اليوم .

في مطلع الثـلاثينـات بدأ الـوعي الصحي يتطـور شيئاً فشيئاً مع تطور الحياة وتقدمها ، ولكن مع بدايته اخذت العلاجات الطبية تدخل المجتمع التكريتي بحذر وخجـل شديـدين ، ذلـك لأن غالبية المجتمع لا تطمئن لهذا الغريب المتطفل طبياً كان أم دواءاً ، ولكن مع الممـارسـة وتلمس النتـائـج الحيـة التي تتـركها العلاجات الجـديـدة على المـريض وسـرعـة شفائه ، أخذ الناس يقبلون على مراجعة الطبيب وعلى المستـوصف الـذي يضمـه ويضم معـه مسـاعـده (المضمـد) ومسـاعـدتـه

(الماسيرة) وأخذوا يتعاطون الادوية واللقاحات من تنظيف الجرح وازالة الاجزاء المتفسخة منه وفتح الدمامل من دون (بنج) مخدر، ثم تعقيمه بمادة (التنتريوك) أو اليود وربطه بأحكام، كانت حبوب الـ (سكس ناين ثري 6.9.3) تأخذ طريقها الى أفواه المرضى بقبول حسن، وكذلك كانت حبوب (القنقينة) الصفراء للحمىٰ، وفوق هذا وذاك كان كل مريض يشكو من معدته يصاحبه تلقائياً (بطل) فارغ لملئه بدواء (ماهج) من الصيدلي يرشف منه كاساً أو(استكاناً) ولا يعثر عليه بعد ذلك.

لقد بقيت المرأة التكريتية تتجنب الذهاب الى الطبيب أو المستوصف الى مطلع الخمسينات حتى أثناء الولادة وتعسرها لاعتقادها الجازم بأن المرأة يجب أن لا تكشف عن أي جزء من جسمها لغير زوجها، ولقد دفعت البعض منهن حياتها ثمناً لذلك.

ارجو من القاريء العزيز أن يجدلي العذر حينما أنقله من الجد الى الهزل في وقت قد لا يكون فيه على استعداد لتقبل ذلك، وشفيعي في هذا هو أن اغلب القراء هم أما قريب أو صديق، كما ان الحياة هي الاخرى تستحق الوقوف قليلاً للاستراحة.

لقد كان احد التكارتة في تلك الايام يشكو ولمدة ثلاثة أيام متواصلة من مرض الملاريا (البردية) ولم تنفع معه كل الادوية والعلاجات البسيطة، كان يشكو باستمرار من البرد الذي يلف كيانه كله رغم الدثارات الثقيلة كالفروة وغيرها، وكان لديه أخ اكبر منه كان هو الآخر يتألم لمرض اخيه، فاقترح عليه عصر احد الايام أن يرافقه في نزهة قصيرة الى النهر وكان الفصل شتاءاً وفي أبرد جزء فيه وهي التي كانوا يسمونها (المربعانية) وعندما وصلا شاطيء النهر، سارا قليلاً فوق الجرف المحاذي والذي يعلو مترين عن سطح الماء، وبعد لحظات دفع الاخ الاكبر اخاه المريض بشكل مفاجيء فاسقطه في النهر وأخذ يتخبط وينادي باعلى صوته شاتماً أخاه ومتوعداً وطالباً منه أن ينقذه بصفته مريضاً، غير أن الأخ الاكبر اجابه وبحزم شديد: انقذ روحك! وعندما شعر هذا باليأس سبح نحو الجرف وتعلق به، وخرج الاثنان نحو البيت فلما وصلاها احس المريض بذهاب الحمى من جسمه الى غير رجعة.

علاجات ساذجة وعفوية كانوا يبتكرونها ويتداولونها مع تداول الأعوام وهي كثيرة ومتنوعة ولا يسعها هذا الكتاب. كانت هناك الكثير من العلاجات لامراض الروماتزم والاكزما والكبد والفم والمعدة ولألام الرأس وللدغة الحية وللجرب، لقلع السن مثلا يعقد طرف خيط قوي بالسن والطرف الثاني بابهام القدم، فيكوى القدم بسيكارة فيقلع السن وينتهي الامر.

كانت هذه العلاجات تعتمد في اغلبها على الخبرات القديمة والاعشاب والعملية منها كالنصب والكي المقرونة برؤيا العين واللمس وسماع أقوال المريض. ولمن يشكو ألما في الفقرات القطنية يذهب مع طلوع الشمس أو قبلها بقليل الى احدى قارئات القرآن المشهود لها بالتقوى فتعطيه قصبتين يمسكهما بيديه ويمدهما بشكل أفقي نهايتهما في خاصرتيه وتجلس هي خلفه تقرأ مرة أومرتين صورة الرحمن حتى يلتقي رأسا القصبتين ليعود معافى الى داره.

ومن أحس بألم في معدته فأنه يذهب الى نفس تلك المرأة لتقرأ له بعض الأيات والادعية على رمانة او قليلاً من (السماق) ليأكلها أو يشربها فيشفى بأذن الله.

السلطة الادارية للمدينة

منـذ فتحنـا أعيننـا في مطلع الثـلاثينات ونحن نسمع بأن تكريت ناحية تابعة لقضـاء سامـراء حتى أصبحت قضـاءاً مستقـلاً تابعـاً للواء بغـداد عام ١٩٥١ بجهد ومثابرة شخصية من المرحوم مولود مخلص، فخرج فتيان المدينة وأطفالها يهزجون في الشوارع والطرقات (تكريت صارت قضاء على عناد سامراء) وكأنهم تحرروا من قبضـة المستعمـرين، مع أن مجتمـع تكـريت والدور وسامراء تربطهما أواصر قرابة وصـداقـة وعمـل لا حدود لهـا ولا انفصـام، حتى أن الكثيـر من أبنائهم ولدوا وتربوا ودرسـوا بين ظهـرانينـا ولا يـزالون، لكنها العصبيات الفئوية التي لا تخلو منها مدينة ولا شعب من الشعوب، كانت ناحية تكريت تتبعها اداريا مدينة بيجي والدور وباقي القـرى القـريبـة، وكـان مدير النـاحيـة هو الرئيس الاداري للمدينة، اما الحاكم أو (القـاضي) فأنـه يأتي مرة في كل شهـر من سامـراء ليفض المنـازعـات والقضـايـا المطروحة والمتراكمة.

أن السلطة الحقيقية كانت بيد مأمور المركز الذي تتبعه وتنفذ أوامره مجموعة من الشـرطـة المحليـة، وكانت المدينة تهابه وتحترمه وتنفذ توجيهاته بشكل مطلق، وكـان مختـار المحلة هو الآخـر يقوم بدور الوسيط بين الاهالي وبين المركز للتنسيق والتوفيق، كان الشرطي اذا مر أمام المقهى وهو يختال ببزته المعروفة وسدسه المدلى بجـانبـه تشـرئب الاعنـاق نحـوه خشيـة ان يكون احدهم هو المقصود من وراء هذه الزيارة، مع أن الناس كانوا ملتزمين بمباديء الخلق الكريم والتصرف السليم الذي لا يغضب الله ولا النـاس. كان عدد افـراد الشـرطـة قليـلاً جداً ومـع ذلك يكفي أن يذهب فرد منهم (خيّـال) الى القـريـة مع بنـدقيته (الفنشة) لالقاء القبض على أحد أشـرس الفـلاحين فيأتي به مخفـوراً الى المـركز من دون مقاومة، وكان الشرطي هو الآخـر واحـداً من أبنـاء المـدينـة، حيـاتـه كحيـاتهم، يحتـرم الكبير ويعطف على الصغيـر، يؤاكلهم ويشـاربهم، وغـالبـاً ماكانت باحة مركز الشرطة مسرحاً للنقاشات الهـادئـة والصـاخبـة لفض المنـازعات المحلية وحلها سلميا وبمباركة مأمور المركز والشـرطي، فيحمـلان الاطـراف المتنـازعـة على الصلح والتسـويـة الرضائية تجنباً

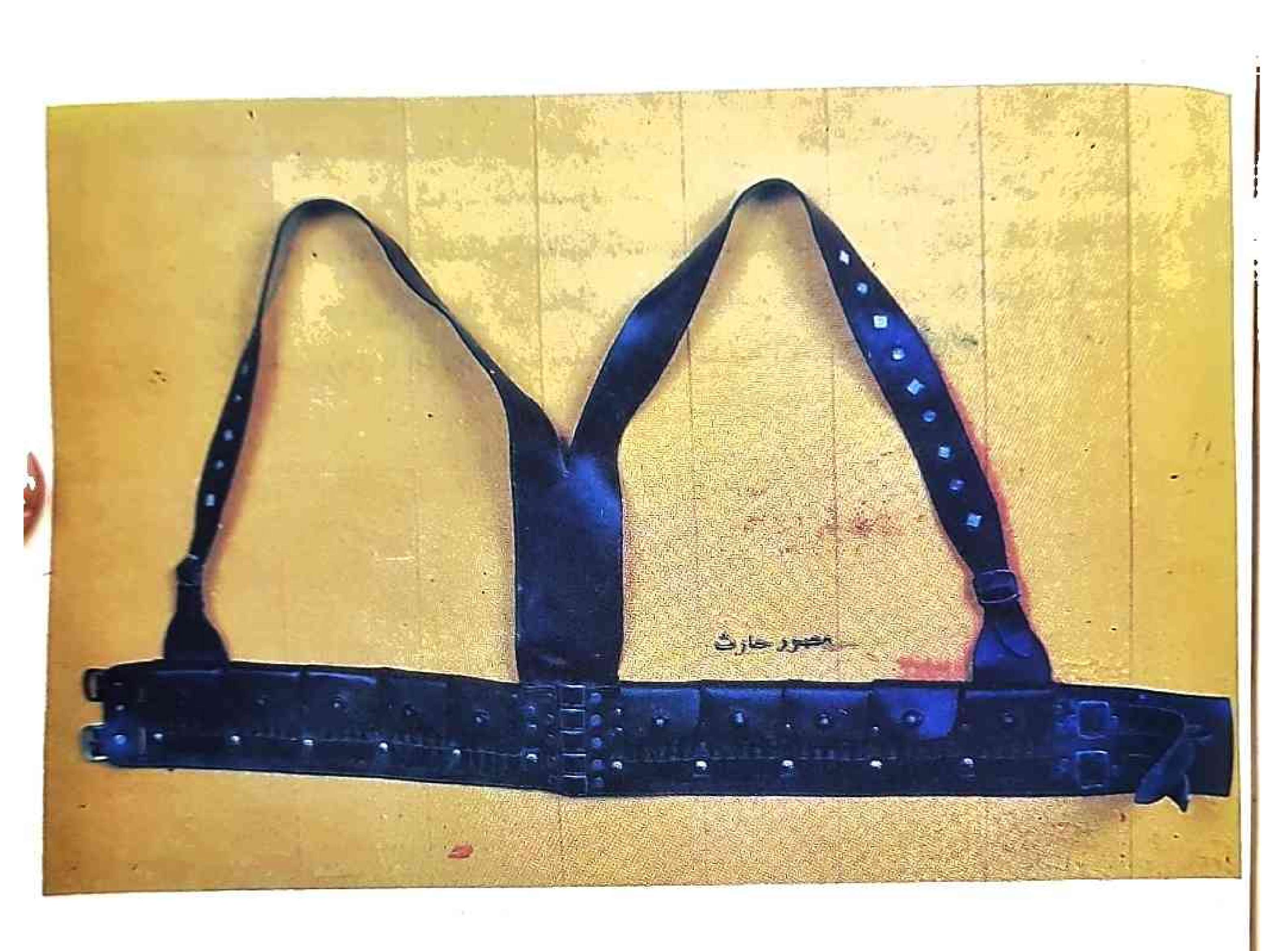
للمحاكم والاثار الاخرىٰ المترتبة على ذلك . لكن بعض مأموري المركز لم يكونوا يسلموا من تلقي الهبات والهدايا من هذا وذاك بعد الحادث وليس قبله . وحينما تعصف بالمدينة وفي سوقها على وجه الخصوص بعض الصراعات الطارئة والحادثة اثر مشادة بين أثنين وتتطور وتتسع ، أذا دخل بينهم رجل الشرطة فسرعان ما يضيع بينهم فتطير (سدارته أو جزء من بزته) ويصيبه ما يصيب المتخاصمين ، أما الشرطي العاقل الذكي والمقدر لحجم الامور فأنه يسرع لطلب النجدةمن مركز الشرطة أو يدعو بعض الوجهاء من رجال المدينة للاشتراك معه في فض النزاع . وحينما تحدث منازعات واسعة بين أبناء القرى وعشائرهم فأن مركز شرطة الناحية لا يقوىٰ على فض الاشتباك فيلجأ لطلب المساعدة من الدور وسامراء وبيجي وكركوك كما حدث مرة في أواسط الخمسينات بين البومحمد والجبور التي راح ضحيتها اكثر من عشرة قتلى ، كان دور الشرطي حتى مطلع الخمسينات مقصوراً على التبليغات وفض المنازعات ومطاردة الهاربين من الخدمة العسكرية ، فاضيفت له بعدها مهمة متابعة الشباب الوطني والقومي المعادي لنظام الحكم الملكي ، كان مدير الناحية يعيش عزلة شبه تامة عن أهالي المدينة بحيث لا يعرف معظمهم شكله طيلة الفترة التي يمارس عمله فيها ، فقط هناك مجموعة صغيرة لا تتعدى اصابع اليد الواحدة من الاهالي يمضون معه بعض الامسيات ، ويلتقي به ايضاً بين فترة واخرىٰ ملاك الاراضي الزراعية واصحاب المكائن لمعالجة بعض الامور المتعلقة بالعمل أو لتبادل الزيارات في بعض المناسبات الخاصة . كان الناس بسطاء ولذلك اصبحت الهيمنة عليهم أبسط ، كما أن الخدمات التعليمية والصحية ساذجة جداً مع غياب كل الخدمات الاخرىٰ ، وعندما دخلت اسالة الماء والكهرباء في أواسط الاربعينات ، كانت من الضعف بحيث اثارت استفزاز الأهالي لانها تنقطع باستمرار ، ومع ذلك فقد كانت شيئاً جديداً وجميلاً ، رافقتها فرص عمل لبعض الاهالي ولكنه لا يحقق الطموح الذي بات يدغدغ افكار المثقفين من الشباب ويدور على السنتهم أيذاناً بمولد فجر جديد .

التكريتي والسلاح

لقد عرف عن التكريتي في تلك الايام قلة الكلام وغزارة الفعل لهذا فهو يبعث على الثقة عند الاخرين القريبين منه والبعيدين وخاصة عند أهالي الموصل. قليل الغضب، صبور ولكنه أذا غضب عصف ودمّر.

كان ومنذ زمن بعيد لا يسير بغير سلاح رغم مظاهر الهدوء والوداعة التي يتحلى بها، لقد كان يقتني السلاح ويودعه البيت منذ الصغر بدءاً بالعصا وانتهاءاً بالرشاشة الحديثة مروراً بالمگوار والگرطة[1] والكلنك[2] والخنجر الدبان[3] ثم الورور والشيشخان[4] ثم السيوف العربية. ولم يكن الرشاش معروفاً في ذلك الوقت الا عند شرطة الكمارك حينما تصل سيارة البيكاب الخاصة وعلى سطح (قمارتها)[5] (الفيكرس)[6] ومعه الحزام الطويل العامر بالرصاص، هذا المنظر الذي كان يثير اعجاب وفضول الصغار والكبار.

لقد كان التكريتي يعرف كل انواع الاسلحة اشكالها وأفضلها، اجزاءها وأعطالها، فكانت (النهاية)[7] و(البرنو)[8] الطويلة والقصيرة (والكچك)[9] و(أم چعب)[10] و(المطبجة)[11] وقد لا يصدق البعض أن أهالي تكريت كانوا يعرفون صناعة البارود، لقد كانوا يقطفون بعض النباتات البرية الخاصة الموجودة في أرض (الجزيرة) وأهمها نبات (الجلّو) الذي يجمع وينظف ويجفف ويسحق وتضاف اليه بعض المواد الاخرى ليصبح باروداً جاهزاً للاستعمال مع بندقية (الشيشخان) وما يماثلها.


مصور حارث

لقد تخصص بعض الاشخاص في تكريت بالتعامل بالبندقية تصليحاً وتصنيعاً لبعض اجزائها الصغيرة ومن بينهم الحاج لطف الله رحمه الله الذي كان يسكن محلة القلعة ويهرع اليه كل من أصاب بندقيته عطل، لقد رأيته في مطلع الخمسينات طاعناً في السن مهيباً وقوراً طيباً، وكذلك محمود الهلال وعيدان العليج ومرعي الحبيشة ومحمد سمير، وبعد أنتهاء الحرب العالمية الاولى خلف الاتراك والانكليز وراءهم بعض قذائف المدفعية التي لم تنفجر في هذا الموضع أوذاك ليعثر عليها بعض رعاة الغنم أوغيرهم من المستطرقين فيعالجها بعض المختصين والمجربين بحذر شديد للحصول على البارود، ويعمد البعض الآخر الى التهور والطيش باستخدام وسائل بدائية لفتحها فنسمع بعد يوم أو يومين بأن اشلاءه قد تطايرت بفعل الانفجار الى مناطق متباعدة، ومع ذلك لم يمنع البعض من معاودة الكرة حتى زهد الناس بالبارود بعد شيوع البندقية الحديثة وانتشارها.

(١) الكَرطة والرحوية عبارة عن عصا بطول نصف متر في رأسها مثبت برغي حديد.

(٢) الكلنك عصا بطول نصف متر مثبت برأسها حديدة تشبه حديدة الجاكوج.

(٣) خنجر الدبان الة قاطعة اكبر من السكين معوجة النصل والنوع المسمى الدبان افضلها.

(٤) بندقية الشيشخان قديمة بأسطوانة طويلة تملأ بالبارود والحصى أو الرصاص بطيئة الرمي.

(٥) القمارة كلمة تعني مقدمة سيارة البيكاب.

(٦) الفيكرز نوع من أنواع المدفع الرشاش في ذلك الوقت.

(٧) النهاية بندقية چيكية معروفة ومفضلة عند الفلاحين حتى الآن لأنها تصيب الهدف البعيد.

(٨) البرنو نوع آخر من البنادق الچيكية التي كان يتغنى بها الفلاح سابقا، وهي على نوعين القصيرة منها والطويلة.

(٩) الكجك ومعناها بالتركية القصير. وهي نوع من البنادق المستعملة في ذلك الوقت.

(١٠) أم چعب نوع آخر من البنادق.

(١١) بندقية الصيد ذات الماسورتين.

منتدىٰ الطريق أو (دغبة الغجيل)[1]

من العادات المتبعة في المدينة في تلك الأيام لقاءات دورية يومية لرجال المحلة الواحدة من غير موعد سابق ولا هدف محدد، يجلسون فيه على قارعة الطريق في موضع تلتقي فيه ثلاثة طرق أو أزقة وفيه فسحة مناسبة ونظيفة، ينعقد فيها المجلس صباحاً قبل طلوع الشمس وبعد أداء صلاة الصبح، وهي جلسة سريعة لا تلبث أن ينفرط عقدها لينصرف كل الى عمله بعد تداول أحاديث قصيرة عن عمل اليوم والاستفسار عن الأحوال. أما التجمع الثاني فهو الذي ينعقد عصراً ويستمر حتى صلاة المغرب وربما يتواصل الى صلاة العشاء.

في المدينة ثلاثة مواقع لمثل هذه المنتديات.. واحد في القسم الجنوبي الشرقي للمدينة وتسمى (السگماني) ومعنىٰ هذه الكلمة الرجل الذي لا يخطيء الهدف عند الرمي، ويتجمع فيه البيجات أو أغلبهم. والثاني منتدىٰ (الحارة) ويقع جنوب غرب المدينة وهو ملتقىٰ الحديثين أو أغلبهم. والمنتدىٰ الثالث وموقعه (القلعة) ويحضره أغلب الخشمانيين.

هذه المنتديات أو (دغبات الغجيل) يلتقي فيها الرجال فقط، وفي الساعات التي يفرغون فيها من عملهم أو الذين غادروا المقهىٰ وفي طريقهم الى البيت أو الذي كان في طريقه الى المقهىٰ ووجد بعض الجالسين فانضم اليهم، يجلسون متجاورين ومتقابلين وظهورهم الى الحائط القريب، احدهم متربعاً والثاني مقرفصاً والآخر وضع العباءة تحت ذراعه كالوسادة، الحديث متجانس والقلوب تخفق بالحب والاحترام، يشتركون جميعاً بضحكة مجلجلة أذا صدر من أحدهم تعليق طريف، منتبهين الى الحديث الجاد، والحديث كله لا يخرج عن قصة ذات مغزىٰ أو تجربة عمل معين او فكرة لمشروع أو استعراض حياة أحدىٰ القبائل القريبة.. الخ بين أيديهم أكياس التبغ والورق اللف المسمىٰ (الرشيد) أو علبة صغيرة مع زنادها البسيط و(القاو)[2] الذي لا يلتهب الا بعد عناء شديد وقدح كثير.

لكل منتدىٰ حديث مرتبط بعمل الرجال أو أعمارهم ووعيهم. كان مرور المرأة احتراماً لهذا المنتدى محرم، ليس بقرار صادر منهم وأنما الهيبة والوقار الذي

يتسم به مجلسهم بحيث أن الفتى الـذي يجـازف بالمرور من بين ايديهم والنظرات المشدودة اليه من طرفي المجلس كانت كافية لزعزعة أوصاله فيمر مسرعاً كأنه سارق يتسلل في الظـلام . ومن طريف ما يذكـر بهـذه المنـاسبـة أن بعض الـرجـال حينما يهمــون بالانصراف الى دورهم يطلبـون من البـاقين مرافقتهم لتنـاول العشـاء ، والبعض من الجالسين حينما يشاهد أحد ابنائه يسأله وبصوت مسموع : ماذا لديكم للعشـاء غيـر حافل بالنتائج المحرجة فالكل يشترك بهذا الواقع البسيط . لقد انتهت هذه المجالس في مطلع الخمسينات لانتشار المقاهي وتبدل الرجال والظروف .

ظرفـاء المدينـة

لا تخلو مدينـة من المـدن العـراقيـة من ظرفـائها الذين يدخلون السرور الى النفـوس المتعبـة ، وهي موهبة يتمتع بها بعض الافراد دون غيرهم لأنها صفة لصيقة بالشخص نفسـه الـذي يشيـع في أي مجلس يرتاده البهجة والسرور، ولقد شهدت تكريت في تلك الايام نماذج من هؤلاء الظرفاء تعاقبوا فيها جيلاً بعد جيل فمنهم : فريد النقيب وهزيـم السلوم ودانوگ وبتور وناجي الحميد وسلمان الداود ومنهم السيد مهـدي ، وچـوبـان وحمـزة الحاج عثمان وأبو القاسم والكل توفاهم الله ، لقد أدخلوا السـرور الى نفـوسنـا ونفـوس من سبقـونـا ، وكانت نكاتهم وتعليقاتهم نوافذ مشرعة لدخول النسيمات العذبة الى نفوس سادها الجد الى أبعد الحدود، ويعتبر الضحك بصوت عال وحده يقلل من هيبة الرجل ووقاره فكيف بصانع النكتة أو محدثها!

لم يكن هؤلاء الـرجـال مرحين وظرفاء فقط وأنما فلاسفة أيضاً وأخص بالذكر منهم فريد النقيب ، ناجي الحميد وسلمان الداود اللذان كانا صديقين لبعضهما من ناحية ولمعظم أبناء تكريت من ناحية أخرى ، كان لكل واحد منهم رأيه المتميز في الحيـاة البشـريـة والكـون ، كما أنهم سابقين لجيلهم بسبب ما تستنتجه عقولهم من أفكار وتصورات وكانوا أقرب الى عقلية فولتير الساخرة ، ولو تطرقنا الى بعض آرائهم في ذلك الوقت لتجاوزنا الحصة المقررة لهم في هذا الكتاب ، أما حمزة وابو القاسم

وجـوبـان فانهم كانوا في الخمسينات يوزعون المُلح والطرف على الناس كما توزع الحلوىٰ أو يرش ماء الورد على الوجوه.

ولـولا أن لكـل ظرف طرفتـه الخـاصـة لروينـا بعض تلك الطـرف الجميلة والتعليقـات الـرشيقـة كان هؤلاء الـرجـال لا ينقلون النكتـة وأنمـا يصنعـونهـا ويستخلصـونهـا من الظـرف الآني الخاص وكأنها قطر ندىٰ تسقط من نبتة صبير في صحراء مجتمع جاد يلفه التعب من كل جانب.

لقـد شهـدنا في مطلع الخمسينات مسرحاً بريئاً لاقتناص سويعات سرور في أحدى مقاهي السوق القديم (مقهى حسن الفرحان رحمه الله) كان رجلاً طيباً يعمد بعض الشبـاب الى اثـارتـه باعتبـاره من أبنـاء الجيل القديم الذين يجهلون مايدركه الشبـاب ومـا ينتظـرهم من مستقبـل مثيـر وعظيم، فكـان مثل هذا الصراع الكلامي الطـريف والمتـواتـر الـذي لا يخضـع لزمان أو موضوع محدد يشيع حماساً وضحكاً يتحـدث عنـه الكثير من أبناء المدينة ويبقىٰ يدور على السنتهم زمناً طويلاً، وماهذه الوقفة القصيرة للحديث عنهم الا جزءاً يسيراً مما نكنه لهم يرحمهم الله من حب وتقدير.

ملايات الماء في تكريت

كان نهـر دجلة هو المصـدر الـرئيسي والمباشر لتزويد المدينة التي تغفو على كتفـه الأيمن بالمـاء يوم لم تكن هنـاك أسـالـة ماء، وكـانت مسألة وجوده وتوفيره في البيت من أهم المسـائـل التي تشغل بال العائلة، وترتبط ارتباطا مباشراً بالام وبناتها باعتبارهن مسؤولات عن هذا الواجب. ولقد كانت الاداة الرئيسية لنقل الماء هي (الصفرية)[٣] والكلمة كما ترون مأخوذة من كلمة (صفر أي النحاس) المصنوعة منه وتتسع لما يقرب من العشر كيلوغرامات من الماء (انظر الشكل -)



الصفرية الصفغية

كان لموعد جلب الماء من النهر وقتاً يومياً خاصاً وهو بالتحديد صباحاً مع بزوغ الشمس ومساءاً مع غروبها عند انصراف الناس الى بيوتهم لتناول العشاء، ذلك لأن أهالي المدينة كانوا يتناولون طعام العشاء بعد صلاة المغرب تماماً، لهذا كنا ونحن صغار نقطع الازقة والطرقات ذهاباً وإياباً قفزاً للوصول الى دورنا للاشتراك في تناولها والا تعرضنا لعقابين، الاول قسوة الأب والأم في التقريع والثاني فوات حصتنا من الطعام الذي لن يتكرر تقديمه بعد فوات الفرصة.

الشباب والشابات في تكريت يعتبرون فسحة جلب الماء فرصة للحب بعد فرص العيدين والمناسبات الاخرى التي تحدث في فجوات زمنية متباعدة. فالتردد بين البيت والنهر أربع مرات في اليوم يعتبر أشبه بطيران العصفور الدوري في ساعات استيقاضه ونومه، انها لحظات حافلة بكل عناصر الوجد والسعادة، تبنى من خلالها الكثير من القناعات التي تخفق في يوم وتتجدد في يوم آخر، وتتبدل الرؤيا والتحليل، فهي اذاً مجال رحب لدراسة كل طرف للطرف الآخر، وتتبدل الرؤيا النظرات مشفوعة بكل الحب وأيماءات رشيقة وبعيدة المغزى يشير فيها أحد الاطراف انه موجود في ساحة الوجد ويصبو الى استكمال نصف دينه، وهكذا نجد بدايات مشروعة لعلاقة واعدة خصبة هي الاخرى اكثر مشروعية.



جرة وحياء

لقـد كانت الفتـاة تخطـر بكامل ثيابها المحتشمة التي لا يظهر من خلالها غير الوجه الصبوح تزينه (الخزامة)[٤] في الانف، و(المعاضد)[٥] في المعصمين و(الخلخـال)[٦] في الـرسغين وهـو يدش بانفعـال وحيـويـة أثر كل خطوة وعثرة، مع التفاتة رشيقة وانعطافة متعمدة، وفوق الكتف تنتصب الصفرية تمسك بها يد واحدة مادامت فارغـة والأثنتـان أذا امتلأت بالمـاء بعـد عودتهـا. ولقد اعتادت الفتيات أن ينزلن الى الماء زرافات ووحدانا فيمضين يقطعن الطرقات مسرعات الخطو خفرات يتسـامـرن ويتضاحكن وعندما يلتقين رجلاً في طريقهن يتوقفن عن الحديث ويكسو الجـد والحـزم محيـاهن بشكـل مفـاجيء وكأنهن مررن تحت سيف الجـلاد خفـراً واحتـرامـاً، وحـالمـا ينصـرف هذا (الفضـولي) يعدن الى مرحن السابق، ويختلف بطبيعـة الحـال تصـرفهن حينما يكون المار بهن شاب! فلهذا فرصة التعرف عليهن بالشكـل الـذي يجذب عينه وقلبه ولا يسمح بالمزيد، لأن التميع والرعونة عند الفتاة تبعـده ولا تقـربـه وهـو أمـر في غاية الاهمية لمستقبل حياتهن، وبعد وصولهن النهر يخضن فيـه حتى الـركبـة يفتشن عن الصـافي من المـاء، تختلط خلالها تعليقاتهن وقرقراتهن مع قرقرات الماء وهو ينزلق في الصفرية.

وفي شريعـة المـاء أو قريبـاً منهـا، وفي منـاطق غير محددة من الطرقات كان الشبـان يقفـون بدشـاديشهم وغتـرهـم وعگلهم يرسلون نظـراتهم التي تحمل الكثير الكثيـر ولا شيء غيـر ذلـك، فالكلمـة ممنـوعة واللمسة محرمة في عرف تلك الايام وقـوانينهـا القـاسيـة، تعـود الفتـاة مرتين أو ثلاثاً حتى يكتفي البيت من حاجته للماء وينتهي معها هذا الطيف السريع اللذيذ. ولا ننسى أيضاً أن الفتيات الصغيرات كن يحملن مع الشـابـات قللاً من الفخـار أو الجرار الصغيرة لانهن لا يقوين على حمل الصفرية. وسواء كانت صفرية أم جرة صغيرة فأن الماء كله يستقر في زير (حب)[٧] كبير أو برميل نظيف. تلقى فيه (طاسة)[٨] لشرب الماء أو (منشل)[٩] وهو الأخر وعاء من عيـدان الحنطـة محـاك بشكـل فني ومطلي بالقار من جميع جوانبه ومن داخله، والماء بلا تصفيـة ولا تعقيم ولـولا المنـاعـة التي اكتسبها الناس لسقط الكثير منهم ضحايا الامراض والاوبئة الفتاكة. لقد كان لحب الماء موضع يستقر عليه ويحفظه من السقـوط يسمى (المحمـل)[١٠] وكـان مزخـرفاً بشكل فني ومصنوع من الخشب

الـرقيق، يستقـر تحتـه وعـاء صغيـر نظيف يسمى (النقيط)[11] تتجمع فيه القطرات المتسـاقطـة والمـرشحـة من الحب وتكـون اكثـر برودة ونقاءا، وتستخدم في العادة للشرب المباشر أو لصنع الشاي.

(١) دغبة أو الدغبة تعني بالتكريتي موضع من الطريق، محرفة عن درب ومؤنثها دربة فتحولت الى دغبة. وهو الموضع الذي يختاره الرجال للجلوس صباحاً او عصراً لتمضية بعض الوقت.

(٢) الغجيل محورة عن رجل. . ورجال فقلب الراء الى غين فصار غجال وجمعها غجيل.

(٣) القاو خرقة بالية من القماش الرقيق توضع فوق حصاة صغير من الصوان وتضرب بقوة بحديدة صغيرة تخلف قدحة صغيرة وناراً في هذا القاو فيشتعل ومنه يشعل الرجل سيجارته أو غليونه.

(٤) الصفـريـة انـاء لنقـل المـاء من النهر الى البيت مصنوع من (الصفر) أو النحاس يتسع لعشرة كيلوغرامات من الماء تقريباً، تحمله الفتاة على كتفها.

(٤) الخزامة ملية ذهبية صغيرة تضعها المرأة على أرنبة أنفها.

(٥) المعاضد حلي زجاجية تضعها الفتاة في المعصمين للزينة.

(٦) الخلخـال طوق من الفضـة ترتـديـه الصبية والشابة في رسغيها وتضع داخله بعض الحصيات الصغيرة ليحدث صوتاً رقيقاً (يدش) عند سيرها.

(٧) الحب أو الزير وعاء كبير نسبياً من الفخار لازال بعض الفلاحين يستخدمونه لملئه بماء الشرب قبل ان تدخل الثلاجة الى البيوت.

(٨) الذاسة اناء صغير من (الفافون) أو (النحاس) تلقى في ماء الحب لشرب الماء.

(٩) المنشل اناء صغير آخر لشرب الماء أسود اللون لأنه مطلي بالقار من كل وجوهه.

(١٠) المحمل هيكل خشبي ومخرم يوضع فوقه وداخله حب الماء ليستقر عليه ويمنعه من السقوط.

(١١) النقيـط أنـاء صغيـر جداً من الفخـار أو أي معـدن آخـر يجمـع قطرات الماء المتساقطة من الحب، ويكون عادة نقياً وبارداً يستخدم للشرب أو لصنع الشاي.

العمل الشعبي أو الفزعات

تمشياً مع الأحساس الأسري الواحد لأبناء مدينة تكريت وتعاونهم فيما بينهم على شؤون الحياة وقساوتها في تلك الأيام، فقد درجوا على الاشتراك في انجاز الكثير من الأعمال المهمة في حياتهم تلك التي لا غنىً لأحدهم عنها والتي تحتاج الى اختزال في الوقت والجهد والمال، فيعمدون الى طريقة العمل الشعبي أوما تسمىٰ بالفزعات، وهي على نوعين، منها ما يشترك بأنجازها الجميع رجالاً ونساءاً صغاراً وكباراً، ومنها ما يقتصر على النساء والصبيات فقط.

فزعات البناء

لما كان البيت وملحقاته ركناً اساسياً في حياة الانسان فأن اعمال البناء فيه تكتسب اهمية خاصة تتطلب الكثير من الجهد والوقت والنفقات، ولهذا نجد من يعمد الى بناء جديد يهيء نفسه وفي وقت مبكر لأعداد مستلزمات البناء كالماء الوفير في براميل كبيرة، واللِبن[1] والحصىٰ والجص والبواري والخشب والتراب والطابوق، ويتفق مع أحد البنائين المتخصصين والمساعدين له من المحترفين، وقبل اليوم المحدد يعلن للأقرباء والجيران والأصدقاء بأنه سيباشر عملية البناء في اليوم الفلاني، وقبل شروق الشمس يبدأ تقاطر الصغار والكبار الى البيت ويبدأ معه توزعهم على العمل، هذا يقف بـ (الجبلة)[2] وآخر لحمل الطين وذاك للحصى وآخر للجص... الخ ترافقهم هوسة (مِن جيناك ينزاح الهَم) مصحوبة بهلاهل النسوة اللواتي انصرفن لأعداد الطعام المناسب لفترتي الفطور والغداء. ومع ارتفاع الشمس ضحىٰ يكون البناء قد ارتفع قليلاً وتحددت معالمه الرئيسية، عندئذ يتوقف العمل نهائياً ليتناول الجميع طعام الفطور الذي ينحصر بـ (البرغل)[3] و(النعامة)[4] معززاً بصحنين أو اكثر من الدبس المحلي وأقراص الخبز التقليدي الخارج لتوه من التنور، وفي الخمسينات اخذ الشاي يختم مثل هذه الوجبات من الطعام.

وبعـد استـراحـة لا تزيـد على الساعة يستأنف الجميع العمل، فيرتفع البناء شيئـاً فشيئـاً، وفي كثيـر من الأحيان يمر بالعاملين رجل أو شاب (مستطرق)[٥] فيبادر فوراً الى القـاء عبـاءتـه اوما يحمله، ويستبـدل دشـداشتـه باخـرى قديمة عند أهل الـدار، فيشمـر عن ساعديه وينضم الى العاملين فيثير فيهم الحماس والمثابرة حتى يعلن مؤذن أقـرب جامـع الله اكبـر ليتوقف العمل كله وينصرف المصلون الى غسل أيـديهم وأكمـال الـوضـوء تمهيـداً لأداء صلاة الظهـر وبعـد أستـراحة قصيرة تندفع الجفنـات المليئة بثريد الباميا المكللة باللحم الضاني فيحلق كل أربعة رجال حول جفنـة ومـاهي الا لحظـات حتى تغيب آخر قطرة مرق في أجواف العاملين المتعبين بعـدهـا يميـل البعض منهم الى أخذ قسط من النوم ويأخذ البعض الآخر حصته في لفـافـات التبـغ، ويقوم صاحب الدار لتفقد شؤون البناء واضافة ما يجب أضافته من مواد البناء التي تبخر الكثير منها.

تستغرق فترة الظهيرة ساعتين تقريباً ينصرف خلالها بعض العاملين لمرض ألم بهم أو لأكمـــال بعض أعمـــالهم التي توقفت، ويبقىٰ أكثـريتهم يواصلون العمـل حتى مغيب الشمس، حيث يتـوقف العمـل نهـائيـاً ذلـك اليـوم، فيتناولون طعام العشاء وينصـرفـون مودعين من قبـل صاحب الـدار بالشكـر والتقـدير والتمنيات الطيبة لهم لمساعدتهم وشهامتهم. بعد هذه الحملة المركزة يكون القسم الأعظم من البناء قد انجز ولم يبق منه الا البسيط الذي يستطيع صاحب الدار والبناء والعمال التابعين له اكمـالـه في يوم أو يومين آخـرين، علمـاً بأن البناء والعمال المرافقين له هم وحدهم الذين يتقاضون اجوراً على عملهم هذا.

كان البنـاء في ذلـك الـوقت وقبـل أن يدخـل الطـابـوق والسمنت والحـديد والزجاج مقتصراً على الطين والجص (المصنوع محلياً ويسمى المحراق) والحصىٰ واللّبِن) والخشب والبـواري للسقف. كان البنـاء بسيطـاً كبسـاطـة أهلنـا متـواضعـاً كتـواضعهم. التـراب تحت أقـدامنـا والجص محلي والحصىٰ لا يعد ولا يحصىٰ، وكـانـوا يضعـون الحصىٰ الممزوج بالجص في أسس الدار مما يكسبه قوة استثنائية بحيث يبلىٰ الـدار ولا تبلىٰ الأسس، أمـا أعمدة الخشب فتجلب من الموصل على شكل (طوف) تفرش مع البواري بتنسيق خاص كسقف للغرف تعلوها كمية مناسبة

من الطين الممزوج بالتبن وينكس بشكل يتيح لمياه الامطار سرعة الجري وتصريفه عن طريق (المرزاب) الى حوش الدار.

حدثني أحد الشيوخ الذين توفاهم الله يرحمهم ويرحمنا جميعاً يوم كنت صبياً قال: سافرت يوماً يوم كنت شاباً واسعى في طلب الرزق من تكريت الى الموصل ثم الى زاخو، فمررت بقرية من قرى تلك المنطقة وحللتُ ضيفاً على أحدهم، وبعد تناول طعام العشاء تبادلت الحديث مع صاحب الدار وكان يشاركنا المجلس والده الطاعن في السن، فلما علموا انني من أهالي تكريت سألني الشيخ: هل لا تزال مدينتكم تبني بيوتها من الحصى والجص فعندما أجبته بالايجاب قال: أنها عامرة وستبقى عامرة ان شاء الله. وأضاف أنه غادرها يوم كان غلاماً صغيراً ولد هو واجداده فيها منذ زمن بعيد. أما اليوم فقد تهدمت المدينة القديمة كلها واصبحت قاعاً صفصفاً، ولهذا احتفظت بصورة حية لمخططها القديم فمن يدري ربما تدعو الحاجة لاعادة بنائها من جديد كجزء حيوي من ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا الذي نحرص عليه جميعاً باعتباره جزءاً من تاريخ شعبنا العظيم.

أننا نستميح القاريء الكريم العذر ونحن نتحدث عن موضوع العمل الشعبي والفزعة أن نخرج قليلاً الى وصفٍ سريع لحجم الدور السكنية وطريقة بنائها واقسامها في الغالب الاعم في ذلك الوقت.

لقد تحدثنا عن الازقة الضيقة والطرقات في الصفحات الماضية واقتراب الدور بعضها من البعض الآخر لاسباب اجتماعية معروفة تحسس الانسان بالأقتراب.

كانت مساحة الارض والبناء لا تتجاوز المائتي متر مربع الا بعض الدور الخاصة التي لا علاقة لها بغنى الفرد أو يساره، تتألف من صحنٍ (حوش) تطل عليه غرفتان أو أكثر كبيرتان يسمى الواحد منهما (المقطع)[٦] وهو غرفة عرضها أربعة الى خمسة أمتار بطول خمسة عشر متراً تقريباً وأرتفاع أربعة أمتار مقسم الى ثلاثة أجزاء يتصدره باب خشبي كبير بطول مترين تقريباً وبعرض متر ونصف يدلف منه الداخل الى الجزء الاول من هذا المقطع مترين × اربعة أمتار وهو المكان الذي تتركُ فيه الأحذية وبعض الحاجيات الاخرى غير المهمة، ثم تليها (الدكة)[٧] وهي مساحة

٤×٥ م٢ تقريباً ترتفع شبراً عن سطح الجزء الأول وهي المكان المخصص لجلوس العائلة والضيوف وهي ايضاً موضع للنوم، ويبنى على الجدارين رفان طويلان لحمل الاواني وتعليق الملابس. وفي صدر الدكة دكتان بحجم الوسائد مبنيتان باللبن والجص يتصدرهما ربُّ العائلة عادة مع وسائده الوثيرة وتبنى في الجدارين ايضاً وبشكل منسجم مع طبيعة البناء حفرتان أو اكثر (طاقة)[٨] لأستخدامها في أغراضٍ شتى. وفي نهاية هذه الدكة أو القسم الثاني من المقطع يواجهنا جدار من الفرش (المطارح)[٩] والمدات والوسائد المتعددة الاشكال والالوان مرصوفةً على بناء بعرض الغرفة عرضه متر وارتفاعه متر مغطى ببعض البسط الكبيرة وتختفي حلفها بعض الفجوات المستخدمة لأغراضٍ شتى ومن بينها الملابس، هذا الحاجز يفصل تماماً الدكة الوسطية عن الجزء الثالث الخلفي والاخير المتبقي من المقطع وندلف اليه من بوابة صغيرة مخترقين جدار الفرش التي أشرنا اليه قبل قليل لنصل الى مساحة ٣×٤ م٢ مظلمة تضم بين جوانحها (المونة) وكل المدخرات الاخرى. في المقطع عادة توجد ثلاث فتحات صغيرة الاولى في الجدار الامامي وفوق باب الدخول لدخول الهواء النقي من الخارج والثاني في الجدار النهائي لخروج الهواء الفاسد والثالثة في وسط وسقف المقطع وتسمى (السمّي)[١٠] وهذا الاسم مأخوذ من كلمة السماء لأن الواقف تحته مباشرة يرى السماء فوقه وتستعمل هذه الفتحة عادة لتسريب الدخان الكثيف في المقطع والمتجمع من دخان السكائر وموقد أو (كانون)[١١] الطبخ.

في بعض البيوت تبنى السراديب ومفردها (سرداب)[١٢] وتتبعها (البارگيلات)[١٣] المتصلة بالسقف. وهذه السراديب معروفة في كل أنحاء العراق تقريباً تستخدم للنوم فيها صيفاً.

بعد أن انتهينا من وصف الغرفة الرئيسية في الدار (المقطع) نعود الى وصف ما تبقى من الدار.

بعض البيوت تضم أكثر من غرفة لخدمات مختلفة واحدة للحطب وطبخ الطعام وأخرى زريبة للحيوانات الأليفة وموضع لحب الماء وصاحب المضيف يبني ديواناً كبيراً. ويمكننا أن نرى بوضوح ونحن في باحة الدار سلماً بسيطاً ترتقي درجاته

الى السطح الذي تستخدمه العائلة عادة للنوم عليه في كل صيف. أما التنور فلا يوجد بيت في تكريت يخلو منه.

جص المحراق[١٤]

ولما كان للجص اهمية بارزة ومؤثرة في عمل البناء فأن التكارتة كانوا قد أهتدوا ومنذ زمن بعيد الى طريقة بسيطة لصنع جص المحراق تتلخص في قيام من يرغب الحصول عليه بأختيار قطعة من أرض البرية في أطراف المدينة من النوع التي تزخر بالكلس فيختار مساحة لا تزيد على ٢٥ متر مربع وبعد أن يزيح عنها القشرة الفوقية بعمق شبرٍ تقريباً يملأها بالسماد الحيواني وكمية مناسبة من التبن ثم يغطيها بقشرة خفيفة من التراب الذي أزاحه قبل قليل ليمنع تحرك السماد والتبن عند هبوب الرياح، ثم يشعل الموضع من أكثر من مكان لتستعر دخاناً فقط فيتركها عائداً الى داره، ويظل يُراجعها مرةً في اليوم لأذكاء النار وتفقد شؤونها ولمدة خمسة أيام تقريباً حتى تحترق القطعة بكاملها ويطمئن الى نضوج الجص، فيكشف عنها بعد ذلك ويزيل القشرة الفوقية من التراب والتبن والسماد المتبقي ليحصل بعدها على قطعة بيضاء من الأرض المفخورة هي عبارة عن جص المحراق الذي نتحدثُ عنه جاهزاً للأستعمال وهذا النوع من الجص يمتاز بالقوة والبياض وسهولة الصنع مع رخص الثمن.

أن البناء في تكريت على نوعين الأعم منه هو التسقيف بالخشب والبواري والقليل منه بناء (العقادة)[١٥] أي بناء الأقواس من هذا الجدار الى الذي يقابله وكلمة العقادة مأخوذة من كلمة يعقد. وقبل أن تهدم أبنية تكريت القديمة كنا نشاهد في الخمسينات زقاقين أو ثلاثة معقودة عليها مثل هذه الأقواس أحدها في منطقة القلعة والآخر في منطقة الحارة.

(١) اللّبن أداة بناء رئيسية في ذلك الوقت وتقوم مقام الطابوق ولكنها اكبر منها بضعفين، مصنوعة من مادة الطين وأحياناً مع التبن.

(٢) الجبلة طين بكمية كبيرة يزود العاملين في البناء لوضعه تحت اللبنة وفوقها وهو يقوم مقام الجص والسمنت اليوم.

(٣) البرغل مادة غذائية لازالت معروفة ومستخدمة في الموصل خاصة وهي أحدى مشتقات الحنطة بعد سلقها وتجفيفها ثم (تهبيشها) وتنظيفها وغربلتها لتصبح جاهزة للطبخ بدلاً من الرز.

(٤) النعامة مادة غذائية من مشتقات الحنطة تتخلف بعد أخذ البرغل.

(٥) المستطرق الذي يسير في الطريق.

(٦) المقطع الغرفة الرئيسية في الدار.

(٧) الدكة الجزء الثاني والرئيسي من المقطع.

(٨) الطاقة الفتحة الصغيرة في الجدار.

(٩) المطرح أو الدوشك، هو قطعة الفراش الوثير المصنوع من القماش المحشو بالقطن او الصوف.

(١٠) السِمّي الفتحة الصغيرة في سقف المقطع لتسريب الهواء الفاسد.

(١١) الكانون أو الموقد هو المكان الذي يطبخ بواسطة الطعام ويسخن أي م‍ء ويتكون من ثلاث أحجار كبيرة يستقر فوقها القدر ويشعل تحته النار.

(١٢) السرداب بناء صغير اشبه بالغرفة تحت الارض أو تحت البناء القائم يستخدم للنوم فيه أيام الصيف لبرودته.

(١٣) البارگيل هو الفتحة التي تغذي السرداب بالهواء والمرتبطة بالسقف.

(١٤) جص المحراق جص خاص يصنع محلياً تحدثنا عنه بالتفصيل في نفس الموضع.

فزعة الشطاطي

لقد افردنا للشطاطي فصلاً مستقلاً يتناسب وجمالها وأهميتها في ذلك الوقت ولهـذا فأننـا سنقصـر الحـديث هنـا على الجـزء الذي تشترك فيه اكثر من يد وساعد وكتف موصولة بالقلب والعقل الجماعي .

كمـا هو الحـال في بنـاء الـدار هنـالك جزء في عمل الشطية يتسم بالصعوبة والارهاق اذا انفردت فيه العائلة وحدها وهما نقل السماد الى الشطية وأنجاز مرحلة (التقرير) وفي العميلتين يسرع الأقرباء والجيران والأصدقاء الى نجدة هذه العائلة أو تلك وبشكل دوري ومتتابع يوماً بعد يوم .

أمـا السمـاد ونقله فيقـوم صاحب الشطيـة وعـائلتـه قبـل يوم أويومين بتصفية السماد وتهيئته بحيث يصبح جاهزاً للنقل مع كل المستلزمات المطلوبة من مساحي و(كـركـات)[1] و(قـزمـات)[2] ودواب وزورق كبيـر (طـرادة) او صغيـر (بلم) وسيارة (لـوري) . الـخ وتبعـاً لمـوقع الشطية فاذا كان موقعها في الجانب الغربي فأنها لا تحتاج الى زوارق أما اذا كانت في الشاطي الشرقي فأنها لا تحتاج الى سيارة وقبل شروق الشمس يكـون الجميـع قد حضـروا موقـع السمـاد ووزعت عليهم الاعمال وبـاشـروا بنقله ذهـاباً وأياباً ترافقهم هوسات التشجيع والأشادة وترديد القول المأثور في تكـريت (أتعب والعب) وقبـل الغـروب أوبعده بقليل يكون السماد قد استقر في المكـان المخصص له في الشطيـة التي تنتظـر طعـامها هذا بفارغ الصبر بعد أنجاز عملية (التقرير) التي سنتناولها الآن .

عميلة (التقغيـغ) بالتكـريتي تعني حفـر وسـط (الجوبة) بين (الجنبين) وهي كلمات ومصطلحات تجدون تفسيراتها في الفصل الخاص بالشطية . وهذه الحفرة يجب أن لا تتـوقف حتى تظهـر الميـاه الجـوفية التي يختلف عمقها تبعاً لبعدها عن الشاطي وتبعاً لطبيعة الارض حصوية أم رملية . وفي كل الأحوال فأن عملية التقرير هذه وخـاصـة في الارض الحصـويـة متعبـة جداً ، رفسـاً بالمسحـاة الخاصة (ذات الـدوسـة) وزمـاً بالشفتين يصـاحبهـا ألم في الظهر والقدم والكفين ولمدة نهار كامل لمجمـوعـة من الـرجـال والشبـاب لينجزوا حفر ما يقرب من المائة جوبة بهذه القوة

والصلابة . تملأ هذه الحفر بعد ذلك بالسماد الحيواني . أن مثل هذه العملية لا يمكن أنجازها بعمل فردي أو على نطاق العائلة وحدها لأنها تستهلك وقتاً طويلاً وجهداً ومثابرة استثنائية ولكنها تختصر كثيراً في العمل الجماعي المشترك .

فزعات البنات

التهبيش [٣]

وتـركـز هذه الفـزعات عند النساء والفتيات على انجاز مشتقات الحنطة بدءاً بغسلها وتنظيفها وتهبيشها واستخراج برغلها ونعامتها وجريشها، وانتهاءاً بطحنها من قبل ربة البيت بواسطة الرحى القديمة التي تتألف من الحجر الخاص يعلو أحدهما الآخـر، يربـط بينهمـا نتـوء صغير من الحديد مثبت بالصحن الاسفل يعلوه القرص الثـاني الـذي يحتـوي على وتـد من الخشب تمسكـه المـرأة وتحركه بشكل دائري ومستمـر و(تلهـو)[٤] بين لحظة واخرى كمية صغيرة من (الحَب) من الفتحة الصغيرة المـوجـودة في القـرص الفـوقي حتى يكتمل (الهشل) وهو الكمية المخصصة لخبز الغد، وهكذا يومياً حتى دخلت ماكنة الطحين الى المدينة في مطلع الاربعينات.

تشتـرك الفتيـات عادة في عمليـات التهبيش التي تشكـل الركن الصعب في عمليـات التعـامـل مع حب الحنطة. والتهبيش في ذلك الوقت يحتاج الى (جاون) والى يدّهـا أمـا الجـاون فعبـارة عن قطعـة من الخشب القـوي بطـول شبرين تقريباً محفورة من وسطها والى منتصفها وتتسع لكيلوغرام من (الحَب) أما يدتها فهي عبارة عن عمود من الخشب القوي بطول متر مستقيم تعلوه عارضة صغيرة تمكن الفتاة من الامسـاك بهـا بسهولة. كنت أشاهد الفتاتين المتقابلتين ترفعان ذراعيهما عالياً باليد الخشبية وتنزلان بها في الجاون بشكل متناوب ومتجانس ومنضبط من غير أن يتعثرا أو يصطـدمـا مع بعضهمـا البعض وحبـات العرق تزين جبينهما كأنها اللؤلؤ المنثور فوق وجـوه صبـوحـة مخمليـة يزيـدهن الجهـد والحـزم حمرة وجمالاً، تعلو خلالها أنفسـاهمـا وتنخفض مع صعود ايديهن ونزولها ومع انفراد جدائلهن وانسيابها تخفق كأنهن اجنحـة (بـاشق)[٤] يجـري مسرعاً فوق تلال تكريت وجروفها يتبعه ظله على صفحة نهر دجلة الرقراق في عصر يوم جميل.

الكلچاي (الكليچة)

قبـل العيـد بيـوم أو يومين تهيء العـائلة كمية من الطحين الابيض الناعم مع كمية مناسبة من السكر والسمن (الحر) ونعني به السمن الحيواني ولب الجوز والتمر والسمسم لصنـع الكلجـاي المعـروف في قطـرنـا كله، وخـلال الايـام التي تسبق العيدين ينتظم عقد الفتيات كل يوم هن في بيت لاحد الجيران او الأقرباء يجتمعن ويتوزعن الاعمال، هذه لتقطيع العجين الى (كغس)[٥] قبل تشكيلها واخرى لمدها بـ (الشيبـك)[٦] لصنعهـا (مبسـوس)[٧] وتلك لكلجـاي التمر واخـرى لحشـوة الجوز. . . وبينما تكون الام قد (شجرت التنور)[٨] تكون أطباق الخوص والصواني قد امتلأت بالكلجاي من كل نوع، وماهي الا ساعتين حتى تجد بين يديك الاطباق نفسهـا قد امتلأت هذه المـرة بالكلجـاي المـورد الحـار وبين تعليقات الفتيات عن جودة هذا الكلجـاي مقـارنـة بغيـره، وعن مهارة هذه الفتاة أو تلك تكون الفتيات قد انصرفن مشيعات الى الباب بالشكر والحب والتقدير وجيوبهن لا تخلو من الكلجاي الجديد.

عمليات الغزل

كل الفـرش في تكـريت، الغطـاء منهـا والـدثـار والبسط تصنع في المدينة، فالصـوف متـوفـر وعمليـات الغـزل تقـوم بهـا النسـاء والحيـاكة يختص بها الحائك المحترف، والغزل وحده هو الذي تشترك به اكثر من امرأة كمساعدة دورية بينهن، وغـالبـاً ماكنت اشـاهدهن يتحدثن في صحن الدار عن كل شؤون الحياة من غير أن تتوقف أيـديهن وأصـابعهن عن الغـزل، والخيـط المـرتبـط بكرة بيضاء أو سوداء أو حمراء تدرج بين أقدامهن أو تداعبها قطة وعيونهن تراقب العملية كلها كما يتحدث سائق المركبة مع جاره غير غافل عن مراقبة الطريق، كن يعلقن على أنواع الصوف وأشكال الغزل والحياكة والصبغ والسعر وغيرها.



الدوك

والخلاصة فأن العمل الجماعي بين أهل المدينة كان قائماً ومستمراً وعلى النطاقين الضيق منها والواسع، فقد كان كل فرد فيهم جاهزاً للاستنفار لتقديم المساعدة في أي وقت في الافراح والاتراح وكلما دعت الحاجة لتقديمها، هذا بجهده العضلي وذاك بأداة من الادوات المنزلية أو الحرفية، وبالطعام والكساء والقلوب كلها عامرة بالحب والسعادة.

(١) الكَرَك أداة يدوية لا يزال أي عامل بناء يحملها معه وهي عبارة عن عامود مستقيم من الخشب بطول متر ونصف المتر ينتهي بقطعة مفلطحة من الحديد.

(٢) القزمة أو المعول، وهي الاخرى اداة خشبية مرتبطة بقطعة حديد ذات وجهين حادين تستعمل لحفر التربة.

(٣) التهبيش مرحلة من مراحل التعامل مع الحنطة لتصفيتها وتنظيفها واستخراج البرغل والنعلة والجريش منها.

(٤) الباشق طير من صنف الصقور صغير الحجم يعيش في تلال تكريت وجروفها يختار له أعشاشاً خاصة بعيدة عن متناول الانسان.

(٥) الكغسة هي القطعة المدورة من العجين قبل مدها وأكمال استدارتها.

(٦) الشِيبك قطعة خشبية بطول قدم اسطوانية الشكل ناعمة الملمس تستخدم لمد الكغسة أو قطعة العجين واكمال استدارتها.

(٧) المبسوس نوع من أنواع الكلجاي غير مشكل ولا محشو.

(٨) شجرت التنور أي أوقدته ليصبح جاهزاً لاستقبال المادة التي ستنجر كلجاياً كان أم خبزاً.

الحج فريضة

كان الحاج في تلك الايام من تاريخ تكريت يشار له بالبنان. . هذا أبن الحجي. . . وذلك بيت الحجي. . وفي المقهى أو الديوان مرحبا حجي. . ويعود السبب في هذا الاهتمام والتشخيص المميز هو أن الحاج من الناحية الاجتماعية كان يتمتع بمستوى رفيع من التقوى والصلاح أهله لتحقيق حلم عزيز طالما راود أذهان الجميع تقرباً لله وتحقيقاً للركن الرابع من أركان الاسلام الخمسة، وبهذا يكون الحجي أعلى مرتبة في نظر مجتمع المدينة الطيب القلب النقي السريرة.

كان الحج في ذلك الوقت يستغرق ستة اشهر تقريباً، وكان مقتصراً على الرجال فقط وذلك لصعوبة الطرق وندرة وسائط النقل والأخطار الامنية والمرضية التي ترافقها، فكان الواحد منهم يشد الرحال وكأنه يذهب في رحلة لا عودة منها، المدينة كلها تعرف من سيحج هذا العام، كان يودع الاهل والجيران والاصدقاء وشركاءه في العمل، ويوصي الام والكبير من أبنائه برعاية شؤون الاسرة، ثم يوصي بماله ومايملك امام احد رجال الدين في المدينة وكيفية توزيعها وانفاقها في حالة وفاته. وحين يتحدد موعد السفر يرتدي ملابس الحج المتميزة مكللة بالعقال (المگصب) الخاص الذي أما أن يكون قد أشتراه من قبل أو استعاره من صديق. وتخرج المدينة كلها تودعه بمفرده أو مع جماعته بالطبول والدفوف والاعلام الخضر الكبيرة والنشيد التقليدي:

(مرحبا بحجاج مكة مرحبا مرحبا بالزايرين المصطفى)

وبعد أن يستقل واسطة النقل التي تطورت مع تطور الايام يعود الاهل والاصدقاء الى بيوتهم وأعمالهم والدموع تملأ مآقيهم.

كان امام الحاج احد ثلاثة طرق ليسلكها: الاول: تكريت ـ بغداد ـ النجف ـ الصحراء ثم المدينة المنورة، وهو الطريق الصحراوي القديم الذي يكتنفه الخطر من كل جانب.

والثاني بغداد ـ الشام ـ المدينة المنورة.

والثالث بغداد ـ البصرة ـ ودورة في الخليج العربي والبحر العربي والبحر الاحمر

حتى جدة . من هنا كانت تقديرات الحاج في ذلك الوقت معقولة ومشروعة حينما يوصي بأهله وماله .

بعد انقضاء مناسك الحج وعودته سالماً تقف المدينة بأهلها ولا تقعد فمظاهر الاستقبال تشبه مظاهر التوديع بفارق بسيط هو الناس أكثر بهجة وسروراً وأن تكن بعض وجوه المستقبلين قد غابت بسبب الوفاة أو المرض . يخرج الناس خارج المدينة لمسافة ثلاثة كيلومترات تقريباً تبعاً للمكان الذي سيصل اليه الحاج ووسيلة النقل بعد أن يكون قد أبرق من بغداد عن موعد ومكان وصوله ، وهكذا تحتضنه العيون والقلوب قبل اللسان والذراعان ، مهنئين بسلامة الوصول وحج مبرور وذنب مغفور ودعاء موفور ومشكور.

بعد وصول الحجي الى داره مع المستقبلين تنثر على رأسه الحلوىٰ والتمر مقرونة بهلاهل النسوة من فوق السطوح وتنحر الذبائح بين اقدامه فيضيق البيت بمن فيه ، بعدها ينصرف الجميع بين من يرغب في تناول الطعام أو الملتحق بعمله الذي تركه بغير نظام ، وهم يحملون معهم بعض الهدايا البسيطة التي لا تتعدى اليشماغ او المسبحة أو المنديل وكل ما يناسب الكبار والصغار فرحين بها ومستبشرين لأنها من بيت الله الحرام ومن جوار قبر رسوله الكريم .

بعد ثلاثة أيام أو سبعة يقام المولد النبوي الشريف الذي لابد منه ليختم صورة بهيجة وعرساً دينياً ودنوياً متميزاً تنحر فيه هذه المرة الكثير من الذبائح والثيران لاعداد العشاء الذي يجب ان يغطى حاجة الحضور من الكبار والصغار . الغني والفقير ومن الجنسين . تعقبه لقاءات محدودة في بيت الحاج أو في الديوان القريب ليحدثهم خلالها عما صادف من حوادث وصعوبات تبقىٰ تطرز لياليهم الكثيرة حتى موسم الحج القادم .

ذكرىٰ المولد في تكريت

يقام المولد النبوي الشريف في تكريت عادة في المناسبات الرئيسية التالية:
١ ـ في يوم مولد النبي الكريم محمد (ص) في الثاني من ربيع الاول من كل سنة هجرية.
٢ ـ بعد أيام من عودة الحجيج من مكة المكرمة.
٣ ـ في مساء اليوم الثالث من مراسيم الفاتحة التي تقام على روح المتوفى.
٤ ـ بمناسبات اخرى متفرقة، لرؤيا رآها احدهم في المنام، أو تجاوز محنة معينة.

كيف يقام المولد النبوي

يعلن أحد المواطنين من أبناء المدينة لأهله وأصدقائه وجيرانه أنه سيقيم ليلة الخميس القادم منقبة نبوية، فينتشر الخبر بين الناس ويبدأون بالتقاطر الى المكان المحدد وبعد أجتماع عدد منهم تقام صلاة المغرب ثم يتجهون الى الموضع الذي وضع فيه الطعام فيتناول الصغار والكبار طعام العشاء حتى يحين موعد صلاة العشاء ليؤديها المصلون بشكل جماعي، وينقلون بعدها الى مكان آخر نظيف أذا كان صيفاً ففي الهواء الطلق وأذا كان الفصل شتاءاً ففي احدى الغرف الكبيرة، يأخذ صاحب المولد مكانه من صدر المجلس ويأخذ الباقون مواضعهم الاخرى، منهم من يفترش الارض المرصوفة بالبسط والزوالي ومنهم من يجلس على (دكاك) أو ارائك حديثة. ثم تطوف عليهم فناجين القهوة المرة وتكثر الصلاة على النبي والدعوات والابتهالات وبعد هدوء نسبي يقرع المقريء الرئيسي للمولد الشريف على دفه نقرات خفيفة تنبه الاخرين الى الاصغاء فيبدأ بقراءة سيرة حياة المصطفى (ص) منذ مولده حتى وفاته معززاً خلالها باخلاقه واثاره أقواله وأفعاله وبالشعر العربي المنتقىٰ حتى ينتهي السرد بعدما يزيد على الساعة والنصف. يضع قارعو الدفوف دفوفهم ليتناول الجميع قسطاً من الراحة يشربون خلالها الماء والقهوة والسيكاير وبعد مضي نصف ساعة يتقدم اصحاب الطرق الصوفية في تكريت وهم

الرفاعية والقادرية والنوامس والنعيم، ومعهم مرداؤهم فتتناول كل مجموعة الواحدة بعد الأخرى حصتها في القصائد التي لا تخرج عن مدح الرسول الكريم وقطب الطريقة والتذكير بالجنة والنار. وتبدأ القراءة دائماً هادئة رقيقة ولكنها تتصاعد تدريجياً من حيث الحماس حتى تبلغ حداً يفقد فيها اصحاب الطرق ومريدوهم توازنهم النفسي (يشيخون) فيقف اكثر من واحد في وسط الساحة وقد خلع دشداشته وعقاله وغترته الا من لباس يستر وسطه برغي ويزيد ويردد كلمات شيخ طريقته، هذا يمسك بعامود طوله متر ونصف وآخر بحربة وآخر بسيف، هذا يدخله في جوفه وذاك في عينه وآخر يذبح احد الجالسين من قفاه، ويشتد خلالها قرع الدفوف وتتعلق الانظار بالهاتفين والضاربين من المرداء حتى يقوم اكبر القوم من مجلسه فيكبر ويصلي على النبي محمد (ص) فيهدأ الجميع ويعود كل الى ملابسه ومجلسه من غير أن يلحق بأي منهم أذىً.

أن مسألة الدروشة والضرب هذه أثارت الكثير من التساؤلات لدى الناس المثقفين من أبناء هذا الجيل، فقد وضعتهم بين أحد أمرين لا ثالث لهما، الاول تفكيرهم العلمي الذي لا يعترف بالغيبيات والثاني واقع حال هذه الظاهرة التي تتحداهم بفعل عملي، فهم يرون المريد يسير امامهم وبين أيديهم والسيف أو الدرباشة تخترق جسمه من الجهتين من غير أن ينزف قطرة دم واحدة، ويخرجها من غير سوء.

ينفض المجلس كله بعد قليل فيودع بعضهم بعضاً وينصرف الى أهله قبيل منتصف الليل أو بعده بقليل.

ومن تكايا تكريت المعروفة بالتقوى والصلاح تكية الشيخ عبدالقادر الشيخ حسين الرفاعي، الواقعة في محلة القلعة المشرفة على نهر دجلة والتي لازالت موجودة في موضعها بعد أن ازيلت كل البيوت المحيطة بها، ويقوم على رعايتها وأدارتها اليوم ابنه حسين العبد القادر، وتكية الشيخ رجب الشيخ خلف الرفاعي ويتولى رعايتها الآن الشيخ عبدالرحمن بن احمد الشيخ رجب، وتكية السيد ذاكر والسيد صابر الرفاعي في منطقة السادة في الجانب الشرقي لنهر دجلة. وفي بيجي توجد تكية النوامس التي يتردد عليها الناس وعلى شيخ الطريقة السيد عبدالله

الناس. ومن بين العلماء الأفاضل ورجال الدين المشهود لهم بالعلم والفضيلة في ذلك الوقت ملا داود وملا ياسين والشيخ عبدالجبار القاضي وصالح محمد (الجمالة) والشيخ عبدالقادر الشيخ حسين والسيد طه الرفاعي والسيد محي الالوسي والسيد جمال الآلوسي والسيد حسني الآلوسي والشيخ عبدالقادر الحويز والسيد صادق الآلوسي وملا محمود الدهيمة.

مختارو تكريت

لم يكن مختارو تكريت يتميزون عن غيرهم من الناس في ذلك الوقت سوى في كونهم من وجهاء المدينة والمبرزين بين عشيرتهم وممن يحسنون القراءة والكتابة، ويملكون قدراً معيناً من الحنكة والدراية في شؤون الناس للتوفيق والتقريب بين وجهات الناس المتعارضة وبينهم وبين الدولة، كما أنهم يتولون عقد القران، ومن أبرز المختارين هم:

سلطان الليلة، وملا هلال الحاج دلي، وعطية الحنتاوي، ونصيف الجاسم وولده نعمان، والحاج خليل الحاج رحيم الشقاق، وجاسم الهيلان، واحمد المطلك، وتركي العجيل.

فولكلور تكريت



فولكلور تكريت

لا يختلف اثنان بأن أي شعب من الشعوب يملك تراثاً شعبياً خاصاً يعتز به أشد الاعتزاز، كما أن لكل مدينة طابعها الخاص، ولو استعرضنا التراث الشعبي العراقي من شماله الى جنوبه لرأيناه يزخر باشكال وأنواع متعددة غاية في الجمال والاصالة، فالعادات والتقاليد والازياء المختلفة والاغاني المتنوعة والصناعات والحرف اليدوية المتميزة يقف المرء مبهوراً أمام هذا الفن الرائع الزاخر بالحياة، وربما يعود ذلك الى التباعد وقلة المواصلات وضعفها لتنفرد كل منطقة بتراثها ونتاجها، ومع تعاقب الازمنة تطور هذا التراث ليأخذ شكله المستقر، فيحنما يصدح شاب بلحن جميل في يوم عرس مثير أو تحت ظلال شجرة على جرف نهر دجلة وماؤه الرقراق او في برية معشبة في يوم ربيعي رقيق، عندما يترنم هذا الشاب بلحن معين سرعان ما تتلقفه الاسماع والاذواق لتردده الحناجر فيغدو اغنية على كل لسان في تلك المنطقة، وكذلك الحال في مناسبات الاحزان حينما تعصف باحدهم عاصفة حزن اليمة لا تقوى النفس على تجاوزها بسهولة تصدر من صدره زفرات ساخنة لا تلبث ان تصير بيتاً من العتابة الذي يجرح أي قلب كما حدث للمرأة القروية فطيم البشر حينما فقدت اخاها عبد وهو من خيرة الرجال في ذلك الوقت فأخذت تندبه وترثيه بامر الشعر وأحره سنوات طوال، حتى وافتها المنية، ولاتزال أبيات العتابة التي نظمتها تتداول على السنة الناس هنا وهناك.

أن الفولكلور العراقي لا يمكن الوقوف عليه وعلى كل تفصيلاته في هذه الفسحة من الوقت وذلك لان الكثير من الاقلام كانت قد تناولته تفصيلا على صفحات الكتب والمجلات ومن قبل المتخصصين وغير المتخصصين. أن الذي يهمنا الآن هو الفولكلور الخاص بمدينة تكريت الذي هو جزء من تراث شعبنا العراقي العظيم.

وفولكلور مدينة تكريت وأهلها اكتسب طابعاً متميزاً خاصاً به بعض الشيء سواء في نظم الاغاني وأدائها أو في الحرف اليدوية أو الملابس والأكسسوارات أو الألعاب المختلفة، لذلك فأننا سنقوم بسرد هذه التفصيلات تباعاً ولكن بشيء من

الأيجاز الذي لا يتعب ذهن القاريء أو يدخله بجزيئات لا أهمية لها في هذا الوقت.

الملابس والازياء

المعروف عن أهالي تكريت أنهم حتى عام ١٩٢٠ كانوا يصنعون ملابسهم بأنفسهم رجالاً ونساءاً، بدءاً من العقال وانتهاءاً بالحذاء مروراً بالملابس الاخرى الكثيرة، فالعقال من الشعر واليشماغ من القطن والثوب من الصوف والقطن والكتان، والعباءة من الصوف والفروة والحذاء من جلد الحيوان.. وتتسم ملابسهم بالبساطة والتواضع كماهو حال مأكلهم ومشربهم البسيط. فلباس الرجل اثناء راحته يقتصر على ثوب فضفاض يغطي الجسم كله حتى القدمين مصنوع من الصوف أو من القطن مصبوغ عادة بلون داكن وسترة او دميري أو يشماغ فوقه عقال أو لفّه وفوق الجميع عباءة صوف أو فروة، وفي القدمين حذاء (چزمة) أو (يمني) أو (كلاش) ثم تطور الامر سنة بعد اخرى لتدخل في لباسه (الصاية) ثم (القاط) والحذاء الحديث.. الخ.

أما أثناء العمل فيختلف الأمر قليلاً يحتل (الشروال) الطويل و(الجداعية) و(المقطنة) حيزاً اكبر في الحضور. أما ملابس المرأة التكريتية فلا تتعدى كومة من الصوف والكتان والقطن مع ثوب أو ثوبين فضفاضة تعلوها على الرأس عصابة كبيرة (كسروان) أو (چرغد) و(فوطة) ثم (صاية) و(دارية) للزيارات الخاصة، وتغطي الجميع عباءة أو عباءتان، وسواء أكانت في البيت أم في زيارة فلا يظهر منها غير الوجه والكفان والقدمان، وحتى هذه الاجزاء تختفي في بعض الاحيان. وسنأتي على هذه الملابس تفصيلاً:

اليشماغ والغترة:

اللباسان المستقران في جميع الاحوال عند الرجال والشباب من أهالي تكريت ومنذ وقت بعيد، وتشترك معهما ايضاً (اللفّة) وهي عبارة عن يشماغ

يلف عليه (يشمغ) آخر بدلاً من العقال، يرتديها كبار السن عادة. أما اليشماغ فمقصور لبسه على الرجال والشيوخ، والغترة يرتديها الشباب حصراً.

الثوب أو الدشداشة:

وهي اللباس المركزي للرجال وللنساء لا اختلاف بينهما سوى في نوع القماش ولونه، فلباس الرجل اكثر خشونة وداكن. وهذا الثوب الطويل الذي يغطي الكتفين وحتى القدمين وبأكمام طويلة لايزال يستخدم الى الوقت الحاضر بعد أن ادخلت عليه بعض التعديلات.

الصاية والزبون:

لباس الرجال التقليدي بأكمام طويلة أوبدون أكمام، والصاية في العادة جزء من القاط (من نفس قماش السترة) تغطي الجسم كله من الكتفين حتى القدمين، ومفتوح من الامام وهي بلا أكمام يلفها الرجل حول خصره مستخدماً (كلّاباً) صغيراً لشدها بالطرف الثاني، ويرتدي فوقها السترة ثم اليشماغ فالعقال، وفوق الجميع وعلى الكتفين تستقر العباءة الشتوية من (الجوخ) الجيد مع الحذاء المناسب، ليخرج بعدها الرجل يتهادىٰ في أوقات فراغه الى الديوان والمقهىٰ.

أما الزبون فيشبه الصاية الا أن الغالب فيه الاكمام الطويلة، ولا يشترط معه أن تكون السترة من نفس اللون أونوع القماش. كما أنه يرافق الرجل في العمل التجاري البسيط لقدرته على المقاومة لظروف العمل ويدفع عن الرجل قسوة البرد، كما أنه يكسبه وقاراً نسبياً في الوقت نفسه.

الدميري:

وهو لباس من قماش البرسيم والحرير المطرز الجميل، يرتديه الرجل الذي تجاوز الاربعين يشبه السترة بأكمام عريضة وطويلة يكسب الرجل وقاراً وهيبة، وانحسر ظله في هذه الأيام الا في مدينة الموصل حيث لايزال يرتديه الناس هناك.

الشرول:

لباس طويل يغطي منطقة الحزام وما تحتها حتى القدمين، يرتديه العرب والاكراد مصنوع من القماش القوي الذي يتحمل قسوة العمل والماء

التبّان :

لباس داخلي قصير بين الحزام والركبتين مصنوع من القماش القطني لايزال الكبار يرتدونه الى اليوم .

المقطنّة :

يدل ظاهر اسمها على أنها مصنوعة من القطن المحشو داخل سترة من القماش القوي تماما كما يصنع اللحاف ، تتخلل مساحتها (نفدات)[1] من خيوط القطن القوي المشمّع من وجهيه وفصالها كفصال الجدّاعية ، أي تغطي الجذع وبلا اكمام يرتديها الرجل أثناء العمل في فصل الشتاء وايام البرد واكثر الذين يستخدمونها العاملون في الاكلاك .

الجداعية أو صديرية الفروة :

وتشبه القمصلة العسكرية والمقطنة ، فهي تغطي الجذع فقط وبلا أكمام واحيانا تصنع باكمام ، مصنوعة من جلود الاغنام ويسميها البعض بنت الفروة ، يستخدمها العاملون في النهر أو المسافرون في البر لأنها لا تعيق الحركة وتدفيء الجسم في الوقت نفسه .

العباءة والخاچية :

فصالهما واحد تقريباً عدا أن الأولى شتائية ومن قماش سميك كالچوخ وبياخة سادة أو مذهبة وبالوان عديدة مابين سوداء وبنية واصبحت في السنوات الاخيرة زرقاء وبيضاء وحسب نوع القاط ونوع الفصل . ياختها من خيوط الكلبدون أو نوع آخر من البريسم .

أما الخاچيّة فهي عباءة صيفية مصنوعة من نسيج الصوف الرفيق بحيث يرى ما تحتها بوضوح ، وهي بياخة ملونة أو سوداء وهو ما يفضله كبار السن ، ولقد تعددت في الايام الاخيرة الوانها وأشكالها تبعاً لتطور الحياة وتقدمها والمستوى المعاشي للناس .

---

(١) النفدة هي عقدة الخيط أو الموضع الذي تتسلل من خلاله الابرة مع الخيط في اي قماش .

وتتفاوت درجة جمال لبس العباءة بتفاوت اعمار الرجال وجودة القاط والحذاء الذي يرافقها وفوق كل هذا طول الرجل ورزانته في مشيته واستقرار غترته وعقاله فأن تجانست كل هذه المؤشرات اكسبت الرجل هيبة ووقاراً تثير الاعجاب في نفوس المراقبين.

الكمّـة:

وأسمها مشتق من القمّة فموقعها في أعلى الرأس من القطن الابيض والصغار يفضلونهـا ملونـة، يفضـل الشـاب والـرجـل ارتـدائها تحت الغترة لتستقر عليها مع العقال، ولايزال استعمالها شائعاً حتى اليوم.

الكليتة:

غطـاء للرأس فقـط يغطي الـرأس كله عدا الـوجـه وهي من الصوف تستخدم لدرء البرد، ولقد انقرضت منذ زمن طويل.

البشت:

البعض يخلط بين البشت والعبـاءة السعـدونية فكلاهما نسيج صوفي متين لا ينفذ منه الماء، لكن البشت يوضع على الكتفين كالعباءة باكمام قصيرة حتى مفصل السـاعـد وطـولاً الى الـركبـة، يستخـدمه رعاة الغنم والعاملون في الاكلاك وبعض الاعمال الشاقة. والغالب يكون أبيض اللون.

العباءة السعدونية:

وأسمهـا أمـا أن يكـون مشتقـاً من عشيرة آل السعدون أو لأسم سعدون آخر. هي كما قلنا قبل قليل نسيج صوفي متماسك جداً بلونين ابيض واحمر بني مخطط، وتكـون اطـول من البشت لتغطي ماتحت الركبة واكمامها الى الكفين وتستخدم في الايـام البـاردة واكثـر من يستخدمها رعاة الغنم والعاملون في الاكلاك وهي خير درع ضد الرياح الباردة والامطار الغزيرة كما أنها تدفع عن مرتديها الاشواك القوية وعضة الكلب.

الفروة:

رداء مهم وأسـاسي في أيـام الشتـاء الباردة وهي على نوعين، الكبيرة الحجم والصغيـرة، ولقـد تحـدثنا عن الصغيرة المسماة (الجداعية أوسديرية الفروة). رداء

مصنوع من جلود الحيوانات ومن جلود الغنم حصراً، وتمتاز جلود الغنم الكبيرة (النعاج) بالقوة والقدرة على المقاومة فترة زمنية أطول، أما الجلود الصغيرة فهي أرق واخف وأجمل، لقد أشتهر بعض اهالي تكريت ممن لا يزيد عددهم عن العشرة بصناعة الفراوي وكذلك أهالي الموصل.

تمر صناعة الفروة بمراحل عديدة تستغرق اكثر من شهر، عمل متواتر ومتصل الواحد بعد الأخر، فمن عملية التنظيف الى التمليح والدباغة، ثم الدهن والخياطة، وبعد اكتمالها يرتديها الرجل فترة تقرب من السنة لكي يجف الدهن الذي علق بها ثم يقوم بـ (تخويمها) أي يغلفها من الخارج بقماش سميك يطرز في بعض الاماكن منها ليكسب الفروة قوة وجمالاً.

الفروة لباس شتوي كما قلنا يوم لم تكن هناك مكيفات أو مدفئات غير الحطب والفحم، ولايكاد يخلو بيت في المدينة والريف من فروة أو اكثر وجداعية واكثر وبشت وعباءة سعدونية لدرء البرد وعوادي الطبيعة القاسية في تلك الايام.

يرتدي الرجل الفروة فوق ملابسه يوم لم يكن لديه عمل فتراه في المضيف أو المقهى او البيت أو الحانوت يلتف بها غير حافل بالنسيمات الباردة التي تكتنفه من كل جانب، يتجاذب اطراف الحديث مع هذا الرفيق وذاك بهدوء واتزان وأصابعه تعبث بمسبحة اوبكيس تبغ ليلف سيكارته او يملأ غليونه من تبغ الخوشناو مع ورق الرشيد المفضل في ذلك الوقت فيدسها في (المزك)[٢] الطويل او القصير، والدنيا عنده لا تساوي (زبانة) [٣].

وتعمر الفروة فترة تزيد على الثلاثين عاماً اذا سلمت من العبث والنار، ولقد اخذت تنحسر شيئاً فشيئاً امام زحف المكيفات التي دخلت البيت والعمل وحتى السيارات. وأن كان البعض منا يستخدمها للزينة فيشتريها من مدينة الموصل بنوعيها الطبيعي والصناعي.

اليمني:

حذاء جلدي احمر اللون يرتديه الرجل حتى مطلع الخمسينات اخذ يتراجع امام انتشار الاحذية الحديثة.

الكلاش :

حذاء الكـادحين ورعـاة الغنم ارضية جلد بقر سميك يحاك حوله وفوقه غزيل صوفي ليصبح شبيهاً باليمني ، وقد انقرض تماماً .

النعال :

حذاء خفيف لايزال استعماله شائعاً حتى اليوم بعد أن أصبح اكثر رشاقة واكثر تنوعاً .

البابوج :

وتستعمله المرأة حذاء للقدم وهو خفيف ورقيق نسبياً وعلى اشكال والوان متعددة .

القاط الحديث :

وهي الستـرة والبنطرون والقميص والرباط دخلت بحذر شديد في الثلاثينات الى تكـريت حتى أصبحت لبـاسـاً شخصيـاً لكـل الموظفين و(الافندية) ولكن هذا المـوظف أو الطـالـب سرعان ماكان يعود الى الدشداشة واللبس التقليدي بعد انتهاء الدوام الرسمي او الدراسة . ولقد انتشرت بين عامي ١٩٤٠ و١٩٦٠ ظاهرة استعمال الدشداشة والسترة و(السدارة)[٤] وفوقها جميعا عباءة صيفية ، كان الموظف والمعلم التكـريتي في الاعم الاغلب يرتـديهـا ويخـرج الى السـوق أو النـادي اثنـاء العطل الاسبوعية أو السنوية وخارج الدوام الرسمي ، يخطر بهذه التشكيلة الطريفة من غير أن يلقى أي استغراب من أحد ، وبقيت هذه الطريقة في اللبس ولم تسقط منها غير السدارة التي استبدلت بالغترة والعقال .

---

(٢) او المبسم او المشـرب وهـو الاصبـع الـذي توضـع فيـه السيكـارة وقـد يكـون من الكهرب أو المنشب أو المعدن .

(٣) الزبانة هي الجزء الخلفي او الاسفل من السيكارة القديمة ، خالية من التبغ كالفلتر الآن .

(٤) السدارة ، غطاء للرأس كان شائع الاستعمال عند الموظفين وطلاب المدارس من الجوخ او الصوف .

ملابس المرأة التكريتية :

لقد اقتصر رداء المرأ التكريتية سابقاً على الثوب الطويل الذي يغطي الجسم كله وحتى القـدمين واحيـانـاً كثيرة ترتدي ردائين وفوقه الصاية وعند خروجها تضيف الدارية ثم العصابة التي تغطي الرأس كله، محاطاً ومؤطراً بالفوطة التي تغطي الرقبة والصدر وجانباً من الرأس، وفوق الجميع العباءة الفضفاضة، كل هذا الكم الهائل من الملابس ترتديه عند الخروج وبعضاً منه وهي في البيت. واليكم التفصيلات :

الثوب

رداء معـروف حتى الآن عنـد الفـلاحات يغطي الجسم كله وحتى القدمين، بكمّين طويلين من القطن أو الكتـان وبألـوان مختلفـة ولكن الأسـود هو الغالب عند النسـاء والالـوان الفـاتحـة عنـد الصبيـات والشـابـات، ومن طريف ما يروى بهـذه المنـاسبـة أن صبـاغ القماش في ذلك الوقت وحصراً في العقدين الاول والثاني من هذا القـرن كان يعمـد الى وضـع حباة الذرة الصفراء بعد أن تشوى وتصبح (شامية) بيضـاء اللون كأنهـا الـزهرة، كان يوزعها في انحاء مختلفة من القماش الذي ينوي صبغه ويعقد عليها بخيط رفيع ثم يصبغ القطعة كلها وينشرها لتجف فتظهر القطعة كلهـا بلونهـا التقليـدي المطلوب الا المـواضع التي وضعت فيها الشامية فانها تظهر وكأنها وردات وزهور متناثرة في أنحاء الثوب المختلفة. أنها طريقة بدائية ولكنها مبتكرة.

الفوطة :

قطعة من قماش خاص يسمى البريسم بسعة مترمربع تغطي جانباً من الرأس والرقبة والصدر، وترتديها المرأة في كل الاوقات داخل البيت وخارجه.

الچرغد :

غطـاء للراس، قطعـة من البـريسم أو الحـريـر الرشيق اللماع تلف به المرأة رأسها وهو أما اسود اللون أو أحمر.

الكسروان :

لباس للرأس من قماش الحرير يكسب المرأة جمالاً وهيبة وهو أسود مخطط.

الصاية :

بطـول قوام المـرأة مفتـوحـة من الامـام وبأكمـام، قطعة قماش مصنوعة من الحرير او القطن .

الدارية :

لباس من الحرير أو القطن ، لباس فضفاض يغطي الجسم كله ترتديها المرأة فوق ملابسهـا عنـد الخروج للزيارة، بفتحات واسعة بدل الاكمام، والدارية خفيفة ورشيقة سوداء اللون .

العباءة :

من الصـــوف ، سميكــة وتغطي الجسم كله وهي فوق كل رداء، وشـــاع في الخمسينات استعمال العباءة من الحرير (المبرد) .

الحلـي والمخشـلات

يكـاد لبس الحلي يقتصـر بوجـه عام على النساء فقط عدا الفترة القصيرة من عمر الاطفال ممن هم دون الثالثة والرابعة من العمر حيث يتساوى فيها الجنسـان في ارتداء الحلي وعلى النحو التالي :

الودعة :

قطعة صدفية جميلة مطعمة بالذهب أو الفضة تعلق بشعر الطفل أو بملابسه .

الدهّاشة :

حجر ازرق مطعم بالذهب أو الفضة يعلق بالكمة او بشعر الرأس .

العطفة :

قطعة ذهبية صغيرة تعانق قطعة معدنية او حجراً كريماً وبالشعر او الرأس .

الشنف :

قطعة ذهبية مصاغة بعناية تعلق بشعر الطفل او بكمته او ملابسه .

المحمدية :

نشرة ذهبية توضع معلقة في الصدر مكتوب عليها آيات قرآنية واسم الرسول (ص) .

الشباحات :

مصوغات ذهبية في كفي الطفل .

الجناجل :

حلقات ذهبية باجراس في قدمي الطفل .

الحجول :

حلقات ذهبية أو فضية للفتيات في القدمين .

سن الذئب :

سن ذئب حقيقي مطعم بالذهب أو الفضة يعلق بشعر الطفل او ملابسه .

سن الثعلب :

سن ثعلب حقيقي مطعم بالذهب أو الفضة يعلق بشعر الطفل أو ملابسه .

الكِنِف :

تعويذة صغيرة تلف بقطعة قماش تعلق بملابس الطفل أو مهده .

الصچباغات :

قطـع فضـة مصـاغـة بعنـاية تعلق في نهاية جدائل الصبيات تترك خلفها بعد قفزات الصبية وركضها رنيناً جميلاً .

الدمالج :

ومفردها دملج ، من الزجاج الملون تكثر أو تقل في معاصم الفتيات .

الگرادين :

ومفـردهـا گردانـة ، قلادة متنوعة الاشكال والمواد، منها الحجر ومنها الزجاج وفيها الذهب والفضة وتعلق في الصدر وحول الرقبة .

وتكبر الفتاة وتصبح شابة فامرأة عندئذ ترتدي الحلي التالية :

البتوت :

ومفردها بت، وهي حلقة من الذهب تزين المعصمين نقل وتكثر حسب يسار الرجل .

الخواتم :

أو المحابس، في الاصابع وعلى مختلف الاشكال والالوان .

الدوالي :

حلي من الذهب مفلطحة بعض الشيء وتلبس في المعصمين .

الملوي :

حلي في المعصمين من الذهب الخالص مبروماً على شكل الحية .

الخلخال :

في مفصلي القدم من الذهب او الفضة يوضع داخله بعض قطع الحصى يثير زيناً محبباً عند سير الفتاة ومع كل خطو جميل .

الحِجل:

في مفصلي القدم من الذهب الخالص أو الفضة وحسب يسار العائلة.

التراچي:

اقراط في الأذنين وتحتلف من حيث الشكل والنوع وهي من الذهب الخالص.

المگلد:

يطوق الرقبة ويستلقي على الصدر، قلادة من الحجر الكريم والذهب والفضة والزجاج كلها مجتمعة.

الخزامة:

قطعة من الذهب مصاغة تعلق في أحد طرفي الانف المثقوب منذ الطفولة.

الوردة:

قطعة من الذهب مصاغة تعلق في الطرف الثاني من الانف المثقوب منذ الطفولة.

العران:

قطعة من الذهب مصاغة تعلق في اسفل الانف. ويكون اكبر الاثنين السابقين.

(زعيلان)

كل الهلا بحبيبي الچان زعلان طابگ وردة وخزامة وبالوسط عران

الكلاب :

قطعة ذهبية مصاغة خصيصا للزينة، وتحتوي في جزء منها على كلاب صغير يربط طرفي الفوطة بعد ارتدائها.

(زعيلان)

عذبتيني عذبج ربج عذاب   طولج كچك النهاية صفرة الخشاب
لمّن لبست الوردة وطگت چلاب   تصلح ضابط حربية بچتفونيشان

البلابل :

قطع ذهبية مصاغة ترتبط في الاجزاء العلوية من هيكل عباءة المرأة للزينة.

لا نجد افضل من هذه الفرصة للحديث عن فقدان أحدى الحلي والوسائل المتبعة للعثور عليها في ذلك الوقت.

حينما تفتقد احدى العوائل واحدة من هذه الحلي فأنها تكلف أما حمدي الياس أو احمد اللوحة ليطوف في طرقات المحلة وأزقتها وتحت أبطه نسخة من القرآن الكريم ليصيح بأعلى صوته وقت الغروب حيث تجتمع كل عائلة لتناول طعام العشاء (هذا الدين، فيقارب العالمين، الشافت عينو، السمعت ادنو، القضبت أيدو، اللفاشنف، ولونو الحلاوة) وتعني : هذا القرآن وفوقه رب العالمين على كل من رأى بعينه أو سمع باذنه أو أمسك بيده، من عثر على شنف وله المكافأة.

يكررها مرات عديدة وهو يقطع الازقة حتى يسمع من يناديه ليعيد له الشيء المفقود بمكافأة أو بغيرها.

الحياكة والنسيج اليدوي

لا تختلف تكريت عن غيرها من باقي مدن العراق في مطلع القرن العشرين في أهتمام أبنائها بتوفير الحاجيات المنزلية والتي لا يمكن الاستغناء عنها في حياتهم اليومية، ويستوي في ذلك مجتمع الريف أم المدينة، وعلى رأسها سجادة

الصلاة يتبعها كل بساط ودثار وتمتاز كلها بالبساطة والجمال والقوة، ولايزال استعمال البعض منها شائعاً حتى اليوم، هذا نسيج صوفي وآخر قطني وآخر من الشعر. الخ.

سجادة الصلاة: بطول متر أو يزيد قليلاً وعرض نصف متر، من الصوف الطبيعي ملونة أو غير ملونة، ويحتوي البيت الواحد على اكثر من سجادة.

المدّة: نسيج صوفي يطول مترين الى ثلاثة أمتار وبعرض متر، توضع على الفرش التقليدية وخصوصاً ايام البرد للتدفئة والزينة.

البساط: وهو الاكثر شيوعاً وانتشاراً، نسيج صوفي اكثر متانة من المدة يطول ثلاثة امتار الى اربعة وبعرض متر واحد، يستخدم في كل الفصول لغرض الجلوس عليه مباشرة أو يوضع عليه فراش فهو حاجز بين الارض والانسان ويتحمل قسوة الاستعمال. وهو أما أن يكون مصبوغاً او بالوان الصوف الطبيعية البيضاء والحمراء البنية والسوداء.

الگطيفة: وهي الاخرى بساط صوفي يستخدم عادة في مضايف المدينة وفي بيوت أهل الريف، وهو أطول وأعرض من البساط، ويكون مخملي الملمس وملوناً باللون الاحمر مع بعض الالوان البسيطة الاخرى، وتترك نهاياته سائبة كالجدائل الصوفية لتضفي عليه جمالاً وهيبة مكملاً لوقار البيت وصاحبه. ومما تجدر الاشارة اليه بهذه المناسبة أن المرأة التكريتية تفتخر كثيراً بكثرة فرشها ولا يستقر طموحها الا حين يصل فراشها سقف البيت. ومن الانسجة الاخرى التي كانت مستعملة في تلك الايام (المگطع) وهو ثوب يرتديه الرجل يشبه (الدشداشة الآن) تماماً لكنه مصنوع من الصوف الخالص وانقرض استعماله اليوم. والعباءة الصوفية للرجال والنساء.

ومن الأنسجة الصوفية ايضاً (كيس الگونية) لنقل الحبوب بوجه عام ولغير ذلك من المواد وكذلك (الخرار) الذي يشبه الگونية لكنه من الشعر، وكذلك (خرج الفَرَس، وبساط (الطريجة) من الشعر التي تخاط او تربط مع بعضها لصناعة بيت الشعر الذي يستخدمه البدوي والفلاح.

الغناء في تكريت

وينقسم الى قسمين الاول يشترك فيه ويردده أبن المدينة وأبن الريف وهو الغناء الذي أصبح الآن معروفاً على نطاق القطر كله مثل السويحلي والنايل والعتابة والزعيلان والميمر والمولية . والثاني يقتصر على نساء المدينة وفتياتها ويختلف عن الاول من حيث اللهجة واللحن والاداء . وسنذكر نماذج من كل نوع على سبيل المثال لا الحصر.

العتابة :

وتسمى ايضاً (الفراگيات) وتشبه من حيث الشكل نظم الابوذية المعروفة في وسط العراق وجنوبه لكنها تختلف عنها بنهايتها حيث تنتهي العتابة بالالف والباء أو الالف المطلقة ، وهي لا تؤدى إلا في المناسبات الحزينة أو الدينية التي تذكر بالاخرة ، وخلال لحظات القنوط والاسى ولهذا سميت فراگيات ، ومن أراد المزيد من أبيات العتابة فليرجع الى كتاب العتابة للاستاذ اسماعيل عايد .

١- ياگلبي تگول خامشتك مجاري   عليهم تمَّن دموعي مجاري
يا خليّ لاتلوموني ماجاري   عليكم مثل دلّالي غشا

* * *

٢- يامَن عندو دلول ويسروبيٌ   هتيمي وعلمهالج يسروبيٌ
أنا حرها بمين وتسروبيّ   تدليني على فراگ الحباب

* * *

٣- ملاح البيض ماجابن عگبهم   ظهور الخيل چلّن من عگبهم
عسىٰ لانسّم الغربي عگبهم   ولا لعبن دواليب الهوىٰ

* * *

٤- بطارش ياخفيف الجدم بس روح   وسلملي عليهم جِمل بسروح
ياهل تنشد على حالي بس الروح   تعالج فوگ صندوگ الحشا

* * *

٥ـ لهب ذاري بلب الچبد ياناس خُلّي راح بيش الـگـلب يانس
يامظهـر من الحيتـان يونس تصـبّـرنـي على فراگ الـحـبـاب

النايل :

يرافق الحب والغزل ويتألف من بيت واحد من الشعر الشعبي يربطه تجانس بين آخر كلمة من الشطر الاول بآخر كلمة من الشطر الثاني .

١ـ سلام لله عشيـري علينا ليش كبرانين
أشـبـدل گلوبـكـم واحـنـا الـگـبـل بادين

٢ـ أنشـد عيـوني عليش محـاربة النوم
تنطـر هدشـة الـولـف حلويـن الـرسـوم

٣ـ ياريـت ماگـصّـرت هذاالـعلي آتي
ساهـرت ليـل الـدجـى وغـشـيـت جيـرانـي

٤ـ لولاك ما هفّـت اليـمـنىٰ وتـعـنيـنـا
ألـكـم علامـة حزن بالـدار خلّيـنـا

٥ـ عنـديـن ماشـوفكم مايفتضيلي بال
صَدّگ يزيـن الـنِـبـا أنـتَ وروحـي عدال

السويحلي :

يرافق الحب والغـزل أيضـاً ، خفيف الظـل نظمـاً وأداءاً ولهـذا نجـده اكثر تداولاً بين الشبـاب والشـابـات وخاصة في القرىٰ القريبة من تكريت يتألف من بيت واحـد من الشعـر الشعبي فيـه تجانس بين كلمتين منه يمكن ملاحظتها من طريقتي كتابة البيت :

١ـ ميـت الـف حَيـهُـم الـمجبلين عزاز
خيـال فَيـهـم معـرض بوجـه الـبـيـت

أو ينظـم : ميـت الـف حبـهـم

عزاز الـمـبـجـلـيـن

خيـال فيـهـم

معرض بوجه البيت

* * *

٢ـ لولاك ماجـيـت ولا تعبـن جدامـي

من شفـتـك بريـت وآنـي سجـيـم الحـال

* * *

٣ـ أرفـع يمـيـنـك لوسلّمت يزيـن

بسـلام عيـنـك مايـرتـوي الـدلّال

* * *

٤ـ الـدرب علدار شلون جرحـي يطيب

يمـهـايـل الـنـار هونـك بهـلدلال

* * *

٥ـ ماعـذلـتـوني لو تفهمـون الـداي

حگـهـن عيـونـي يبـچـن عليـهـم دوم

* * *

٦ـ اسمـع ولاطيـع يلّي تعـذلـوني

عشـگ الـمـرابـيـع هوَّ هجـام الـبـيـت

* * *

٧ـ آنـي الـمـاردتـو بلوة بلونـي بيـه

هوَّ ومـخـدتـو يمـوت شيـل عفـيـن

ومما يلاحـظ في أداء السـويحلي أنـه ينتشر في المنطقة الوسطى من العراق وعلى نهـري دجلة والفـرات وديـالى وحتىٰ المـوصـل، ولكن لكـل منطقـة أداؤهـا الخـاص غيـر أن منطقـة تكـريت وريفهـا تفضل القطع المباشر في نهاية أداء البيت

الـواحـد من كل شطـر وتكـاد الـربابة لا تلحق به ، أي بعيداً عن الانسيابية والميوعة والتوسل ، وجبور المنطقة خير من نظم السويحلي وأداه .

الـزعيـلان : شاع استعمـال الـزعيـلان في السنـوات الاخيـرة من خلال الاذاعـة والتلفـزيـون والحفـلات العـامة ، ولقد كان في الفترة التي أتحدث عنها مجهولاً مع غيـره من الأغـاني التي أتحـدث عنهـا الآن كالعتابة والنايل والسويحلي ورغم تباين الألحان والكلمات في كل لون منها ورشاقة البعض منها . والزعيلان غالباً ما يرافق الدبكة عندنا مع الميمر والمولية والسويحلي . مثال :

كل الهـلا بحبيبي الچان زعيلان طابـگ وردةوخـزّانـةوبـالـوسطى عـران

الدور

كل الهـلا بالحـدث لوجن كلهن ربحـه مسـج وخضـيـره بطـي كذ لهن

ما گلتـلچ يايـمـه خذيـلي منهنْ بلچـي ربـچ يقـبـلچّ صومـةرمـضـان

الدور

كل الهـلا بالحـدث لوجن جميع مثـل المهـارة العـذرةبـوسـط الـربيـع

سعيـدة خيالة مغلاجي لوكالت ويع تريـدالـخيـال اليـرچيهـه علدشمـان

الدور

عذبـتيني عذبـچ ربـچ عذاب طولـچ كچـك النهـايـة صفـرةالخشـاب

لمّن لبست الوردة وطگت چلاب تصلح ضابـط حربيـة بچتفـونيشـان

الدور

كل الهــلا بحبيبي وبمصبـاحـو طيـر حُرٍ لخًّ الـصـيـدة بجـنـاحـو

الـزلف الاشگـر على متـونولاحو يشبـه حريـر مصـفطـوراعي الـدكـان

الدور

لاتـاخـذ الگصيـرة لولا بفلسين تهـجـم بيتـك وتـچـشـرعليـك الـدين

أخـذ الـريشـةالطـويلة وام سودةالعين

لولا الـفـگـر للهـامـة گليـبـك ريـان

الدور

الميمر :

وينتشـر في كل أنحـاء العـراق تقريباً ولكن استعماله في تكريت اكثر ويشترك في مواسم الافراح ويرافق الدبكات ومثاله :

بم الـخـديـد الـوردتـيـن الـيـاعـم
گصّـن ضِمـيـري لمـن صاحـن ياعـم
لاتـنـهـم الـغـرنـوگ بالله ياعـم
خلهـا تدگـنـي مثـل عود الـكـزبـر

* * *

علميـمـر وعـلـمـيـمـر وعـلـمـيـمـر
حايـر أحـب الـحـنـچ لولا الـمـنـحـر

الدور

يابـوخـديـد الـوردة الـمـانـي لك
منك زغير بالمهد آني لك
كل يوم أبـاريـلك وسـهّي بعـينـك
وأنـت الـحـلو وتـريـد مـني عنـبـر

الدور

يابـوخـديـد الـوردة الـتـربـيـنـي
خطـيـبـتـي بذاك الـنـزل تربـيـنـي
لووسّـدونـي الـلحـد والـتـربـيـنـي
ماسـلاك يابطـن الـغـزال مضـمّـر

الدور

يابـوخـديـد الـوردة الـهـيـلانـي
والـكـحـل بعـيـون الـتـرف هيـلانـي
والـچـان لاگـيـلك ولـف غيـرانـي
يبـگـه مكـانـك بالـضـلوع الـگـصّـر

الدور

يابوخديد الوردة الولحنه

نگر الفرنسا تحاچيني واللحنه

الچان لاگيلك ولف والا احنا

نصر على جور الزمان ونسهر

الدور

جتني اتخطره من گفا الفلحان

كسرت عظامي وعطلت فداني

گولولبوها الشايب الخرفان

يصبر علي سنتين لمن أكبر

المولية: وهي منتشرة في مناطق واسعة من وسط العراق والشام، وهي ترافق الدبكات في تكريت لأنها تؤدى بسرعة نسبية مثالها:

ياعين موليتين وعين موليه

مدري المجوز حلا للولا العزوبيه

الدور

* * *

ياعين هدله الحمد ياعين شاهينة

ياعين حرٍّ على الصيدة مطلجينه

والچان زالفچ هَدّل بالچ تلمينه

خلّي مچلچل على راسي ورجليه

خلي مچلچل على راس الچلچ فيَّ

* * *

وردت على القايم وردت على القايم

تردس بحجل الذهب وتحسس النايم

يگلون ميك شفايامي القوايم

يورد عليك الگطا باسنين وسميه

الدور

بت الــتـگـلّه لبــوهــا يبــوي جوزنــي

گبــلن تحــول الــســنــا ومــتحّــد ينــفـجـنـي

آني رايــدن التــرف والتــرف رايــدني

واثــنــيــنــه بهــلشــتــا نلتــف بعــبــيــه

الدور

الاغاني التي تنفرد فيها المرأة التكريتية

تحـدثنـا فيمـا تقـدم عن الاغاني التي يشترك فيها أبن المدينة مع بن الريف والان نوجـز بعض الاغـاني التي تؤديهـا الشـابـة التكـريتيـة في المنـاسبـات والتي اصبحت بعض مفـرداتهـا غريبـة على ذهن القـاريء بعد أن تلاشت تماماً، كما أن بعض هذه الاغاني اذا كانت قد انفردت بلحنها وطريقة أدائها فأن قسماً منها منظومة أما على طريقة السويحلي أو النايل. أمثلة على مطلعها فقط:

١- لولبايم عرين . . لولبايم عران - (ومعناها تأرجح يا عرين ياعران)

٢- ليل ياليلي . . ليل ياليلوه - (ومعناها ليلي طويل لماعانيةمن وجد)

٣- هبلّول ياعيني هبلول - (انا أهبل ومجنون في حبه)

٤- هيلن بالسمر هيلن يلبيض - (تدفقن سمراوات وبيضاوات)

٥- يميزان خليني بعقلي - (ومعناها أما أن يكون اتركني مختلّة العقل أو أن أحدهم اسمه ميزان أصاب واحدة مولهة به بجنون)

٦- يسمع ونيني ولا يمر - (واضحة المعنى)

٧- يادشر يالله . . يادشر يالله - (ومعناها نشكرالله الذي منحنا حريتنا في البرية)

٨- يازلف العب . . لاوالله ماألعب - (وتغنى اثناءالرقص فيرقص الزلف معها)

٩- مرعوب يا راعي الديره - (نزلت حديثا في الديرة فاقلق جمالها ابن الشيخ)

١٠- عيّو أمشْ - (أصر أهلها على الرفض فخذو فداً لخطبتها)

١١- يابو گراميل . . يابوگراميل - (الكراميل نوع خاص من الجدائل مجدولة بطريقة جميلة)

١٢ـ ميل يا ناهي دميل . . وميل ياناهي دميل ـ (وتعني تمايل وتبختر يا جميل)
١٣ـ يامشيعل غيريت الواني ـ (يا وجه الصباح المشتعل أثرت في وفي لوني)
١٤ـ هلّله هلّله يامولانا . . عتب عالراح وماجانا ـ (وتشبه الاغاني المغربية)
١٥ـ يحـديـده يرصـاصـة ، عبارة الجماسة ، شفنا بنية بالبحور، وگطّعناها بالسيوف ويـاسيـوف الحـادة كله شقي وكله بقي ، يغـدلا زيـان اللحيتي . (لهـذه الكلمـات والاغـاني الـلاحقة شكلاً ومعنى لا رابط بينها ولكن بعض الفتيات والاطفال يؤدونها بطـريقـة ظريفـة وذلـك بأن يجلسـوا على الارض متـراصفين الواحد بجانب الآخر ويمـدون سيقـانهم أمامهم ويبدأ رئيسهم بأداء الاغنية هذه وهو يؤشر أو يضرب على سيقانهم الواحد بعد الآخر ذهاباً وأياباً حتى تنتهي عنده آخر كلمة فمن وقعت على ساقه الكلمة الاخيرة سحبها ، حتى تنتهي اللعبة بعد تكرارها اكثر من مرة فتبقى ساق واحـدة يقـوم صاحبهـا بتنفيـذ ما يطلب منـه رفـاقه لتنفيذه وفي اغلب الاحيان يمدد جسمـه فوق أحـد سيقـانهم والسيقـان الاخـرى فوقـه ويمسكـونهـا متقـابلين فيقوم (المعصـوم) بمحـاولة اخراج جسمه من براثن سيقانهم الصغيرة حتى يتحرر، فتعاد اللعبة من جديد .

١٦ـ حدي مدي ، مانازلنا نازل طي ، شد الكور على الزنبور، ياكانوص گوم اگنص بتـالي الليـل وشـد الحيـل ، جا الفلاح بغير سلاح ، ضرب البندق علمشطاح وطاح وطاح (تؤدىٰ كسابقتها تماماً) .
١٧ـ طگن طگن ياركبي وآنـا عبـدك ياربي . . جُول جُول باب الشـام ، خنجر خنجر عبـد الشـام ، يا عجـوز الهگارة ما طعيتيني سكاره ، يامضيح ويامضيح وين ضميت الجديح ، بين حلفه وبين طرفه وبين ممضوض الجريح .
١٨ـ ليلي يادايبتنا وليل يا داي بوك
١٩ـ مير ياناهي دمير. . . . مير ياناهي دمير (الدور)
هذه الاغنية أفردت لها حيزاً خاصاً لجمالها ورقة لحنها معاً وحيث أن اللحن لا يظهر هنا فأنني سأقصر الامر على كتابتها .

حدّرت علمـا يليـه والـعـصـابـة ما يليـه
ياعـمـامـي خذوهـه ليَّ گبـل حصـاد الـشعـيـر
الدور
حدرت علمـاي تمـله والـشـويـحـي نگش عمـله[٢]
والعشـگ محّـد يحمـله لازغـيـر ولا چبـيـر
الدور
حدرت وتـريـد ميـه ريـم لوهـذي بنـيـه
سهـم عيـنـو شسـوىٰ بيَّ يذبـح وبـعـدو غريـر[٣]
الدور
حدرت علمـاي وضحـه والـنـهـار شلون صبحـه
والـحـلو خده يفـضـحـه مورِّد وينـشـر عبـيـر
الدور
حدرت علمـاي تسـبـح والـشـبـاب زنـاد يجـدح
تخطـي يليّ تريـد تسـرح مهـري غالـي يا أمـيـر
الدور

العاب الاطفال والصبيان

العـاب الاطفـال في مدينـة تكـريت في تلك الايـام كانت بسيطـة وسـاذجة ومبتكـرة من ظروف حيـاتهم وبيئتهم، والادوات المستخـدمـة في العـابهم منتخبـة مماهو متوفر لديهم، كما أن هذه الالعاب كلها كانت تقترن بالركض وسرعة الحركة والقـدرة على التحمـل، ولا تتعـدىٰ أدواتهـا العصـا والعظم ومـاشابه ذلك، واليكم أنواعها وتفاصيلها:

١ ـ الدعبل: وهي كرات زجاجية صغيرة وملونة لايزال الاطفال يمارسون لعبها في بعض طرقات المدينة وأزقتها حتى اليوم.

٢ـ الجعاب: قطعة عظم لمفصل حيواني صغير يضعها الاطفال على الارض باشكال وطرق متعددة يشكل كل نوع منها لعبة معينة.

٣ـ المصراع: وهي قطعة خشبية مخروطية الشكل ينتهي رأسها بمسمار من الحديد يشد حوله خيط بطول ثلاثة اشبار يلف قسم منه حول القطعة الحديدية ويلقىٰ على الارض بقوة نسبية فيأخذ المصراع بالدوران حول نفسه أما الخيط فيبقىٰ بيد الطفل. ويتبارى الاطفال في تفاصيل هذه اللعبة واهدافها.

٤ـ الحاح أو الطرفزل: وهي أن يقوم الاطفال بحفر الارض بطول شبر وبعمق أنجين او ثلاثة، ويعرض فوقها بشكل متقاطع عود صغير بطول شبر يسمى (الحاح) يرفع هذا العود بعصا يمسك بها الطفل بطول نصف متر ويضرب الحاج بها فينطلق بعيداً عن الحفرة فيذهب الطفل الخصم مسرعاً نحو الحاح وحينما يمسك به يلقيه من تلك المسافة ليستقر قريباً من الحفرة فكلما كانت بعيدة كلما اخفق الطفل في ايصال الحاح الى اقرب مسافة من الحفرة والعكس صحيح.

٥ـ البمو: وتشبه لعبة الحاح، والفرق الوحيد بينهما أن الحفرة في هذه اللعبة تكون اكبر وتكفي لاستيعاب قدمي الطفل أو الصبي، فحينما ينطلق الطفل للامساك بالحاح لا يلقيه من بعيد الى الحفرة وأنما يأتي به راكضاً ليصلهم قبل أن يوسعوا موضع الحفرة التي سيدفنون قدميه فيها لتصل الى الركتين فيزداد ضحك الاطفال عليه وتندرهم.

٦ـ الچروخ: وهي عجلة ساذجة من اي معدن أوحديد بقطر يتراوح بين القدم والقدمين يدحرجها الاطفال والصبيان أمامهم بواسطة عصا حديدية اخرى بطول نصف متر ويدورون بها في الطرقات او اطراف المدينة لقضاء الوقت.

٧ـ **النُكرة أو النقرة**: وهي لعبـة مسليـة يلعبهـا الشبـاب تتكـون من حفرة صغيرة في الارض لا تتسـع لغيـر العملة المعـدنيـة بعمق أنج أو أنجين، ويقف عنها اللاعبون على بعد مترين أو ثلاثة فيلقي كل واحد منهم وبـالتنـاوب مجمـوعة العملات الصغيرة التي جمعت من كل واحـد منهم، يلقيهـا الـلاعب مجتمعة باتجاه الحفرة فمن استطاع ان يدخل فيها اكبر عدد يكون الفائز، فتدخل في النقرة بعض العمـلات وتبقى الاخـرى متنـاثـرة حولهـا فيختـار بقيـة الـلاعبين واحـدة من هذه المتنـاثرة ليرمي نحوها بقطعة معدنية اخـرى فأن أصـابهـا دون غيـرهـا أخذ النقود كلها، وأذا اخفق وأصاب غيرها يخسر التي كسبها قبل قليل في (النكرة) وهكذا يلعب البـاقـون واحداً بعد الآخر. وهذه اللعبة يكثر تداولها في أيام الربيع وأيام الأعياد، كنا نلعبها في بعض الاحيان فيمر بنا الـرجـال الكبـار في أيـام الـربيع فيداعبنا واحد منهم للاشتراك برمية أو رميتين.

٨ـ **الغيز**: وهي عبـارة عن مثلث يرسمه الاطفال على الارض المستوية بواسطة الطبـاشيـر أو تخطـط على الاضـر بعـود صغير اذا لم يتوفر الطباشير، ويضع كل لاعب من المشتركين بها كرة زجاجية صغيرة (دعبل) ومن على بعـد متـرين يتبـارى الاطفـال في ضربهـا بواسطـة كرة زجاجية اخـرى، وهكـذا بالتنـاوب فمن أصاب ربح ومن أخفق خسر، والغيز الاخر يتألف من اربعة مربعات يلعب بواسطة الحصىٰ الصغير.

٩ـ **الخازل**: وكلمتهُـا مشتقـة من كلمـة (خَزَل) وتعني أخترق، وهي لعبة ينقمس فيهـا الاطفـال والصبيـان الى فئتين، فريق يدافـع عن شيء محـدد يسمىٰ (الگـرمـة) ويحاول الفريق الثاني أختراق هذا الحصار من أي موضـع يستطيـع وصـولا الى الگـرمـة فأذا نجـح أي واحد فيهم تغير موضع الفريقين من الدفاع الى الهجوم.

١٠ـ الخبردان : وهي لعبة يرسم فيها اللاعبون مربعاً على الارض طول ضلعه أربعة أمتار وينقسم اللاعبون الى فريقين، فريق يقف وسط المربع وفريق خارجه، والذين في داخله يحجلون على ساق واحدة فيدخل واحد أو اكثر من الواقفين عليهم ويحجلون مثلهم فمن أسقط خصمه ليقف على قدميه ربح اللعبة فينزل فريق ويخرج فريق وهكذا . وهذه اللعبة يكثر تداولها في أيام الربيع في اطراف المدينة .

١١ـ الكاب كاب : وهذه اللعبة تجري في الارض الرملية وفي موسم الشطاطي على وجه الخصوص، يلعبها فريقان، فريق يقف والآخر يحبو وهذا الآخير يحاول أن يمس بقدمه أحد الواقفين الذين يحاولون أن يضربوه من كل جانب، فاذا استطاع الذي يحبو أن يمس بقدمه احد الخصوم تبادل الطرفان المواقع .

١٢ـ عسكر وحرامية أو الغميضة : وهي اللعبة الشائعة في الوطن العربي كله، وتتلخص في أن ينقسم اللاعبون الى فريقين احدهما يلتفت بوجهه الى الحائط القريب ويذهب الفريق الثاني ليجد له مكانا يختبيء فيه أو خلفه، وبعد فرصة مناسبة لغياب الفريق الثاني يقوم الفريق الاول بالبحث عنهم حتى يعثر على احدهم فيتغير موقع الطرفين .

١٣ـ شد الخشب : وهي لعبة ينقسم فيها الصبيان الى فريقين، فريق يقف بجانب احد الجدران والآخر بعيداً عنه بأمتار، أما الفريق الاول فيقف رئيسه ووجهه الى الجدار منحني الظهر قليلاً يمسك به الثاني من خاصرته وهكذا الواحد بعد الآخر بشكل متسلسل فيتحفز الاول من الفريق الثاني للقفز فوقهم واحداً بعد الآخر حتى يكتمل الفريق الثاني فوق الفريق الاول فيتغير الدور واحداً بعد واحد .

١٤ـ حمل وجمل : ينقسم اللاعبون الى فريقين فريق يحمل فريق ويدورون بالدور القريبة ويقرعونها بقوة سائلين اهل الدار: (التحتاني يغكب الفيقاني لوالخيالة بخيالته) اي نبدل الدور ام نعود كما جئنا. هنا يلتزم اللاعبون بما يجيب أوتجيب صاحبة الدار، فأن قالت الخيالة بخيالته عاد اللاعبون كما جاءوا وهو أمر بالغ القسوة بالنسبة للفريق الحامل وأن قالت العكس تبدل موقع الطرفين وصار الراكب مركوباً، والطريف أن الكل يلتزم بهذا القرار.

١٥ـ قلع الجغف : ويلعبها الصبيان والفتيان في النهر أيام الصيف، فريق يسبح في النهر قريباً من الجرف وفريق يقف فوقه، فيحاول الذي يسبح الوصول الى الشاطي للامساك بالجرف أثناء الغطس أو بدونه ويحاول الفريق الواقف ان يمنع الاول من الوصول وذلك بأن يلقي بجسمه فوقه على الماء فأن أصابه الحق به ضرراً جسمانياً وأن لم يصبه حقق السابح هدفه في الوصول وهكذا يتم تبادل المراكز.

١٦ـ الدُول : وهي لعبة يمارسها الشباب والرجال في أوقات الفراغ وفي أيام الربيع على وجه الخصوص، وتلعب في أرض خلاء تحتوي على مجموعة من الحفر الصغيرة في الارض تسمى (العنك) تبعد الواحدة عن الاخرى بما يقرب من المترين واللاعبون يمسك كل واحد منهم بكرة صغيرة خاصة به لا يزيد قطرها عن الانجين مصنوعة من حصاة خاصة تمتاز بالقوة يسمى (التبل) تنقر من جميع جوانبها بعناية فائقة بحصاة اخرى قوية أو قطعة حديد حتى تتمَ استدارتها بشكل كامل ثم تدهن وتلف بقطعة صوف لتبقى فترة مناسبة والعملية كلها تستغرق مدة شهر او شهرين، اما طريقة اللعب فهي أن يقف اللاعبون على مساحة ثلاثة الى اربعة امتار عن أقرب حفرة فيلقي كل منهم كرته الى موضع(العنك) والرابح هو الذي يدخل كرته في العنك أو قريباً منه.

وهنـاك بعض التفصيـلات الاخـرى التي لا نجد هناك حاجة لذكرها تجنباً للأسهاب .

١٧ـ الدامة : لعبـة يمـارسهـا الكبار في المقاهي كما يمارسون لعبة النرد والدومينو وهي عبـارة عن قطـع خشبيـة صغيرة توضع بشكل متناسق فوق رقعة اخرى مربعة الشكل تشبه رقعة الشطرنج ويجري اللعب بهذه القطع بشكل يشبه تقريباً لعبة الشطرنج .

١٨ـ المحيبس لعبة معروفة يمارسها الشباب والرجال في ليالي شهر رمضان المبارك من كل عام بأن ينـقسم الـلاعبـون الى فريقين احـدهـا يحمـل (المحبس) ويختفي خلف ستـار يمسـك به اثنـان من نفس الفـريق ريثمـا يفـرغ قائـد الفـريق من أيـداع المحبس في كف احـد زملائه وبعـدهـا يلقى الستـار وتمتـد قبضـات الـلاعبين فيقوم رئيس أو أحد أعضـاء الفـريق الثاني بمحاولة العثور على موضع المحبس والقبضة التي تمسـك به من خلال المـلاحظـة الـدقيقـة والتفـرس في وجـوه الـلاعبين وبـالممـارسـة الطـويلة لهـذه اللعبة قد يخفق اللاعب في العثـور على المحبس فتسجـل نقطـة للخصم وقـد ينجـح فيتحـول المحبس الى الفــريق الــذي حصـل عليـه وهكـذا تحسب النقـاط المقـررة . وخـلال هذا المشهـد المتكـرر تكثـر تعليقـات الـلاعبين والمتفــرجين الطــافحـة بالحمـاس والسـرور حتى موعـد السحـور فيتنـاولون الحلوى (البقلاوة والزلابية) المشهورة في العراق وينصرف الجميع بعدها الى بيوتهم بعد أن يهدد الفريق الخاسر فريق الخصم بأنه سيثأر غداً منه .

١٩ـ الصينية :

هذه اللعبـة أكثـر أثـارة في مدينة تكريت في ليالي رمضان وذلك لان الكثير من الأهالي وخاصة الرجال يحسنون اداءها شكلاً ومحتوى بما يرافقهـا من تعليقــات جميلة ومثيــرة تمتــزج مع صخب الصينية وفنــاجينهـا المتطـايـرة دائمـاً بين احضـان الـلاعبين والمتفـرجين .

وتتلخص اللعبة في ادائها اولاً في صينية من النحاس دائرية الشكل بيضاء بقطر قدم تتراصف حولها أو على حوافها عشرة فناجين تشبه فناجين القهوة من نفس النحاس القوي المتماسك، يقوم احد الفريقين خلف ساتر بسيط من البسط او بطانية بوضع (ودعة) صغيرة بيضاء تحت أحد الفناجين ليضعها بعد أسقاط الستار بين يدي الفريق الخصم فيروح رئيس الفريق أو أحد اعضائه يحملق في الفناجين المكفأة ليشخص الفنجان الذي يتوقع اختفاء الودعة تحته فيقبض عليها لكشفها فأن ظهرت تحت ذلك الفنجان فاز في اللعبة والاعاد الفريق الاول ليخبيء الودعة من جديد بعد أن تحسب له النقاط وحساب النقاط هنا يختلف عن احتسابها في لعبة المحيبس ففي لعبة الصينية تحسب الفناجين. كانت هذه اللعبة تستحوذ على اذهان الرجال والشباب وحتى الاطفال الذين يهرعون الى مصدر الصوت لاكتشاف سر الحماس الذي يلف الجميع مبهورين ومندهشين وهم في جميع الاحوال يحصلون على حصتهم من الحلويات التي ستوزع على الجميع بعد قليل.

ألعاب الصبايا والفتيات

١ ـ الطمّة: وهي لعبة تتجمع الفتيات خلالها ايام الربيع أو العيدين في أطراف المحلة القريبة فتنفرد كل مجموعة لا تقل عن ثلاثة ولا تزيد عن خمسة وبينهن كومة صغيرة من التراب الناعم الرطب نسبياً يدسون فيه بعض العملات المعدنية الصغيرة بشكل متساوي وتقوم أحداهن بديافته بين كفيها والديافة كلمة عربية تعني تحريكه من مكان الى مكان من غير أن يرفع، ثم تقسم هذه الكومة من التراب الى كومات اصغر وعلى عدد اللاعبات فتكشف كل واحدة منهن كومتها فأن عثرت على قطعة فأنها تربحها فمنهن من تحصل على اثنين أو ثلاثة

ومنهم من لا تحظى بواحدة فتربح تلك وتخسر هذه، وبدلاً من النقود يستعملن أحياناً خرزاً ملوناً لنفس الغرض.

٢ـ **الشقصة**: وهي مجموعة من الحصى الصغير يقرب من حجم الجوزة أو أصغر عددهن بين الخمسة والسبعة تتناولها الفتيات الثلاث أو الخمس الواحدة بعد الاخرى برميها الى الاعلى قليلاً ثم تتلقاها كف الفتاة لا على حارتها وانما على ظهر الكف والحصاة التي تقف عليه وتستقر تأخذها الفتاة باعتبارها رابحة حتى تتناقص قطع الحصى شيئاً فشيئاً الى آخر حصاة ثم يعاودن الكرة.

٣ـ **التوكي**: وهي لعبة بسيطة تتلخص برسم ستة مربعات متصلة مع بعضها على الارض طول ضلع المربع الواحد لا يقل عن قدمين تنزل الواحدة من الصبيات بعد الاخرى قافزات على ساق واحدة من مربع الى آخر حتى تجتازها كلها دون أن تسقط رجلها الاخرى أو تلمس خطاً من الخطوط المرسومة وهكذا بالتناوب.

٤ـ **الفجيج**: لعبة تمارسها الصبيات الصغيرات بدشاديشهن البسيطة بأن تجلس اثنتان أو ثلاث على الارض ويفتحن سيقانهن بحيث تمس قدم الواحد منهم قدم الاخرى فتقوم الفتيات الاخريات بالقفز من فوق السيقان الممدودةدون المساس بها وهكذا بالتناوب.

٥ـ **صفّاقة الچيتاية**: وهي لعبة (الثعلب فات فات.. شبديلو سبع لفات) نفسها ولكنها تختلف عنها في أن المنديل يخبأ في حضن الصبية وليس وراء ظهرها.

الخطبة والزواج في تكريت

أن مراسم الزواج في تكريت لا تختلف كثيراً عن غيرها من المدن العراقية الاخرىٰ في ذلك الوقت، ولكن الامر لا يخلو من بعض اللمسات الخصوصية التي تطبع كل مجتمع صغير بطابعه الخاص. وقد حدثنا الكبار ممن سبقونا يرحمهم الله أن الزواج في مطلع هذا القرن وحتى الثلاثينات منه كان الدور الرئيسي فيه للوالدين فهما اللذان كانا يقومان باختيار العروس المناسبة لهم ولأبنهم لأن الأمر لا يتعلق بالشاب وحده وأنما بأفراد العائلة كلها والزوجة الصالحة هي التي يجب أن تكون قادرة على التكيف مع الحياة الجديدة، ولهذا كانت البنت القريبة هي المفضلة وأذا تعذر ذلك فالأبعد ثم الأبعد، أما الفتاة فلا رأي لها لأن الأمر متروك هو الآخر لوالديها فهما اللذان يقدران مصلحتها وسعادتها ولكن الأب نادراً ماكان يجبر أبنته على الزواج ممن لا ترتضيه لأن في هذا خروج على مباديء الدين الأسلامي الحنيف الذي يؤكد على وجوب رضا الطرفين بصيغة الأيجاب والقبول.

أجراءات الخطبة:

بعد أن تقرر عائلة الشاب اختيار وتشخيص الفتاة المعينة تقوم والدة الشاب بزيارة تتسم بالتكتم لعائلة الفتاة ورؤيتها والتأكد من أوصافها وطباعها ثم تعود الى دارها للتشاور مع الأب والأبن في الموضوع فأذا حضيت هذه المواصفات بالقبول تعاود أم الشاب الزيارة مرة اخرى وتنفرد بأم الفتاة معبرة عن رغبتها في خطبة أبنتها لأبنها وتعود الى الدار بعد أن تكون قد منحت ام الفتاة مهلة من الوقت مناسبة للتشاور مع البنت وأبيها وباقي افراد الأسرة، فأذا لاقىٰ هذا العرض قبولاً منهم يقوم والد الفتاة بعدها باستشارة اخوانه وعمومته وأبنائهم للوقوف على رأيهم فأن رغب احدهم في الزواج منها أصبحت تلك الخطبة ملغية تلقائياً، أما أذا كان الأبناء صغاراً أومتزوجين ولا اعتراض لديهم على شخصية الخاطب وأهله فعندئذ تحصل الموافقة المبدئية بين اهل الخاطب وأهل الخطيبة.

بعد أنتهاء المرحلة الأولى هذه والتي غالبا ما تتم بسرية وحرص شديدين ينتقل الأمر الىٰ المرحلة الثانية وهي مرحلة عقد القران وذلك لأن أهالي تكريت

يفضلون السـرعـة في مثل هذه الامور فيقوم الولدان بالاتفاق على تحديد زمان عقد القـران الـذي يتم عادة في بيت الفتـاة، وفي الموعد المحدد يقوم والد الشاب وأبنه بالحضـور الى الـدار يصحبهمـا مختـار المحلة وبعض الأهـل والأصـدقاء وهم في أجمـل قيـافتهم بعـد أن تكون أم العريس وبناتها قد سبقوهم الى دار الفتاة واخذت موقعهـا بينهم. فيستقبلهم والـدها بالترحيب الحار ويأخذون مواقعهم في المجلس وتدار عليهم فناجين القهوة المرةأو الشاي والبارد كما تدور بينهم الاحاديث الرشيقة عن أخلاق العائلتين والسمعة الطيبة التي تحظىٰ بهما في الوسط الاجتماعي ويقود هذا الحـديث دائمـاً المختـار الذي يحاول أن يهيء الأجواء للدخول في الموضوع الـذي حضـروا من أجله، وبعـد دقائق يكونوا قد أستوفوا تفصيلات المهر وأخذ والد الشاب موقعه الى اليمين ووالد الفتاة الى اليسار وبعد أن يفتح كل منهما كفه الايمن يضـع المختـار أبهـام والـد العريس فوق كف والد العروس وينشر فوقهما منديلاً من تلك المنـاديـل الـواسعـة التي كانت تصلح لكـل شيء، فيبدأ المختار بقراءة سورة الفـاتحـة وسورة اخرى من القرآن الكريم (سورة النساء) ثم يطلب من والد العريس ترديـد صيغـة قانـونية وشرعية معينة وبعد الانتهاء منها يطلب من والد العريس ترديد نفس الصيغة بعده واحدة بعد الاخرى وتختم جميعاً بالصلاة على النبي المصطفى (ص) وبقراءة سورة الفاتحة.

وخلال الفترة التي يجري فيها هذا الحديث وغيره تكون والدة الشاب ووالدة الشـابـة والاخـوات والقـريبـات يصغين الى آخـر كلمـة من سورة الفـاتحـة لتنطلق زغـاريـدهن في أجـواء البيت تعبيـراً عن الفـرح واختتـام المـدخل الشرعي للزواج الحلال المبارك، ثم تدار بعدها اكواب الشاي والحامض حلو والمسقول والچكليت ويأخـذ المختـار حصته المميزة ايضاً والكل يبارك الثاني ويدعو الله أن يوفق الجميع وبـالـرفـاه والبنين. وبعـد أن يغـادر الـرجـال يتحول هذا الى مسرح رحب للفتيات يرقصن ويغنين بالطريقة التي تعجبهن حتىٰ ينهكهن التعب.

اجراءات ماقبل الزواج

وهي مهمة النساء بعد أن يحدد الرجال مبلغ المهر وفقاً للامكانيات المتاحة أي انهم كانوا يتكيفون وفقاً للظروف لا أن يخضعوا لضغوطها وتحكمها فيهم، فلقد كان المهر ينحصر بين صاع من التمر وبين عشر ليرات ذهبية كل حسب امكانيته ولقد سمعت ان البعض منهم دفع بندقية صديقة مهراً لعروسته فأعادها اليه قبل انقضاء شهر العسل، وآخر دفع بعض حلي أمه أو أخته واعاده اليها بعد أيام وكثير غيرها من الصيغ التي لا يمكن حصرها هنا. وفي جميع الاحوال تتسلم والدة العروس ما تيسر من نقود لتشتري لابنتها بعض الملابس والمخشلات الذهبيةوالفضية والنحاسية، كما تشتري لها فرشاً جديدة تناسب الحدث الجديد، وغالباً ماكانت الام تزود أبنتها ببعض الفرش والبسط كهدية منها لترفع رأسها في وسط مجتمعها الجديد.

أما والدة العريس فتقوم بتوفير مستلزمات الاسرة الجديدة من اعداد غرفة الدخلة وتنظيم شؤونها ونظافتها ثم تنحرف الى البيت كله ليكون على استعداد لاستضافة الناس المهنئين والمباركين ولاستيعاب الدبكة وشروطها من فسحة مناسبة وعشاء وحلويات، فتهيأ الذبائح ومواد الطبخ الاخرى من قدور وأواني واستنفار الفتيات للاسهام بهذا الجهد وكل حسب قابليتها وأمكانياتها. كما يقوم والد العريس بتحديد موعد الدخلة والتشاور مع عازف المطبگ وقارع الطبل على الاجور.

ليلة الدخلة

بعد أن يتم تحديد موعد الدخلة أو ليلة الزفة تكون الفتاة قد أكملت زينتها وهيأت ملابسها وحليها وأثاثها، تزفها قريباتها وصويحباتها وعلى رأسهم خالتها أو عمتها أو اختها الكبرى ويسيرون بها مشياً على القدم اذا كان بيت العريس قريباً أو على فرس مطهمة اذا كان بعيداً نسبياً يحيط بها الجميع من كل جانب وخلفها يسير موكب أثاثها الذي تحمله النسوة أو حمار ترافقهم الزغاريد والتكبيرات حتى يصلوا دار العريس فيقدم بين يديها كرسي ترتقيه ثم ماءاً أو شراباً لذيذاً وهي موزعة النفس بين الفرح والخجل المصحوب بالخفر العذري البريء، تطل بثوبها الابيض

الجميل على هذا الجمع المحتشد أمام ناظريها وعيون الكل معلقة بها والاغاني والزغاريد تتعالى من كل جانب حتى يحين موعد العصر أو بعده بقليل فتحضر قارئة (الجلوة) وهي امرأة قارئة للقرآن محبوبة عند الجميع لأن في مقدمها عادة تحل البركة وتفتح للعذارىٰ فرصاً اخرى للزواج الذي هو مطمح كل شابة. وبعد استقرارها بقليل وحينما يهدأ الجميع تقوم القارئة من مجلسها فتقترب من العروس وتقبلها من جبينها مباركة ومتمتمة ببعض الآيات والسور القرآنية وتنشر منديلها الابيض الرقيق معلنة بهذا بداية الجلوة لتردد خلفها الفتيات كلمات الدَور وتأخذ الجلية عادة حوالي الساعة من الوقت وهي :

١- يا حسنَها من ليلةٍ جُليت بها   من أجلِ أحمد سيد الأكوان

* * *

٢- قيموا لآمنةٍ على كرسي الرضا   حتى تراها الحور والولدان

الدور

٣- قد لبسوها التاج فوق جبينها   ومرصع بالدر والمرجانِ

الدور

٤- مشّاطكِ يا آمنة يستاهلُ   خلع الرضا عن سائر الالوانِ

الدور

٥- في الاخضرين تمايلتْ وتخايلتْ   ثم انجلت في حلةِ الرضوانِ

الدور

٦- في حلةٍ بيضاء كالنور الذي   يسبي العقول ويسلب الاذهان

الدور

٧- في حلةٍ صفراء كالشمس التي   تجلو الظلام بنورها السلطاني

الدور

٨- نزلت ملائكة السما في عرسها   ونقطوها العطر والأيمان

الدور

٩- حور الجنان تسابقت يخدمنها   وينشرون المسك والريحان

الدور

١٠- نهضت وقامت خلفها لوداعها كل الورى من معشر الاخوان

الدور

١١- يا أبن عبدالمطلب أنهض وقم واكشف عن المنديل بالأحسان

الدور

١٢- قالوا أسلبي للسيف أنك تحملي بمحمدٍ هوَ سيد الأكوان

الدور

ماذا يفعل العريس وأين يذهب ليلة الدخلة

كالعادة يخرج صباحاً الى المقهىٰ أونادي الموظفين ويترك الدار مسرحاً لنشاط وفرح النساء من الأهل والاصدقاء فيتناول طعام الغداء عند احد الاصدقاء او الاقرباء ثم يخرج عصراً الى المقهىٰ حتى تغيب الشمس فيتحلق حوله الكثير من الأقرباء والأصدقاء وأبناء المحلة من الشباب ألا أولئك الذين يمتون بصلة قربىٰ من عروسهِ كأخوتها وأبناء عمومتها الذين يبتعدون عن مكان تواجد العريس، وبعضهم (يهرب) الى اقرب قرية أوقصبة خجلاً وحياءاً من عيون الناس. وبعد مغيب الشمس بقليل ينهض العريس ومن معه من الجمع المحتشد فتنطلق معهم أهزوجة (مبارك عرسك ياخونا) التي تبقى ترافقهم حتىٰ وصولهم الدار وعندما يدخلون تصبح الهوسة (شايف خير ومستاهلها وتلوك الك وتلوگلها) ترافقهم في الخمسينات بعض الاطلاقات النارية وتنشر من فوقهم زغاريد النِسوة اللواتي يعتلين السطوح المحيطة، فيدخل العريس لتوه الى الغرفة المخصصة التي تنتظره فيها العروس، فيغيب حوالي النصف ساعة ويطل على الجمع الذي لا يزال يهزج ويصخب بثوب فضفاض جديد والابتسامة المشرقة مرسومة على شفتيه فيقوم بمصافحة اكثر الواقفين. يعود العريس فيدخل غرفته من جديد ويبدأ الناس بالتفرق وبعد قليل يلف السكون أرجاء الدار كلها إلا من مناجاة طيرين يتمنيان لو أن الزمن يتوقف أو تكف الارض عن الدوران.

الدبكـة

كانت رقصـة الـدبكـة شائعـة في تكريت بشكل ملحوظ ولا يكاد يخلو أسبوع واحـد من مبـاهجهـا في هذه الدار أو تلك، وخاصة أيام الصيف حيث تكثر مناسبات الختـان والـزواج، يتعلمهـا الصبيـان في وقت مبكـر من حياتهم لكثرة ما يشاهدونها وغـالبـاً ما يقلدن الكبـار بشكل عفوي. كان صوت الطبل والمطبك وهلاهل النسوة المصـاحبـة وراء انتشـاء الخبـر ومصـدره فيسرع الشباب الى مكان الصوت ليشارك البعض منهم ويتفرج الآخر.

كان النـاس في تكـريت على بسـاطتهم وشظف عيشهم وقسـوة الحيـاة التي يحبونها يميلون الى الاستجابة للدبكة للترويح عن أنفسهم، لأنهم في واقع الحال اسرة واحدة يفرحون لفرح اي عائلة اخرىٰ ويحزنون لحزنها.

موعد الدبكة

يختلف الـزمن الـذي تقـام فيـه معـالم الفرح والأبتهاج في تكريت باختلاف ظروف كل عائلة فالبعض منهم يجعلهـا يومـاً واحـداً والبعض الاخر اكثر من ذلك، ولكن الشـائـع هو يوم واحـد، كمـا أن البعض لا يقيم أي فرح وذلك احتراماً لظرف معين يمـر بـه جار أو قريب أو صديق، أمـا متى تقـام الافـراح فالبعض يجعلهـا قبل الدخلة بيوم وبعدها بيوم، والبعض يختارها قبل الدخلة فقط ولاشيء بعدها. ماهي المستلزمات المطلوبة؟! تنحر الذبائح وتعد وجبة أو وجبات الطعام المقررة ترافقها قدورهـا وجفنـاتهـا، أما نوع الطعام فهو في الغالب خضروات مطبوخة مع البرغل أو الرز مشفوعة بالحلويات البسيطة في ذلك الوقت وهي (الچكليت والمسقول والتمر قبلها) ودخل الشربت بعد ذلك.

وقبـل هذا وذاك ينسق وينظم وينظف الـدار والحوش الذي ستقام فيه الافراح والدبكة على رأسها.

بدء الدبكة

بعـد حضـور الاقـرباء والجيران عصر اليوم الذي تقام فيه الدبكة يحضر ايضاً عازف المطبـك وقـارع الطبـل وهما العنصران المهمان في الدبكة، وعندما يصدح

نغم المطبك في حوش الدار ويتناغم لحنه يبدأ الطبل بالتجانس معه فتعلو بأثرها زغاريد النسوة اللواتي يتحلقن على سطح دار العريس واسطح الدور المجاورة وهن ملتفات بعباءاتهن ولا يبين من خلالها غير الوجه أو العينان في كثير من الاحيان، تجري على اثرها الدماء التي كانت مستقرة في عروق الشباب فيندفع البعض منهم الى وسط الساحة يلوح بمنديله الذي يرغب في أن يكون رئيساً للحلقة فيمسك كل منهم بكف الاخر حتى يكتمل تحليقهم على شكل نصف دائرة، هنا يدور عازف المطبك يفتش عن أفضل من يحسن أداء السويحلي والزعيلان من الدابكين ودون أن يغادر المطبك شفتيه، وبعد أن يعثر عليه يقترب منه حتى يكاد المطبك يلامس اذنيه.

وبعد لحظات يرتفع صوت المغني يشدو ببيت أو أكثر من السويحلي فيغير عازف المطبك لحنه الى ميمر أو زعيلان لتبدأ سيقان الشباب بالتحرك ايذاناً ببدء الدبكة. الرأس يمسك بمنديله يهزه بيده اليمنى وباليسرى يمسك بيد رفيقه الذي يليه، وبين ارتفاع الزغاريد تكون الدبكة قد اخذت حصتها من الحماس والاثارة. وبين فترة واخرى ينطلق صوت يصيح:

(شوباش فلان شوباش) والاسم عادة اما أن يكون اسم العريس أو رأس الدبكة أو مؤدي السويحلي او عازف المطبك نفسه.

وهكذا وبعد دورات متعددة يحل التعب بالمجموعة فيتوقف العازف ليدخن سيكارة او ليشرب كاساً من الشربت ويستريح المتعبون، ثم بعد قليل يعود العازف الى عزفه وتقوم مجموعة اخرى بدلها، وفي كثير من الاحيان كان بعض كبار السن ممن يتابعون الدبكة والذين تنحصر اعمارهم بين الاربعين والستين سنة تتحرك سيقانهم ورؤوسهم دون أن يفطنوا لذلك فينتبه الشباب ويسرعون اليهم طالبين منهم المشاركة بدبكة خاصة بهم، وبعد تردد يقومون وتضج الهلاهل لهذه الاستجابة فينحرف عازف المطبك الى اللحن الذي يناسب دبكة الكبار التي تمتاز بكياستها ورزانتها وماهي الا دورة او دورتين حتى يحيق بهم التعب فيعودون الى مجالسهم بين تصفيق الشباب واعجاب الحاضرين.

بعـد ساعـات من الفرح الغامر يتوقف الجميع ويتهيأون لتناول الطعام فيأكل الكبـار أولاً ومعهم الاطفـال من الذكور ويغادرون الدار بعد ان يحيوا العريس وأهله وبـاقي الحـاضـرين، ثم تنـزل النسـوة ليأخذن حصتهن من الطعام والغناء والرقص والهـلاهـل ليعـدن الى أهلهن متأخـرات والمتأخـرة في ذلك الوقت من بقيت حتى العاشرة مساء.

وممـا تجـدر الاشـارة اليه بهذه الوقفة ان المشترك في المراحل التي مرت بها الـدبكـة في تلك الايـام كان مرفـوع الـرأس ولاينظـر الى مواضـع قدميـه تعبيراً عن الشموخ وعن قدرته على أداء الدبكة بشكل سليم ومتأكداً من حركة اقدامه وانسيابها الطبيعي.

لعبة الدرگ

هي رقصـة رجـالية شاهدناها مرة أومرتين على شاشة التلفزيون يؤديها بعض الـراقصين من اعضـاء الفرقة القومية للفنون الشعبية. وهذه الرقصة لا يحسن ادائها الا البعض من الـرجـال، أي أنهـا تتطلب بعض الـدقـة والممارسة بخلاف الدبكة الاكثر شيوعاً وانتشاراً، ولقد اندثرت هذه الرقصة في الوقت الحاضر ولهذا آثرنا ذكرها.

تتميز هذه الرقصة بكونها ذات طابع قتالي بين رجلين كل منهما يمسك بيمناه سيفـاً حقيقيـاً وبسـراه درعـاً حديـدياً او نحاسياً قوياً دائري الشكل بقطر لا يزيد عن القـدم، يقف هذان الـرجـلان في وسـط باحـة الـدار (الحـوش) يحيـط بهم جمع المتفـرجين احـدهمـا في مواجهـة الثـاني وعلى انغـام المطبـگ ودقات الطبل تبدأ حركتهمـا الايقـاعية وهما يتمايلان ويقفزان هنا وهناك برشاقة وحذر ملحوظين، هذا يهز سيفه متوعداً والاخر يدفع بدرعه مستعداً لرد الضربة وبعد ربع ساعة تقريباً ينتقل عازف المطبـگ وقـارع الطبـل الى لحن جديـد اكثر سرعة وأثارة فيقترب الخصمان احدهما من الآخر ويبدأ الاشتباك والالتحام ضربا بالسيف وردا بالدرع حتى يسقط عقـال احـدهمـا عن رأسـه ليصبـح هو الخـاسـر في اللعبـة التي تنتهي بين صخب الحاضرين وتصفيقهم وزغاريد النسوة والسرور يعم الجميع.

اللهجة التكريتية

من المعـروف ان لكـل امة من الأمم لغتها الخاصة بها، نمت وتجذرت فيها عبـر القـرون والحقب الـزمنيـة المتعـاقبـة، وتبقىٰ مثـل هذه اللغة هي العمود الاكثر استقـراراً وثبـاتـاً بين اللهجـات المحليـة المحيطـة بهـا والمتغلغلة داخلها، وتبقىٰ محتفظـة باصـالتهـا وتمـاسكها من خلال المدونات التاريخية على اختلاف انواعها واغـراضهـا، الـرسمية منها وغير الرسمية، ويبقى دخول المفردات الغريبة المتطفلة واللهجات المحلية المتعددة والمتدفقة من خارج محيط الامة أو المتناثرة داخلها لا تضعف اللغـة الام أو تقلل من شأنهـا وأنمـا تغـذيهـا وتشيـع فيهـا الحركة والحيوية لتستطيـع ان تلبي حاجـات النـاس وطمـوحـاتهم المتجـددة شرط أن تبقى محتفظة بأصـالتهـا القـوميـة والا فأنهـا ستتآكل وتتشوه، والمعول عليهم في المحافظة عليها والـدفـاع عنهـا عادة المفكرون من أبناء الامة الذين يقدرون اكثر من غيرهـم خطورة اللغة واهميتها في حياة الامة ووحدتها ومستقبلها.

ان اللغـة العـربيـة وهي لغـة القـرآن الكـريم واحـدة من أبـرز لغات العالم، استمـدت عظمتهـا من خالق الاشيـاء كلها، المحسوس منها والملموس، تعرضت خلال مسيرتها الطويلة الى الكثير من السهام المغرضة منها وغير المغرضة لتشويهها او التقليـل من شأنهـا ولكنهـا صمـدت بوجـه العواصف والتيارات المختلفة لتصلنا مضمخـة بالطيب والأصـالـة حتى يومنـا هذا، ويعـود الفضـل في ذلـك أولاً للقرآن الكـريم الـذي لا يأتيـه البـاطـل من بين يديه ولا من خلفه، ولرجال الدين والفقهاء والعلماء الافاضل والمفكرين ثانياً اولئك الجنود المجهولين الذين رحلوا كما ترحل الشمعـة المضيئـة ليخلفـوا وراءهم نوراً بهياً ساطعاً تعمر به عقول وقلوب العرب في كل مكـان وزمـان، واذا كان للدارسين والمتخصصين الحق في تتبـع شؤون اللغـة العـربيـة أو اللغـات المتعـددة، فأن هذا لا يمنع من تناول الحصة الخاصة باللهجة التكـريتيـة وعـلاقتهـا باللغـة العربية واللهجات المحلية الاخرىٰ وصولاً الى تسليط الضوء على مفرداتها وتراكيبها الجميلة القريبة جداً من اللغة الأم.

أن اللغــة الســائـدة بين الآراميين والكنعـانيين والعمـوريين وجميعهم عرب هاجـروا من ارض الجـزيـرة العـربيـة كانت لغـة واحدة هي أقرب الى لغة البدو في الجـزيـرة، ثـم تفـرعت من هذه اللغـة الام لتشكـل لغات اخرى مستقلة . اختلفت باختـلاف الاقـوام السـابقـة التي اختلطوا بها وتفاعلوا معها لتصبح ما يسمىٰ بلغات الاقوام السامية الغربية الشمالية تمييزاً لها عن اللغات السامية الممثلة باللغة الاكدية البـابليـة والآشـورية في العراق وعن اللغات العربية الجنوبية[1] . ثم وسيراً حثيثاً مع تقـدم الازمنـة والاحـداث سادت اللغـة السـريـانية وهيمنت فترة طويلة على مناطق سوريا والعراق في منطقة الجزيرة لتترك بصماتها المتميزة على كل مسطور ومنقوش حتى الفتـح الاسـلامي الـذي بدأت اللغة العربية بعده تأخذ دورها المتواتر السريع في الانتشـار بين النـاس من اجـل فهم الدين الجديد ومدخله القرآن الكريم ، لكن ذلك التطور لم يكن بعيداً أو منعزلاً عن السريانية التي تركت آثارها العميقة في اللغة الجـديـدة ثم في اللهجـات المتعددة التي ولدت بعد ذلك ومنها اللهجة التكريتية .
ولكن يجب ان لا يغيب عن البال في جميع الاحوال ان كل هذه اللغات واللهجات كانت ومـازالت ترفـد من معين واحـد هو اللغة العربية وكل ما أصابها من أنحراف او أضافات في النطق أو في استبدال حرف بآخر أو كلمة بكلمة اخرى لا يتعدى القشر الخارجي .

أن ممـا يلفت النظـر بالنسبة للهجات العراقية في عموم القطر وحتى منتصف القـرن الحـالي ، انهـا كثيـرة العـدد رغم المسـافـات المكانية البسيطة التي تفصل احـداهـا عن الاخـرى كالمسـافة بين تكريت والدور والدور وسامراء التي لا تتجاوز الخمسين كيلومتراً . .
كمـا ان في شمـال عراقنـا العزيز وفي مجتمع كله كردي نجد اكثر من ثلاث لهجات تختلف في مفـرداتهـا ونطقهـا الـواحـدة عن الاخرى، وبين منطقة السماوة وميسان وبين الـديـوانيـة والانبـار وبين النجف والحلة وواسـط وحتى بين المـوصل وتكريت وحـديثـة بين كل هذه اللهجـات تعيش مفـردات غريبـة وعجيبـة لاتـزال سائدة بين

---

(١) العرب واليهود في التاريخ . د. احمد سوسة ص٦٧ الطبعة الثانية ١٩٧٢ دار الاعتدال/دمشق.

ظهرانينا بالرغم من شيوع لغة الصحافة المتطورة التي أصبحت لغة شبه مشتركة للجميع بعد ارتفاع مستوى الشعب الثقافي والعلمي.

هذه اللهجات وأن جمعتها كلها اللغة العربية تحت خيمتها كاسرة واحدة فأن السبب في هذا التنوع يعود لعوامل كثيرة وعلى رأس هذه الاسباب ضعف وقلة المواصلات وابتعاد الناس بعضها عن البعض الآخر، أما الاسباب الاخرى فتكاد تنحصر في استيطان احدى القبائل العربية البدوية في منطقة معينة ومعها كامل لهجتها أو كثرة الوافدين من قطر مجاور الى منطقة اخرى ومعهم لهجاتهم. والامر كله لم يؤثر سوى في طريقة النطق لبعض الحروف أو في استبدالها بحرف آخر وقليلاً ما كانت الكلمة والجملة تأخذ محل كلمة أو جملة اخرى.

لقد حافظت اللهجة التكريتية اكثر من غيرها على أصالتها العربية وعلى تماسك مفرداتها امام اللهجات الاخرى حتى اليوم، ومما يتصف به التكريتي أنه يستطيع التحدث بكل اللهجات المحلية المتداولة في مجلس واحد، يقفز في حديثه من هذه اللهجة الى تلك بانسيابية وعفوية لا مثيل لها من غير أن يتعثر بلفظ الكلمة أو معناها وهي تستحق التقدير والثناء، فبالرغم من ارتياده مجالات ثقافية وعلمية متقدمة ومن مصادر اجنبية متعددة فأن التكريتي حينما يعود الى مدينته او يلتقي بأحد التكارتة سرعان ما يعتلي ناصية اللهجة التكريتية لتصبح الوسيلة الأسهل للتخاطب. ولا أعتقد أن هذه الصفة مقصورة على التكريتي وحده ولكنه يبز الاخرين بها.

والملاحظ بين لهجات تكريت والدور والموصل أقتراباً نسبياً كما هو الحال بين لهجات حديثة وعنة وراوة وهيت وبين هذه المجموعة وتلك، وربما يعود السبب الى اقتراب المصالح المشتركة بينهم عززتها فرص الزواج المتبادل وقبلها هيمنة اللغة السريانية قبل الفتح الاسلامي عندما كانت هي اللغة السائدة والمعبرة عن الكنيسة الشرقية المنتشرة في هذه المناطق واقصد بذلك أرض الجزيرة حتى شمال سوريا وبعض مناطق لبنان، وعلى الاخص حين كانت مدينة تكريت مقراً للمفريانية وهو مركز الديانة المسيحة الشرقية التي خضعت لها اثنتى عشرة ابرشية موزعة بين اعالي الفرات والموصل وقراها التابعة بالاضافة الى منطقة تكريت

والقصبات التابعة لها وتمشياً مع هذه الاواصر الموضوعية لاقتراب اللهجات من بعضها وما أفرزته عقول المفكرين في المناطق الخاضعة لها امثال العالم والفيلسوف يحيىٰ بن عدي التكريتي ذلك الذي عاش في العصر العباسي الاوسط والذي خلف لنا اكثر من مائة وخمسين مخطوطاً ومؤلفاً ومترجماً وغيره كثيرون الذين كان لنتاجاتهم دور كبير ومؤثر في استقرار اللهجة. كما أننا وجدنا بعض المفردات المتشابهة حتى اليوم بين اللهجة التكريتية واللهجة الموصلية واللهجة الجزائرية واللهجة التونسية واللبنانية اثرنا ان ندرجها في الصفحات التالية على سبيل المثال لا الحصر. وربما يكون للقبائل العربية المتواجدة في ارض الجزيرة قبل الاف السنين والذين يشكلون غالبية سكان المناطق التي اشرنا اليها كعرب تغلب وأياد والنمر قبل الاسلام والعقيليون والشهارجةوالامويون والعباسيون بعد ذلك، لكل هؤلاء العرب دور أساسي عنيد ومقصود في التمسك بلغتهم دفاعاً عن وجودهم ضد الغزاة من خارج الجزيرة العربية أياكان شكلهم وهدفهم، وضمن هذا التصور يمكننا استنتاج الموقف الصلب الذي قابل به التكارتة جيش الفتح الاسلامي الذي تحدىٰ المدينة واهلها فقاومته اربعة وعشرين زحفاً وخلال اربعين يوماً حتى حدث اللقاء بين القائد الاسلامي عبدالله بن المعتم ووفداً من اهل المدينة الذي كان اغلبه من عرب تغلب وأياد واقتناعهم بالاهداف الأسلامية التي تريد الخير للناس جميعاً.

مقارنة بين بعض اللهجات

الكلمة بالعربية	بالتكريتية	بالموصلية	
أنا	أنا	أنا	
نحنَ	إحنا	نِحنَ	
أنتَ	أنتَ	أنتَ	
أنتُمْ	أنتِمْ	أنتِم	
هوَ	هوًّ	هوٍّ	
هيَ	هيًّ	هيٍّ	
همْ	همًّ	همٍّ	
خُذ	خيد	خِد	
كُل	كيل	كِلْ	
قم	قيم	قِم	
جر	جُغْ	جِغْ	
أرمِ	زِت	زَتْ	
ذاك	داك	داك	
أولئك	هَوديك	هَوديك	
هؤلاء	هَودي	هَودي	
هوَّد	هَوَّد	هَوَّد	سَكَن الألم
حَلْقْ	حَلُقْ	حَلُقْ	حلق اوفم
صندوق	صنديق	صندوق	
بجانبه	بسذو	بسذو	
وراءه	وغانو	وغانو	

قدّامه	قدّامو	قدّامو	امامه
قاعد	قيعد	قيعد	
بنت	بِنت	بِنت	
هذا	هَذا	هذا	
سوق	سيق	سيق	
من أين	منين	منين	
أين	وَين	وَين	
فوق	فيق	فيق	
أقعد	قعيد	قعِد	
تلّهُ	تِلّو	تِلّو	
هنا	هَون	هُون	
قل لي	قلّي	قِلّي	
أحسنت	عفيه	عفيه	
امرأة	مَغا	دَع	
رُح	غيح	عوح	
تراب	طغاب	طغاب	
نائم	نيم	نيم	
طاقة	طاقة	طاقة	فتحة السقف أو الجدار
مقلاِة	مقلي	مقلي	
كثير	كثيغ	كثيغ	
اشتري	شتغي	شتغي	
مَليحُ	مليح	مليح	
سِدَّهُ	سِدّو	سِدّو	

زقاق	زقاق	زقاق
رستاق	غستاق	غستاق
معلاق	معلاق	معلاق
صادِق	صادُق	صادُق
كلك	كلكُ	كلك

مقارنة في مفردات بعض اللهجات

العربية	التكريتية	الجزائرية والتونسية	
على قدر	على قد	على قد	
غالب	غيلب	غيلب	
كلكم	كلكِم	كلكِم	
سبهدل	سبهدل	سبهللا	
طاقة	طاقة	طاقة	
سمَي	سمَي	سمَي	وهو الفتحة الصغيرة في
بهيمة	بهيمة	بهيمة	سقف الغرفة لخروج الهواء
هوَّد	هوَّد	هوَّد	الفاسد
قبالته	قبالو	قبالو	
اقلعه	قلزو	قلزو	الشيء الذي لا جذر له
مَليح	مليح	مليح	ويسهل قلعه أودفعه
مقبرة	جبّانة	جبّانة	
رجل	فحل	فحل	
مهبول	مهبول	مهبول	
قدوم	جدوم	جدوم	

العربية	التكريتية	اللبنانية
أمي	إمي	إمي
أبي	بَيي	بَيي
أخي	خَيي	خَيي
هناك	هونيك	هونيك
طاقة	طاقة	طاقة
أين	وَين	وَين
غرفة	أوده	أوده
حكي	حكي	حكي
هنا	هَون	هَون
عَينه	عَينو	عَينو
علّيةُ	عِلّية	عِلّية

مفردات لكلمات تكريتية قديمة

حين نستعرض بعض المفردات التكريتية التي كان استعمالها شائعاً في تلك الايـام فأنمـا نهدف من ورائها الذكرىٰ أولاً وللمقارنة بينها وبين الكثير من الكلمات العربية الفصيحة ثانياً. ونحن ندرك تماماً أن الكثير منها قد غاب عن مسرح التداول أمـا لغـرابتهـا ولعـلاقتهـا باللغة التركية والفارسية وأما لأكتساح اللغة العربية في هذه الأيام لمثل هذه المفردات بعد التطور العلمي والثقافي للمجتمع كله.

١	يعنا	٢٧	مصخن	٥٤	يدفغ	٨٢	نفد	١٠٩	طاش
٢	يعزّا	٢٨	مگنبص	٥٥	يهرش	٨٣	حندس	١١٠	مدگ
٣	نكفيت	٣٩	متنحر	٥٦	يدرگ	٨٤	مشغاقة	١١١	مزلاج
٤	نگمعت	٣٠	أثول	٥٧	يجدف	٨٥	زيق	١١٢	كواغه
٥	نفجعت	٣١	غعن	٥٨	يكلفت	٨٦	زيك	١١٣	سفيج
٦	تصخمنت	٣٢	مكبغت	٥٩	وعث	٨٧	بلطه	١١٤	زناق
٧	تعزيت	٣٣	معطب	٦٠	دعث	٨٨	كلنك	١١٥	طراگ
٨	حگره	٣٤	مسكغ	٦١	طيمس	٨٩	گرطه	١١٦	خليل
٩	وبا	٣٥	مشلهم	٦٢	منيّح	٩٠	غشتاق	١١٨	دوك
١٠	طواشه	٣٦	أدگن	٦٣	الگن	٩١	الخسفه	١١٩	شيبك
١١	عغايسيه	٣٧	بيهش	٦٤	اللگن	٩٢	الزغيويه	١٢٠	دگدگ
١٢	داهجية	٣٨	مگرود	٦٥	دن	٩٣	المسيلة	١٢١	نقه
١٣	طمامة	٣٩	فدغ	٦٦	بغنية	٩٤	السحل	١٢٢	جليلة
١٤	طماحة	٤٠	مگرگط	٦٧	شدق	٩٥	الگب	١٢٣	نگرية
١٥	غياغه	٤١	يعبي	٦٨	حغف	٩٦	دهدوانه	١٢٤	چنق
١٦	چماقة	٤٢	يطبي	٦٩	شلف	٩٧	جفف	١٢٥	بشكير
١٧	بومه	٤٣	يرهك	٧١	چارك	٩٨	مزراك	١٢٦	صماخ
١٨	عجي	٤٤	دوس ورك	٧٢	سابل	٩٩	كنون	١٢٧	غيق

١٩ مشولق
٢٠ مترفس
٢١ منقع
٢٢ معترز
٢٣ مشكخ
٢٤ مخنث
٢٥ مرنخ
٢٦ مگرگع

٤٥ يگزل
٤٦ يخزل
٤٧ ينسف
٤٨ يگض
٤٩ يدگر
٥٠ يگطم
٥١ يكرع
٥٢ يصرط
٥٣ مزهلج

٧٣ خرار
٧٤ مبحاث
٧٥ غواج
٧٦ تفغ
٧٧ مطرك
٧٨ وكه
٧٩ شليلة
٨٠ كواز
٨١ قغع

١٠٠ كيلون
١٠١ عوقه
١٠٢ دست
١٠٣ مقليه
١٠٤ غكنيه
١٠٥ صناغه
١٠٦ بليعة
١٠٧ كنيفة
١٠٨ مصغاع

١٢٨ حواف
١٢٩ قغيغه
١٣٠ بطباطة
١٣١ مهد
١٣٢ هراتي
١٣٣ زومعة
١٣٤ فگع
١٣٥ مز
١٣٦ طبشي
١٣٧ صفة

مصطلحات متداولة

هذه بعض المصطلحات التي كانت سائدة بين أهالي المدينة وبعضها يشترك فيها أبناء الريف والبادية .

المصطلح	معناه
١- صواب المابنبت بي شعر	الضربة القوية المؤذية جداً .
٢- لوچلچلت والليل حندس لارادو دليل ولا مونس سباع الخلاجليلة الحس	الرجال الأشداء ، قليلوالكلام كثيروالفعل ، الذين يتحدون الصعاب ولايخشون شيئاً .
٣- مسكون أبو الريح	الرجل الثابت الجنان ، القوي الشكيمة
٤- طير شلوه	الرجل القديرالذي يقصد الشيء فيصطاده ويستمكنه .
٥- طارش ملوذع	الرسول الأيمن الموثوق به ، القادرعلى تجاوز أخطار الطريق .
٦- هاب ريح	الرجل الذي لا يصدرمنه غير الطيب في القول والفعل .
٧- راحت رجال الحامضة السماگ وظلت رجال البلعصا تنساگ	رحلت أوذهب الرجال الذين كانوا يرهبون العدو وخلفواوراءهم الجبناء والاذلاء
٨- هز رمحه وصفگنله الجانبين	الرجل الفارس الذي يهابه القوم وتحييه على طول الطريق .
٩- جيع البليع ولهد جميع	حينما يكرر الطفل كلمة (جوعان) وأمه منشغلة بعمل ما تقول له هذا المصطلح ، ومعناه جوع البالوعة وفوقها قبضة يد التي نسميها (جمِع) وجمعها (جموع) وبالتكريتي (جميع) .

١٠- عفية	ومأخوذة من كلمة (عافية) تقال لمن قال أو فعل حسناً .
١١- الله حيو	تقال للرجل المهيب القادم لزيارة الدار أو المضيف .
١٢- الله يگويك	منحك الله القوة تقال لمن كان منصرفاً لعمله .
١٣- تگوه	تقال لمن أنجز عملاً صعباً ومتميزاً .
١٤- كفو	تقال للرجل الذي هو كفؤ لماقام به من عمل جيد .
١٥- والنعمِ	أنعم بك وأكرمِ من قول وفعل .
١٦- يخسا	أي يخسأ من يقوم بعمل أويصدر منه قول رديء .
١٧- يابوبشت بيش بلشت	تقال لمن تورط في موقف أكبر من حجمه وقدراته .
١٨- گالّوعورت . . گالوبلشت	تقال لمن تعلق أو تورط بشيء لم يكن يتوقع تطوراته ، ومعناه بالحرف ، هل جُرحت أو اصابك أذىً فيجيب بل أخطر من ذلك أذ كنت أروم ضربه للتأديب فافضى الامر الى وفاته .

الخاتمـة

في ختام هذه الصفحات المتواضعة أحس وكأنني أغادر بيتاً عزيزاً وأثيراً لدي مما جعلني انحاز تلقائياً الى ابراز أحلى وأجمل ما فيه (وهو كثير) منصرفاً عن أي ظاهرة سلبية لا يخلو منها أي مجتمع أنساني، أنه انحياز الأبن الى أهله فاعذروني كما أني وأنا أهم بتوديع القاريء الكريم أعترف له بصراحة أنني أعتمدت في كل ما تحدثت عنه اولاً على ذاكرتي التي باتت تتثلم في السنوات الاخيرة بسبب تقدم السن والمرض، وعلى ما سمعته من أفواه الرجال والنساء الكبار الذين سبقوني ثانياً، فالمعلومات كلها ـ باستثناء اللمحة التاريخية عن المدينة ـ هي محض تجربة ذاتية مقتصرة على مصادر محدودة ربما غطت جانباً زمانياً ومكانياً معيناً من حياة أهالي تكريت لاكل الجوانب.

وفي ضوء ما تقدم فأنني أستميح القاريء الكريم عذراً أن كنت قد وقعت في سهو أوفاتني شيء، فالحديث عن مدينة قديمة قدم التاريخ لا يمكن أن يحيط به كاتب مهما تمتع من قابليات. وشفيعي في كل ما تقدم هو النية الصادقة فيما تعرضت له من خواطر وملاحظات بعيداً عن ألحاق الاذى بأي فرد من أهالي تكريت الكرام، والله أسأل أن يوفق كل من يواصل الحديث عن المسيرة التاريخية للمدينة في قابل الايام، وأحني هامتي اكثر تقديراً لكل من يمد يده لخدمة المدينة وأهلها ويسهم في تقدمها وتطورها.

والسـلام

المؤلـف

الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٣	الأخير	ناظرين	ناظريه
٤٢	٥	والبرغم	وبالرغم
٤٧	١٣	وهذا	وهذان
٤٩	٢٤	ومن	ومن هناك
٥٨	١٨	أبلعض	البعض
٧٠	٢٠	(وهذه المجموعة الى لكل شيء)	(موضوعة خطأ ومنقولة من الصفحة٩٨ السطرالسابع)
٩٩	١١	كأنني	كانت
١١٢	٣	فالمتسوطة	فالمتوسطة
١١٣	٣	ويحضىٰ	ويحظىٰ
١٣٥	الصورة	جرة وعباءة	صفرية وعباءة
١٤٤	٦	العميلتين	العمليتين
١٨١	٢١	ينغمس	ينقسم
١٨٦	٦	حارتها	راحتها
١٨٨	١	الولدان	الوالدان
١٨٩	٤	ينحص	ينحصر
١٩٠	٤	عن	من
١٩٢	٢	أولك	أوتلك
١٩٢	٤	يقلدن	يقلدون
١٩٢	٥	انتشاء	انتشار



نبذة عن حياة المؤلف

١ـ ولادة تكريت ١٩٣٢

٢ـ درس الابتدائية والمتوسطة والاعدادية فيها.

٣ـ أكمل الدورة التربوية ليمارس التعليم مدة عشرين عاماً قضاها في محافظتي واسط وبغداد.

٤ـ حصل على شهادة البكالوريوس في القانون عام ١٩٧٣.

٥ـ نقل عام ١٩٧٤ للعمل بدرجة مدير متابعة في مؤسسة التربة واستصلاح الاراضي.

٦ـ ثم نقل عام ١٩٧٧ للعمل في مؤسسة التصدير بدرجة مدير التخطيط والمتابعة ومنها أحيل على التقاعد أواخر عام ١٩٧٩.

٧ـ يزاول حالياً مهنة المحاماة.

٨ـ عضو اتحاد الأدباء العراقيين.

٩ـ أصدر مجموعته الشعرية الاولى عام ١٩٨٥ بعنوان (همسات خريفية).

١٠ـ نشر العديد من المقالات والقصائد في الصحف المحلية والعربية.

السعر: ٤٠٠٠ دينار
مطبعة الراية ـ بغداد ـ هاتف: ٨٨٧٨٣٥١

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
(٢٣٨) لسنة ١٩٩١